

AL MANHAL
مجلة العرب الأدبية
العدد (٥٥٧) المجلد (٦١) العام [٦٥] المحرم ١٤٢٠ هـ - ابريل / مايو ١٩٩٩م

أنيس منصور للمنهل:

وُلِدْتُ والكِتابُ في يدي

التعريف والتنكير في القرآن الكريم

الاستشراق والظاهرة الإسلامية

العولمة .. مالها وماعليها

عام جديد .. وأمل سعيد

سحر خليفة:

لا يمكن تحرير الوطن .. ونصفه نائم !

المنهل
مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة
تصدر في المملكة العربية السعودية- جدة عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية
أسسها المغفور له
عبدالقدوس القاسم الأنصاري
عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

المركز الرئيسي:
جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥ رمز بريدي ٢١٤٦١ برقيا: المنهل فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ ت: ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧ - الرياض: ص.ب ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٣٢

سعر النسخة:
السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٩ دراهم - مصر ٢٥٠ قرشا - تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس - عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم - البحرين ٧٠٠ فلس - موريتانيا ١٠٠ أوقيـه - الأردن ٥٠٠ فلس.

الاشتراكات:
جدة ت: ٦٤٣٢١٢٤



خصائص المنهل

يعنى المنهل دائما بأن يجمع بين دفتيه انتاج «القاعدة» وانتاج «القمة». و«القاعدة» هنا هى براعم الأدب وشداته وهواته من ناشئة البلاد، ذوو الطموح الفطرى الى ارتياد مناهل الادب، والعروج الى قممه.. و«القمة» هم كبار رجال الفكر والأدب.

وطريقة الجمع بين هاتين: (القاعدة) و(القمة) تمثل العمق في فلسفة المنهل لرقي مستوى آدابنا وتفكيرنا.. على منهج حديث جامع.. شداة الادب وناشئته وهواته اعتاد المنهل أن يسايرهم في مسيرة هوايتهم، خطوة فخطوة، آخذا بأضباعهم الى الامام، راسما لهم معالم الطريق، وفاتحا لهم أبواب الكتابة والشعر، متدرجا بهم، كما يتدرج الوالد الشفوق بابنائه الصغار في معارج الحياة خطوة فخطوة.. نشذب ما يحتاج الى تشذيب من انتاجهم البسيط، ونُقوِّم ما يستدعى التقويم، ونشجع بالنشر ما يستحق التشجيع والنشر.. اما كبار رجال الفكر والادب، فلهم «التقدمة» والتقدير، فهم الرواد والقادة والماهدون وهم نبراس القراء ومنار هواة الأدب الصغار.. فيما ينشر لهم بالمنهل من مقالات وقصائد وقصص وملاحظات ونقدات.. وهكذا تلتقى (القاعدة) و(القمة) الادبيتان والفكريتان على صفحات هذه المجلة في كثير من الاحيان.. وفي التقائهما رفع لمستوى الأدب من جانبيه: الابتدائى والعالي، على السواء على ما يتراءى لنا ونسير عليه.

«عبدالقدوس الأنصاري»

(المحرم ١٣٩٢هـ/ فبراير مارس ١٩٧٢م).

اهداءات ٢٠٠١
المستشار/ رابح لطفي جمعة

بسم الله الرحمن الرحيم

لقطة الشهر



{واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا}

بريشة الفنانة الاماراتية: شيخة حسن

اشارة

تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات الجدية والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون ... مصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة ...



صاحب المجلة
رئيس التحرير

نبيه بن عبد القدوس الأنصاري

مستشار التحرير

أ. د / عبد الرحمن الأنصاري

نائب رئيس التحرير
المدير العام

زهير بن نبيه الأنصاري

عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.



غلاف العدد

طبع بمطابع
شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر
جدة . تليفون ٦٣٩٦٠٦٠ . فاكس ٦٣٩١٠٠٣

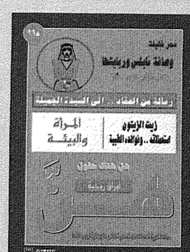


العدد: (٥٥٧)
المجلد: (٦١)
العام: (٦٥)

الفهرس

٤ - أول الغيث.
١٠ - الساعة البيولوجية وتأثيرها على الايقاعات اليومية - محمد عوده جمعة.
١٤ - التعريف والتنكير في القرآن الكريم - د. تامر سلوم سلوم.
٢٠ - من أسرار الهجرة - فيصل صالح أسعد.
٢٧ - من وحي الهجرة (شعر) - رفعت عبد الوهاب المرصفي.
٢٨ - في القصص النبوي (٥٣) - د. عبد الباسط أحمد حمودة.
٣٢ - إعجازات نبوية متجددة - د. عبد البديع حمزة زللي.
٣٨ - الاستشراق والظاهرة الاسلامية (١ - ٤) - د. محمد عمارة.
٤٦ - العولمة - د. أحمد شلبي.
٤٨ - منظمة المؤتمر الاسلامي - د. عادل طه يونس.
٥٤ - الابداعات الأدبية البوسنية - د. جمال الدين سيد محمد.
٦٠ - التذوق الجمالي والبيئة - د. رمضان بسطاويسي محمد.
٦٦ - مُعلّقة بباب العصر - د. عبد الله الفيفي.
٦٨ - أراء لسنك عن علم الجمال في الفن والأدب - د. عدنان الرشيد.
٧٥ - من الشعر الاسباني الحديث - ترجمة: سعيد حداد.
٧٦ - كاميلو خوسيه ثيلا - د. غازي حاتم.
٧٨ - الحياة (قصة من القفقاس) ترجمة - د. فيصل المصطفى الحسن.
٨٠ - من برناردشو إلى جولدنج برايت - د. أحمد الحفناوي.
٨٣ - مجلة السائح العدد (١١٢)
٩٤ - أحماض أدبية (١) - د. أحمد عطية السعودي.
٩٦ - حوار مع أنيس منصور - مصطفى محمد مصطفى.
١١٠ رحلة في الذاكرة (٤٩) - د. محمد رجب البيومي.
١١٤ - الأسس التى قامت عليها الوحدة في المملكة - د. يحي محمد العطيف.
١١٨ - المكتبات في عهد الملك عبد العزيز - د. طاهر تونسي.
١٢١ - مجلة هن العدد (١١٥).
١٤٨ - حوار من طرف واحد (الحلقة الأخيرة) - عبد الهادي السيد علي بلاسي
١٥٢ - ذكرى حدث صحفي - يعقوب السيد حسنين.
١٥٤ - بين السطور - د. عبد الغني عبد الحميد رجب.
١٥٦ - شذرات الذهب (٥٠) - د. أبو حسام.
١٦٠ - مسك الختام - عبد الله ناصر بن ثنيان.





المحرم ١٤٢٠ هـ - ابريل / مايو ١٩٩٩م

وكلاء التوزيع

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٠٧٦ - وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ - الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ - الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ - شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ - دار الثقافة للطباعة/ الدوحة

منهليات

عام جديد .. وأمل سعيد

مع اشراقة فجر عام هجري جديد، ومع ميلاد شهره المحرم يتطلع العالم العربي الاسلامي الى أمل يتجدد كل يوم في عروقه لأن يصبح عاما مليئا بالحب والخير والنماء، تُمحى فيه الحروب المدمرة، والصدامات الوحشية، والكيد المتوالى على الاسلام والمسلمين من غيرهم.

يطل علينا عام جديد .. لنا فيه أمنيات كثيرة.. نأمل أن نرى نُصرة الحق تتهادى في أرجاء العالم.. فينتصف المظلومون.. ويعود الحق لذويه.. وترتفع رايات الايمان خفاقة فوق أرجاء المعمورة.. ونتمنى الخير كل الخير لكل مسلم وعربي في الدنيا بأجمعها.

والمنهل وهي تخطو بخطوات ثابتة واثقة لعامها الخامس والستين - من عمرها المديد - رافعة شعارها الدائم (إلى الأمام على الدوام) هذا الشعار الذى أطلقه مؤسسها منذ أربعة وستين عاما يحمل في طياته التحدي والاستمرارية لهذا العمل الصحفي العملاق.

مواصلة العطاء دون توقف في خضم ما شهدته مثيلاتها من توقف بسبب ظروف قد تكون مالية أو غيرها.

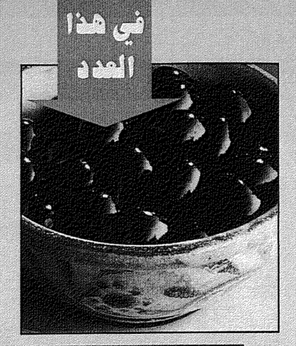
مجددين العهد - كأسرة لتحرير المجلة - على التواصل والاستمرارية واضعين نصب أعيننا قُرَّاء وكتَّاب هذه المجلة ملتفين بهم ومعهم حول رباط الفكر والمعرفة والعلم، عاقدين العزم على أن تواصل المنهل المسيرة مواكبة لتطور مهنة الصحافة في الداخل والخارج.

والمنهل دائما منكم وإليكم ..

ونسأل الله جلت قدرته التوفيق والسداد.

رئيس التحرير

في هذا العدد



فقرات مستلة

** «لقد رفض أغلب المستشرقين اطلاق مصطلح (الأصولية) بمعناه الغربي» ..

مقال: مصطلح الأصولية - ص ٣٨

** «وإذا قلنا سنتمسك بثقافتنا وتقاليدنا فإن من المحتم علينا أن نطور هذه الثقافة»

مقال: العولمة - ص ٤٦

** «التذوق هو موقف جمالي وهو انتباه وتأمل متعاطف منزه عن الغرض»

مقال: التذوق الجمالي والبيئة - ص ٦٠

** «إن الشباب هم نتاج واضح لاستثمار الأمة».

مقال: هل هناك حلول - ص ١٣٨



مكتبة كبرى لسمو الأمير «بندر بن سلطان» بأصيلة في المغرب



أشرف سمو الأمير «بندر بن سلطان» سفير المملكة العربية السعودية في أمريكا على وضع حجر الأساس لإنشاء مكتبة كبرى بالمملكة المغربية تحتضن رحابها مدينة «أصيلة» المعروفة عالميا بموسمها الثقافي وتحمل المكتبة اسم سموه.

ويعتبر إحداث هذه المكتبة حدثا ثقافيا وفكريا، أشاد به المفكرون والكتاب والعلماء الذين حضروا حفل التدشين، خاصة وأن هذه المكتبة التي تضم قسما خاصا للدراسات العربية والإفريقية ستشكل مرجعا للباحثين والدارسين والأكاديميين. كما أنها ستعمل على توفير مراكز الثقافة والتوثيق للباحثين العرب والأفارقة وغيرهم. وسيشرف على إنجاز هذا المشروع قسم الدراسات الشرقية بجامعة «اكسفورد» البريطانية، وتتعدى مساحته نصف هكتار.

وتفضل سمو الأمير «بندر بن سلطان» بتمويل ترميم «قصر الثقافة» بنفس المدينة حيث سيتحول إلى مجمع لتلاقي المفكرين والمبدعين في شتى بقاع العالم. وهي مبادرة نالت تنويه ضيوف وسكان «أصيلة» الذين عبروا للأمير عن شكرهم وامتنانهم له ولجهوداته في سبيل إنقاذ المقومات التاريخية والثقافية والفكرية للمدينة.. ولتشريفه بحضوره الشخصي دورة هذه السنة من موسم أصيلة الثقافي الذي وصل محطته العشرين. ويعد صاحب السمو الملكي الأمير «بندر بن سلطان بن عبد العزيز» رئيس مجلس أمناء «مؤسسة منتدى أصيلة».

وقد أكد الأمير أن المغرب يعد أفضل جسر للتقارب الثقافي ومرجعا تاريخيا في إرساء قواعد التعاون بين شعوب القارة الإفريقية والعالم العربي، وأضاف بأن منتدى «أصيلة» يعتبر أحد الركائز الأساسية لتطوير الحوار العربي الإفريقي مشيرا إلى أن الفكر والأدب والإبداع قد يحقق ما لم تستطع تحقيقه السياسة والدبلوماسية.

سعيد بونوار ـ المغرب ـ

المنهل في نظر محبيه

كانت ومازالت هذه المجلة على صاحبها ومنشئها الرائد الراحل الاستاذ عبد القدوس الانصاري شآبيب الرحمة والمغفرة مرتعاً خصباً لمحبي الأدب ورواد الكلمة الطيبة والفكر النيِّر جامعة فاتحة صدرها رحيب جنابها لكل واعد من شداة الادب ومحبي رياضه؟.

وقد تخرج فيها عشرات الأدباء من شعراء وقصاصين وباحثين ونقاد منهم من قضي نحبه ومنهم من لا يزال عطاؤه مستمراً؟

وقد كان لكاتب هذه السطور شرف التلمذة على يد صاحب هذه المجلة الرائدة - رحمه الله - من خلال المشاركة بالكتابة فيها من بداية الثمانينيات وحتى توفاه الله مغفوراً له إن شاء الله. وقد كان - رحمه الله - نعم الموجه للاقلام الناشئه مستقيم الفكر والهدف واضح الرؤية مخلص العمل والنية محبوباً لدى الجميع عصامي في سيرته ومساره بذل من أجل استمرارية المنهل وعدم توقفها ما الله به عليم رغم شح الموارد المالية إبان صدورها وبعد صدورها وبقوة العزيمة ووقوف المحبين الخلص الى جانبه - وما أقلهم في هذا الزمان - ظلت المنهل كالطود الأشم لا تزحزحه العواصف ولا تقف في طريقه العقبات رغم كثرها!.

وخلفه من بعده من كان خير خلف لخير سلف ابنه الأديب/ نبيه الانصاري وأحفاده زهير وإخوانه تابعوا مسيرتها لتبقى كما شاء لها منشؤها علماً من أعلام الادب السعودي ورائدة من رواده وعلامه بارزه في سمائه وما أحسبها - ولله الحمد - الا كذلك شامخة البنيان عالية الهمم لها من شعارها المعروف (الى الامام على الدوام نصيب وافر).

إنني ومن تتلمذ على يد صاحب هذه المجلة ومن أحبه ورافقه وعرف وفاءه وصدقه وحسن تعامله واستقامته في القول والعمل وحرصه الدؤوب على ما ينفع البلاد والعباد مطالبون بأن تظل هذه المحبة ماثلة في اذهاننا لاهجة بالدعاء الدائم له ترحما ومغفرة والوقوف الى جامعتنا الحبيبة (المنهل) بالكتابة فيها ودعمها ماديا عن طريق الاشتراكات والاعلانات التي هي عصب كل مطبوعه وكل ما يؤدي الى نفعها مادياً ومعنوياً فهي بحاجه الى هذا العون لعلمي بقلة مواردها وضآلة مدخولاتها خاصة مع متطلبات الطباعة الحديثة وما يدخل في شؤونها من فرز الالوان الى غير ذلك من توظيف وخلافه.

نعم هي بحاجة الينا، الى رفاق الدرب والمحبة، إلى تلاميذها من اصدقاء أصفياء وكتاب أوفياء وغيرهم، الى من أحب الانصاري صدقاً وحقيقة وعرف جهاده وكفاحه وصبره وجلده وأدبه وعلمه نعم اليهم ذلك فالمنهل منا والينا واستمرارية نجاحه وتألقه مفخرة لنا ومشعلا وضاء في سماء الأدب السعودي في الداخل والخارج.

ورحم الله استاذنا ومعلمنا وعالمنا الجليل وباحثنا القدير ولغوينا الضليع ومؤرخنا وأديبنا النحرير عبد القدوس الانصاري واسكنه فسيح جناته لقاء ما قدم وأخرج لنا من تراث أدبي وتاريخي سيظل خالدا ينهل منه كل طالب علم على مر التاريخ والعصور. وبالله التوفيق.

على خضران القرني

«نائب رئيس النادي الادبي بالطائف»

المنهل:

لا يسعها إلا أن تتقدم بخالص الشكر والتقدير الى الأديب الأستاذ/ على خضران القرني - نائب رئيس النادي الأدبي بالطائف - والى كل محبي المعرفة والعلم - على ما أبداه تجاه مجلته المنهل وصاحبها - متمنيا له ولناديه الأدبي والى كل من يسعى على درب العلم والعلماء كل التوفيق والتقدم والرقي والازدهار.

الهندسة الوراثية ما لها وما عليها

في جامعة الأزهر عقدت مؤخراً ندوة بعنوان: «الآثار الدينية والأخلاقية لأبحاث الهندسة الوراثية والتكنولوجيا الحيوية».

في العقد الأخير من هذا القرن تكثفت وتتابعت دراسات وأبحاث الهندسة الوراثية، وتنوعت وتوسعت تطبيقاتها، على الانسان والحيوان والنبات.

وظهر جدل كبير حول مدى استخدامات هذه التقنية الحديثة، وما حدود الإفادة منها.. لا سيما وهي سلاح ذو حدين، وكان التخوف الاكبر في أن يخرج أصحاب هذه التقنية في التعامل معها عن الدائرة الاخلاقية والانسانية.. لهذا، ظهرت اصوات عدة تنادي بضرورة التزام هذه التقنية الحديثة بالجانب الاخلاقي والانساني.

وتناغماً مع هذا الجهد المبذول نحو الالتزام جاءت هذه الندوة لتأطير الجانبين (العلمي والأخلاقي) في اطار واحد ليكون النفع أفضل واشمل.

وجمعت الندوة بين الأطباء والأساتذة المختصين في علم الوراثة وعلماء الدين.

تحدث الاطباء والمختصون حول الهندسة الوراثية وتقنيتها وما تستطيع ان تقدمه للانسانية من خدمات جليلة، ويترتب عليها تحقيق انجازات مستقبلية في الاعراض التشخيصية والعلاجية في الانسان والحيوان، والزراعة والصناعة والبيئة.. وعن طريق الهندسة الوراثية أمكن القضاء على الامراض الوراثية، وذلك بالتوصل إلى الجين الحامل للمرض، وغيرها من الأمراض.

وعلماء الدين تركز حديثهم حول ضرورة التزام هذا العلم بالناحية الاخلاقية والاجتماعية والانسانية والدينية.. وبناء على القاعدة الشرعية (لا ضرر ولا ضرار) يكون التعامل مع معطيات هذا العلم الحديث.

الى العلامة الدكتور محمد رجب البيومي

لقد قرأت ما سطرة العلامة الأديب الأستاذ محمد رجب البيومي في المجلة المحبوبة (المنهل) العدد ٥٥٢ عن الاستاذ الكبير أحمد شفيع السيد وإذا بي وأنا أقرأ فهارس الموضوعات قبل قراءتي للمجلة أجد أن الدكتور/ البيومي يكتب عن الاستاذ أحمد شفيع، *قلت: إن الدكتور البيومي قد كتب مقالين سابقين* بمجلة الأزهر قديماً عن الأستاذ أحمد شفيع وقد قرأتهما في حينهما عدد جمادى الاولى سنة ١٤٠٨هـ وعدد جمادى الآخرة سنة ١٤٠٨هـ وقلت: هذا ليس من دأب الدكتور البيومي ولا من أخلاقه أن يكتب المقالة ثم ينشرها في مجلتين. وقرأت (المنهل) وإذا بي أجد تغيُّرا ملحوظاً من حيث الصياغة ومن حيث الكتابة وتغايراً في تناول الشخصية، وأقول سبحان من علّم هذا الرجل العلم وبوأه هذه المرتبة العالية.

وقد أعطى الدكتور/ البيومي أسلوباً أخاذاً وعبارة حلوة فهو أديب مطبوع ومؤلفاته الكثيرة تشهد بذلك، ولا أخفي ما بنفسي فأنا شديد الإعجاب بكل ما يسطره وأقرأ له في عدد من المجلات وأتابع كتاباته في دأب ومن هذه المجلات (مجلة الأزهر الغراء) يكشف لنا الدكتور البيومي فيها عن شخصيات عظيمة تلقت تعليمها في الأزهر وتخرجت منه، تحت عنوان (من أعلام الأزهر) ويتطرق لشخصيات نسيها العلماء ونسيها الطلاب أيضاً وكم تمنيت من الله تعالى وسألته راجياً أن يقيض من العلماء من يكشف لنا عن هؤلاء الأعلام ويجليهم لنا، فاستجاب الله الدعاء، وقيض الدكتور البيومي فهو يكتب لنا عن شخصيات فريدة في علمها وعملها، في أنصع صورة وأجلى بيان وكذلك مجلة (منبر الاسلام) ومجلة (المنهل) وأحياناً في مجلة (الوعي الاسلامي) ومجلة (منار الاسلام) ومجلة (التصوف الاسلامي).

أسأل الله العليّ القدير أن يديم للدكتور البيومي الصحة والعافية وطول الأجل ليمتعنا بما يكتبه ويسطره من علم وأدب رصين.. اللهم آمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

«ابراهيم مصطفى فتح الباب»

- مصـــر -

ندوة الرحلات الى شبه الجزيرة العربية

انطلاقا من اهتمام دارة الملك عبد العزيز في العناية بتاريخنا وتراثنا الوطني، ودعما للمشروعات العلمية التي تعنى بتحقيقها، تنظم الدارة ندوة «الرحلات الى شبه الجزيرة العربية» بمدينة الرياض وذلك في الفترة من ٧ ـ ٩/٨/١٤٢٠هـ الموافق ١٣ ـ ١٥/١١/١٩٩٩م.

الأهداف العامة للندوة:

١ ـ التعرف على الرحالة والمبعوثين على مختلف اجناسهم الذين زاروا شبه الجزيرة العربية منذ بداية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي إلى منتصف القرن الرابع عشر الهجري/ العشرين الميلادي وحصر ما كتبوه عن المنطقة.

٢ ـ التعرف على دوافع الرحالة، والمبعوثين، وأهدافهم من خلال ما ظهر من أوراقهم، وما صدر من مؤلفاتهم.

٣ ـ التعرف على تاريخ المنطقة الاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي من خلال كتابات الرحالة والمبعوثين وتقاريرهم، ومشاهداتهم، ووثائقهم.

٤ ـ إلقاء الضوء على القيمة العلمية لكتابات الرحالة والمبعوثين والمهتمين بها بوصفها مصدراً من مصادر تاريخ شبه الجزيرة العربية.

٥ ـ دراسة هذه الكتابات، وتقديم التحليل المناسب لها.

٦ ـ تقويم كتابات الرحالة، والمبعوثين، وتصحيح أخطائها ومغالطاتها.

٧ ـ تقويم ما ترجم من كتابات الرحالة والمبعوثين.

محاور وموضوعات الندوة:

تناقش الندوة المحاور والموضوعات الأساسية التالية:



المحور الأول: الرحالة والمبعوثون العرب الذين زاروا شبه الجزيرة العربية منذ القرن ١٠هـ/ القرن ١٦م إلى منتصف القرن ١٤هـ/ القرن ٢٠م.

المحور الثاني: الرحالة والمبعوثون الغربيون الذين زاروا شبه الجزيرة العربية منذ القرن ١٠هـ/ القرن ١٦م إلى منتصف القرن ١٤هـ/ القرن ٢٠م.

المحور الثالث: الرحالة والمبعوثون الآسيويون الذين زاروا شبه الجزيرة العربية منذ القرن ١٠هـ/ القرن ١٦م إلى منتصف القرن ١٤هـ/ القرن ٢٠م.

المحور الرابع: دوافع الرحالة والمبعوثين وأهدافهم.

المحور الخامس:

١ ـ قيمة الرحلات الى شبه الجزيرة العربية بوصفها مصدراً من مصادر جغرافية شبه الجزيرة العربية وتاريخها الاقتصادي والسياسي.

٢ ـ تقويم الرحلات المترجمة الى اللغة العربية.

بحوث الندوة:

يراعي في البحوث المقدمة ما يلي:

١ أن يكون البحث أصيلا ولم يسبق نشره أو الاشتراك به في ندوة اخري.

ـ أن يكون البحث موافقاً لأهداف الندوة وضمن محاورها.

ـ أن يكتب البحث باللغة العربية أو الإنجليزية على صفحة قياس (A4)وأن ترسم الخرائط والأشكال بطريقة علمية على ورق الكلك الشفاف وأن تكون الصور واللوحات التوضيحية أصلية.

ـ أن يرفق ملخص للبحث في حدود ٢٥٠ كلمة.

ـ أن يرفق مع البحث قرص حاسب آلي على برنامج (Mac) أو (Microsoft Word) .

ـ آخر موعد لتلقي الابحاث نهاية ربيع الآخر ١٤٢٠هـ الموافق ١١ أغسطس ١٩٩٩م.

المراسلات:

ـ اللجنة التحضيرية لندوة (الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية) دارة الملك عبد العزيز ـ ص.ب ٢٩٤٥ الرياض ١١٤٦١

أعلام الألفية الجديدة

الإعلام العربي الإسلامي يعيش حاضراً من التحديات، إما أن يحقق فيها وجوده ويثبت ذاتيته كإعلام له خصوصيته وهويته العربية الاسلامية التى ينبغى الحفاظ عليها نقية طاهرة، أو يذوب في السيل الجارف لإعلام الغرب.

وهذا الموضوع بكل جزئياته وتفاصيله ناقشته الندوة التى عقدت بعنوان (الاسلام والرد على افتراءات الاعلام الغربي) وقد عقدت الندوة في المجلس الاعلى للشئون الاسلامية.

ركز المشاركون في اعمال هذه الندوة على ضرورة أن يكون إعلامنا على مستوى المسئولية العلمية والثقافية والفكرية والأخلاقية وبخاصة فيما يتعلق بمجموعة الدعاوى والأكاذيب الذى ينشرها أعداء الاسلام على المسلمين مما ينبغى تتبعها والرد عليها.

وعلى الاعلام الاسلامى والعربى تقع مسئولية جمع الكلمة، والدعوة الى الوحدة، ونشر الحق والخير بين الناس، والابتعاد عن التبذل، وعن كل ما يحطم الشخصية المسلمة.

إصدارات

مجلة الأدب الاسلامي
العدد العشرون العام ١٤١٩هـ

بهذا العدد العشرين أكملت مجلة الأدب الإسلامي الفصلية سنتها الخامسة، وقد اشتمل هذا العدد على موضوعات كثيرة متنوعة.. فمن المقالات والبحوث: نحو منهج إسلامي في المسرح للدكتور غازي طليمات، ونظرات في الشعر العربي في القرن العشرين للأستاذ الأديب راضي صدوق. وقراءة في ديوان مدائن الفجر للأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين، كما تضمن حواراً مع الدكتور حسن بن فهد الهويمل.

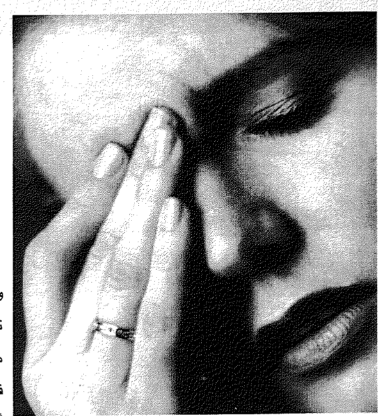
أما في مجال الإبداع فنحن نقرأ قصيدة لفواز الشروقي بعنوان: «دموع من أجل ليلى»، وقصيدة لرفعت المرصفي بعنوان: «رباعيات إلى الوجه الجميل» وقصيدة «رحلت يا أسد الآداب» لخليفة بن عربي، كما تضمنت قصيدة طويلة بعنوان «ستار» للدكتور حيدر الغدير عن نزار قباني.

وفي مجال القصة تضمن العدد قصة مترجمة عن الأدب الأردي بعنوان «الستار» ترجمة د. سمير عبد الحميد، وقصة أخرى بعنوان «عرف الديك» لحسني سيد لبيب، وفي العدد مسرحية عنوانها «الرضا» لفيصل غمري.

هذا بالإضافة إلى الأبواب الثابتة مثل تراث الشعر والنثر، وعنوانه في هذا العدد «بر الآباء» ومكتبة الأدب الإسلامي، وردود ومناقشات، والأقلام الواعدة، وأخبار الأدب الإسلامي.

أما الورقة الأخيرة فهي بعنوان «العقاد يتحدث إلى كتبه» للدكتور عبد الرزاق بن حمود الزهراني ويلي ذلك كشاف عام بالموضوعات والكتاب للأعداد الأربعة الأخيرة ١٧ ـ ٢٠ المجلد الخامس.

الساعة ال
على الاي



النوم حاجة يومية وتوقيته مبرمج في الداخل

ادرك علماء الفسيولوجيا منذ فتره طويلة، اهمية ايقاعات البيئة ودوراتها، خاصة تعاقب الليل والنهار كل اربع وعشرين ساعة، كعامل يؤثر في حياة الانسان ويحددها، فالانسان شأنه في ذلك شأن بقية المخلوقات، يخضع للتناوب في كثير من وظائفه الفسيولوجيه، كتناوب النوم واليقظة وتكوين النشا الحيواني في الكبد والتقلبات في درجة الحرارة، فكل هذه العمليات تحدث بانتظام كل اربع وعشرين ساعة.

ولما كانت هذه التغيرات تجري وفقاً لما يدعى «دورة يومية» وتحدث ـ بصرف النظر عن ترابطها أو استقلالها ـ على امتداد دورة الليل والنهار، أي طيلة أربع وعشرين ساعة، فإنها تشكل أساس ما يدعى «الساعة البيولوجية».

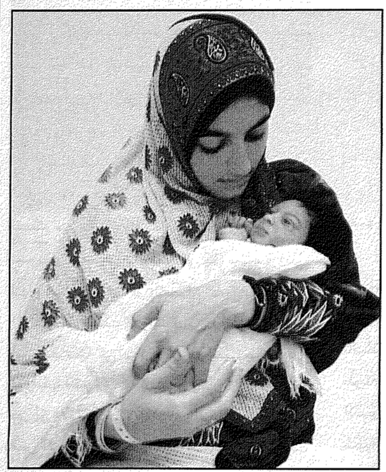
ولهذه الايقاعات اليومية اهمية بالغة، فإذا توقفت أو حتى اختلت على نحو سريع أو مفاجيء، فإن ذلك قد يؤدي الى اضطرابات فسيولوجية وسيكولوجية عنيفة، ومن المعتقد أن العوامل البيئية على سطح الأرض، وخاصة تعاقب الليل والنهار، هي بمثابة جهاز للتزامن، فهي تحقق تزامن فترات الايقاعات البشرية اليومية مع الأربع وعشرين ساعة في مقياس الوقت المحلي.

كلنا يعرف مثلا أن من المستحيل أن يحرم الانسان تماماً من النوم لعدة أيام دون أن يتأثر عمله واداؤه بصورة واضحة، وإذا سافر بالطائرة في رحلة لا تستغرق الا بضع ساعات من الشرق الى الغرب أو بالعكس، فإن حرارة الجسم قد لا يمكنها التكيف مع التوقيت المحلى الجديد الا بعد فترة تمتد الى خمسة عشر يوماً، وهي الظاهرة

محمد عوده جمعة
ـ الاردن ـ

...بيولوجيه وتأثيرها
...قاعات اليومية

التي تعرف علميا باسم «قصور النفاثات» أى القصور الناجم عن استخدام الطائرات النفاثة، إن الاشخاص الذين يستخدمون الطائرات النفاثة للسفر الى بلاد يختلف توقيتها عن توقيت مكان الاقامة الاصلي، يحدث لديهم هذا القصور الزمني بسبب الانفصام بين الساعات الزمنية وساعات الجسم الداخلية التي تنظم حياة الانسان اليومية، فعند وقت معين من الليل يتسلل الى جسم الانسان الاحساس بالتعب والخمول حتى يذهب الى النوم، وفي الصباح الباكر تبدأ هذه الساعة في ايقاظه لكي يبدأ يوماً جديداً مشرقاً، يحدث ذلك حتى لو لم ينم بقدر كاف اثناء الليل، لكن اذا تغيرت طبيعة حياة الانسان وانتقل الى منطقة ذات توقيت مختلف فإنه يصاب لعدة ايام باعراض القصور الزمني، وهي الاحساس بالتعب في اوقات غير مناسبة وعدم القدرة على النوم في الليل، وعدم الاحساس بالجوع في الاوقات المعتادة والشعور



الطفولة والأمومة تناسق متكامل .. وسبحان الله الخالق

بالقلق وزيادة الحساسية.

وقد تأسس حديثاً علم جديد يسمى «كرونوبيولوجي» أي التأثير الدوائى بدالة الزمن، فقد لوحظ أن الجسم عندما يكون خاضعاً للتزامن

(أي عندما يكون خاضعاً للدورة اليومية العادية التي يبلغ طولها ٢٤ ساعة) فإن تأثير كثير من الأدوية يتفاوت بحسب وقت تعاطيها، ويترتب على ذلك أن اى تغير في مدة دورة النوم واليقظة أو في أى دورة اخرى من دورات الجسم، قد يؤثر على فاعلية الدواء فيغير أو يعكس تأثيره العلاجي.

وقد اجريت التجارب على استخدام الهيبارين في الاوعية الدموية لمنع تخثر الدم عن طريق تثبيت مضخة في جسم المريض تحقنه بصورة منتظمة بقدر ثابت من الهيبارين، وقد ظهر من هذه التجارب أن حقن الهيبارين في فترة منتصف الليل يؤدي الى حدوث نزيف داخلي، بينما يؤدي حقنه في النهار المبكر الى تخثر (تجلط) الدم في العروق، وقد نبهت هذه التجارب الى ضرورة التحكم في مقدار الهيبارين الذي يجب اعطاؤه للمريض المصاب بالجلطة في كل ساعة اثناء النهار سواء بالزيادة أو النقصان.

كذلك اوضحت الدراسات أن فاعلية العقاقير المستخدمة في علاج الاورام السرطانية في حيوانات التجارب تختلف من وقت الى آخر، فقد تبين أن الآثار الجانبية لهذه العقاقير تكون في بعض الاحيان قليلة جدا عند استعمالها في وقت معين من اليوم، وعند تطبيق هذه المشاهدات على الانسان، لوحظ أن علاج الثدي المصاب بالسرطان باستخدام الاشعة والعقاقير عند الساعة السادسة صباحاً اقل فاعلية عنه إذا أجري اثناء الليل، وهذا يعتبر بداية الطريق في نظام جديد لعلاج مثل هذه الحالات، وهو ما يسمى بالعلاج بـ(دالة الزمن) من اجل زيادة فاعلية الدواء، وقد افاد هذا العلم الجديد في التشخيص المبكر لسرطان الثدي عند السيدات قبل انتشاره وتحوله الى نوع خبيث.

ومن الممكن قياس درجة حرارة الثدي كل نصف ساعة بواسطة اجهزة دقيقة حساسة لتغيرات درجات الحرارة مع تدوينها اثناء ساعات اليوم بواسطة الكمبيوتر، وتساعد هذه الطريقة على اكتشاف اى تغيرات غير طبيعية في انسجة الثدي، وبدأت الدراسة باكتشاف أن درجة حرارة الثدى تتغير خلال الـ ٢٤ ساعة من اليوم، وخلال ايام الدورة الشهرية، إن خلاصة هذه التجارب هو أن تغيرات درجة حرارة الثدي المصاب بالورم السرطاني تعطى صورة مختلفة تماماً عن تلك التي تظهر في الثدي السليم اثناء مرحلة الدورة الشهرية.

إن الدور الذي تؤديه الساعة البيولوجية في حياتنا لا يقتصر على التطبيقات العلاجية والتشخيصية، انما لها تأثير ايضاً على تكاثر النباتات والحشرات، فقد ادرك العلماء منذ مدة طويلة أن الحيوانات والنباتات تبدر منها أنواع من السلوك ترتبط بدورات معينة، وهذا السلوك ليس سببه حافز خارجي كشروق الشمس مثلا، وانما يحدث نتيجة لوجود منبه داخلي أو ساعة بيولوجية، فقد لوحظ أن بعض النباتات ترتفع اوراقها نحو السماء قبل شروق الشمس بساعة كي تلتقط اولى الفوتونات، وهذه الدورات تستمر حتى وإن عاشت النباتات والحيوانات في ظلام دامس.



وقد توصل العلماء الى اكتشاف الجين الذي يتحكم في الزمن البيولوجي للنبات، فهذا الجين يسيطر على الايقاعات البيولوجية للنباتات المختلفة، وهو الذى يحدد حركة الاوراق وتفتح المسام يومياً، وهو الذي يضع الجدول الزمني لتفتح الزهور ودورات التخليق الضوئي، ويعتقد العلماء أن بامكانهم الاعتماد على هذا الجين في زراعة البساتين ونباتات الزينة، بل انهم ينوون استغلاله في الزراعة بصفة عامة وتجربته على الانسان، ويرى كثير من الباحثين أن بعض الامراض والعلل التى يعانى منها عدد غير قليل من الناس، بما في ذلك بعض اشكال الاكتئاب النفسي، سببها خلل في الساعة البيولوجية.

وفي السنوات الاخيرة وجد العلماء جينات معينة تتحكم في الايقاعات البيولوجية لذباب الفاكهة وعفن الخبز والبكتيريا، وهي الكائنات التى تتكاثر ويحدث لها دورات نمو فجائية في اوقات محددة من النهار، واعتمدوا في ابحاثهم على المقارنة بين الكائنات التى تعيش في اطار جدول زمني معين وبين الكائنات التى تعيش خارج هذا الجدول وتحققوا من نوعية الجينات التى اختلفت عن غيرها، الا أن هذا البحث كان اكثر صعوبة فيما يتعلق بالنباتات لأن الايقاعات اليومية الاساسية كتلك التى تتحكم في التخليق الضوئى تشغيلا وايقافاً، تصعب رؤيتها وتميزها في النباتات.

التعريف والتنكير في القرآن الكريم

يتحدث الزمخشري عن المعاني الإضافية للتعريف. وعنده أن:

أ - التعريف بأل أو اللام قد يأتي (للعهد) كقوله تعالى {وليس الذكر كالأنثى} جاء في الكشاف: معناه: وليس الذكر الذي طلبت كالأنثى التي وهبت لها. ونحوه (فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإنّ الجحيم هي المأوى} جاء في الكشاف: «والمعنى: فإن الجحيم مأواه كما تقول للرجل: غضّ الطرف تريد طرفك. وليس الألف واللام بدلا من الإضافة ولكن لما علم أن الطاغي هو صاحب المأوى وأنه لا يغض الرجل لطرف غيره تركت الإضافة. ودخول حرف التعريف في المأوى والطرف للتعريف لأنهما معروفان».

ب - وقد يكون التعريف (بأل) مفيداً للجنس. كقوله تعالى: {والسلام عليَّ يوم وُلِدْتُ ويوم أموتُ ويوم أبْعثٍ حيّاً} جاء في الكشاف: وتحقيقه أن اللام للجنس. فإذا قال: وجنس السلام عليَّ خاصة فقد عرض بأن ضده عليكم. وكقوله تعالى: {يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله}. جاء في الكشاف: فإن قلت لم عرّف الفقراء؟ قلت قصد بذلك أن يريهم أنهم لشدة افتقارهم إليه هم جنس الفقراء، وإن كانت الخلائق كلهم مفتقرين إليه من الناس وغيرهم لأن الفقر ممّا يتبع الضعف وكلما كان الفقير أضعف كان أفقر. وقد شهد الله سبحانه على الإنسان بالضعف في قوله {وخُلِقَ الإنسانُ ضعيفاً} وقال الله سبحانه وتعالى: {الله الذي خلقكم من ضعف} ولو نكر لكان المعنى أنتم بعضُ الفقراء.

واستغراق الجنس مع المفرد أشمل. من ذلك قول الزمخشري في قوله تعالى: (وبشِّر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أنَّ لهم جنّات تجري من تحتها الأنهار).

«اللام في الصالحات - للجنس - فإن قلت: أي فرق بين لام الجنس داخلة على المفرد وبينها داخلة على المجموع؟ قلت: إذا دخلت على المفرد كان صالحاً لأن يراد به الجنس إلى أن يحاط به وأن يراد به بعضه إلى الواحد منه. وإذا دخلت على المجموع صلح أن يراد به جميع الجنس وأن يراد به بعضه لا الى الواحد منه لأن وزانه في تناول الجمعية في الجنس وزان المفرد في تناول الجنسية والجمعية في جمل الجنس لا في وحداته[١].

وقد تكون (موصولة) ويكون المشتق معها مرادفاً لفعله نحو {ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين}. جاء في الكشاف: (- من الظالمين - من الذين ظلموا أنفسهم بمعصية الله). ونحوه (إن

بقلم: د. تامر سلوم سلوم
استاذ البلاغة بجامعة الملك فيصل
- السعودية -

المصَّدِّقين والمصَّدِّقات وأقرضوا الله قرضا حسناً يضاعف لهم ولهم أجر كريم) جاء في الكشاف: «فإن قلت: علام عطف قوله ـ وأقرضوا ـ ؟ قلت: على معنى الفعل في المصَّدِّقين لأن اللام بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى اصدقوا كأنه قيل: إن الذين اصدقوا وأقرضوا».

وقد تكون كمالية أو للكمال في الصفة. نحو (وأولئك هم الغافلون) ـ أي ـ الكاملون في الغفلة. وكقوله (آلم ذلك الكتاب) معناه: إن ذلك الكتاب هو الكتاب الكامل كأن ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص وأنه الذي يستأهل أن يسمى كتاباً، على أن هناك دلالات أخرى ـ وقف عندها الزمخشري ـ حيث يكون التعريف نائبا عن المضاف إليه، أو يكون مفيداً للإبهام، أو على تأويل التنكير[٢].

فالتعريف أو اللام من قوله تعالى {وعلّم آدم الأسماء كلها} ـ الأسماء كلها ـ أي أسماء المسميات. فحذف المضاف إليه لكونه معلوماً وعوّض منه اللام كقوله تعالى {واشتعل الرأس}.

أما الإبهام فكقوله تعالى {فإذا نزل بساحتهم فساء صباحُ المنْذَرين} يقول الزمخشري: «والمعنى فساء صباح المنذرين صباحهم واللام في المنْذَرين (مبهم) في جنس من أنذروا لأن ساء وبئس يقتضيان ذلك.

ومن تأويل التنكير قوله تعالى: {واصبر نفسك مع الذين يدعون ربَّهم بالغداة والعشيِّ} يقول الزمخشري: بالغداة والعشي ـ دائبين على الدعاء في كل وقت .. وإدخال اللام على تأويل التنكير كما قال: والزّيدُ زيدُ المعارك، ونحوه قليل في كلامهم.

ومما تجدر الإشارة إليه أنه قد يجتمع غرضان أو أكثر في معرض واحد من ذلك[٣]:

أ ـ جواز العهد والجنس. كقوله تعالى: {ومن النَّاس منْ يقول آمنّا} لام التعريف فيه للجنس ويجوز أن تكون للعهد والإشارة إلى الذين كفروا.

ب ـ جواز العهد والإنابة من الإضافة. كقوله تعالى {الم غلبت الروم في أدنى الأرض}. يقول الزمخشري: «والأرض أرض العرب لأن الأرض المعهودة عند العرب أرضهم ـ أو أراد أرضهم على إنابة اللام مناب المضاف إليه: أي في أدنى أرضهم إلى عدوّهم».

جـ ـ جواز العهد والجنس والنائبة من الإضافة: كقوله تعالى {أنّ لهم جنَّات تجري من تحتها الأنهارُ} يقول الزمخشري: «وأما تعريف الأنهار فأن يراد الجنس... (الذي) في علم المخاطب أو يراد أنهارها فعوض التعريف باللام من تعريف الإضافة كقوله ـ واشتعل الرأسُ شيبا ـ أو يشار باللام إلى الأنهار المذكورة في قوله ـ فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ـ .

د ـ جواز الجنس أو الإنابة عن الإضافةكقوله تعالى {وأنزل معهم الكتاب بالحق} ـ الكتاب ـ يريد الجنس أو مع كل واحد منهم كتابه.

وهناك التعريف باسم الموصول. ومن معانيه الإضافية ـ عند الزمخشري ـ

أ ـ التفخيم أو التعظيم. كقوله تعالى {فأوحى إلى عبده ما أوحى} وقوله {إذ يغشى السِّدرة ما يغشى} وقوله {فلما وضعتها قالتْ: ربِّ إنّي وضعتها أنثى والله أعلمُ بما وضعتْ}.

ب ـ التحقير والتصغير كقوله تعالى {وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه بل له ما في السموات والأرض كلٌّ له قانتون} جاء في الكشاف: «فإن قلت: كيف جاء بما التي لغير أولي العلم مع قوله قانتون؟ قلت: كأنه جاء بما دون من تحقيراً لهم وتصغيراً لشأنهم كقوله {وجعلوا بينه وبين الجنَّة نسباً}.

جـ ـ التمييز أو التفرقة بالوصف كقوله تعالى {قل يا أيها الكافرون لا أعبدُ ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد} جاء في الكشاف «فإن قلت: فلمَ جاء على ما دون من؟ قلت: لأن المراد الصفة كأنه قال: لا أعبد الباطل ولا تعبدون الحق»·

وهناك التعريف باسم الإشارة، ومن معانيه الثانية عند الزمخشري:

أ ـ التوكيد والاستحقاق كقوله تعالى{أولئك على هدى من ربِّهم} جاء في الكشاف: «وفي اسم الاشارة الذي هو ـ أولئك ـ إيذانٌ بأنّ ما يرد عقيبه فالمذكورون قبله أهل لاكتسابه من أجل الخصال التي عددت لهم كما قال حاتم: ولله صعلوكُ· ثم عدّد له خصالا فاضلة ثم عقب تعديدها بقوله:

فــذلك إن يـهلكْ فــحــسنى ثناؤه

وإن عـاش لم يقعـد ضـعيفاً مـدمما

ب ـ التفخيم والتعظيم· كقوله تعالى: {ربَّنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار} جاء في الكشاف: «وفي ـ هذا ـ ضرب من التعظيم كقوله ـ إنّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ـ وقوله (قالت فَذَلِكُنَّ الذي لُمْتُنَّني فيه) جاء في الكشاف «قالت فذلكن ولم تقل فهذا وهو حاضر رفعاً لمنزلته في الحسن واستحقاق أن يحب ويتفنن به واستبعاداً لمحله·

جـ ـ التحقير والتصغير كقوله {وما هذه الدنيا إلا لهوٌ ولعبٌ} جاء في الكشاف ـ هذه ـ فيها ازدراء للدنيا وتصغير لأمرها·

أما التعريف بالإضافة ـ فمن معانيه الثانية التي ذكرها الزمخشري في كتابه (المفرد والمؤلف)·

أ ـ التخصيص كقولك: (غلامُ زيد) لأن الإضافة بمعنى اللام الموضوعة للخصوصية· وقد تصطبغ بروح اعتزالية كقوله تعالى (سبحان ربِّك ربّ العزة عما يصفون} جاء في الكشاف : «أضيف الرب إلى العزة لاختصاصه بها كأنه قيل ذو العزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق·

ب ـ البيان ـ والإضافة فيها مرادفة (من) كقوله تعالى {وما يُتْلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء} جاء في الكشاف: فإن قلت الإضافة في يتامى النساء ما هي؟ قلت: إضافة بمعنى (من) كقولك: عندي سحق عمامة· وقوله تعالى (قالوا أضغاثُ أحلام) والإضافة بمعنى (من) أي أضغاث من أحلام: والمعنى هي أضغاث أحلام·

وقد يختلط هذا المعنى بمعنى آخر كالتبعيض كقوله تعالى (ومن الناس منْ يشتري لهو الحديث)· جاء في الكشاف: «فإن قلت ما معنى إضافة اللهو إلى الحديث؟ قلت: معناها التبيين وهي الإضافة بمعنى منْ وأنْ يضاف الشيء إلى ما هو منه كقولك صفة خز وباب ساج، ويجوز أن تكون الإضافة بمعنى من التبعيضية كأنه قيل: ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو منه·

جـ ـ الملابسة: وقد تكون، الإضافة لأدنى ملابسة كقوله تعالى (وجاهدوا في الله حقَّ جهَاده) جاء في

الكشاف: «فإن قلت: ما وجه هذه الإضافة، وكان القياس حق الجهاد فيه أو حق جهادكم فيه كما قال- وجاهدوا في الله - ؟ قلت الإضافة تكون بأدنى ملابسة واختصاص. وفي المفصل «ويضاف الشيء الي غيره بأدنى ملابسة بينها.

د - التفخيم والتعظيم . كقوله تعالى (هذه ناقة الله لكم آية فذروها) جاء في الكشاف: (أضيفت - الناقة - إلى اسم الله تعظيما لها وتفخيما لشأنها). ومن هذا الوادي قوله تعالى {إنما أمرْتُ أن أعبد ربَّ هذه البلدة} جاء في الكشاف: «البلدة: مكة المكرمة حرمها الله تعالى. اختصها من بين سائر البلاد بإضافة اسمه إليها لأنها أحب بلاده إليه وأكرمها عليه وأعظمها عنده. وهكذا قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حين خرج في مهاجره فلما بلغ الحزورة استقبلها بوجهه الكريم فقال: إني أعلمُ أنّك أحبُّ بلاده الله إلى الله، ولولا أنَّ أهلك أخرجوني ما خرجت.

هـ - الاستهزاء والتوبيخ والتهكم كقوله تعالى (ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقُّون فيهم) جاء في الكشاف: شركائي - على الإضافة إلى نفسه حكاية لإضافتهم ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء بهم.

و - الاستحقاق: كقوله تعالى {إذا زُلْزلت الأرض زلزالها} معناه زلزالها الذي تستوجبه في الحكمة وهو مشيئة الله وهو الزلزال الشديد الذي ليس بعده، ونحوه قولك: أكرم التقي إكرامه وأهن الفاسق إهانته. تريد ما يستوجبانه من الإكرام والإهانة.

ز - الاستعطاف والتحسر كقوله تعالى {وتولى عنهم وقال: يا أسفا على يوسف} جاء في الكشاف: «يا أسفا - أضاف الأسف وهو اشد الحزن والحسرة إلى نفسه، والألف بدلا من ياء الإضافة - وهو دليل على تمادي أسفه على يوسف وأنه لم يقع فائت عنده موقعه. وأن الرزء فيه مع تقادم عهده كان غضا عنده طريا ولأن الرزء في يوسف كان قاعدة مصيباته التي ترتب عليها الرزء في ولده. فكان الأسف عليه أسفاً على من لحق به[٤].

وإذا ما انتقلنا إلى ظاهرة (التنكير) فإننا نجد الزمخشري يشير إلى معان ثانية غير التبعيض. كالتقليل، والتكثير والشمول، والتنكير على نيّة التعريف، ومن أجل تنكير آخر، والتخصيص أو النوع والإبهام والتفخيم والتعظيم، والكمال في الصفة[٥].

١ - فمن التنكير الذي يفيد (التقليل) تنكير (شيء) من قوله تعالى: (ولَنَبْلوَنَّكُمْ بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات) وقوله تعالى {ورضوان من الله أكبر} أي قليل من رضوان الله أعظم من هذا المتاع الكثير[٦].

٢ - التكثير: ومنه قوله تعالى {فيها عينٌ جارية} يريد عيوناً في غاية الكثرة كقوله - علمت نفسٌ - ومنه قوله تعالى {أن تقول نفسٌ يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله} إذ المراد بالتنكير في (نفس) التكثير كما قال الأعشى:

ورب بقيع لو هتفت بجوه

أتاني كريم ينفض الرأس مغضبا

وهو يريد أفواجا من الكرام ينصرونه لا كريماً واحداً، ونظيره ربّ بلد قطعت ورب بطل قارعت وقد

اختلس الطعنة ولا يقصد إلا التكثير.

٣ ـ الشمول. ومنه قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة}. ففي تنكير الفاسق والنبأ شياعٌ في الفساق والأنباء كأنه قال أي فاسق جاءكم بأي نبأ فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الأمر وانكشاف الحقيقة.

ومنه قوله تعالى {وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون}. قوله ـ على ذهاب به ـ من أوقع النكرات وأحزّها للمفصل. والمعنى على وجه من وجوه الذهاب به وطرق من طرقه، وفيه إيذان باقتدار المذهب وأنه لا يتعاي عليه شيء إذا أراده[٧].

٤ ـ على نية التعريف: ومنه قوله تعالى: {قال موعدكم يوم الزينة وأن يُحْشَر الناس ضحى} يقول الزمخشري: «ويجوز على قراءة الحسن أن يكون موعدكم مبتدأ بمعنى الوقت وضحى خبره على نية التعريف فيه لأنه ضحى ذلك اليوم بعينه[٨].

٥ ـ من أجل تنكير آخر: كقوله تعالى {ربنا هبْ لنا من أزواجنا وذُرِّيَّاتنا قرّة أعين} يقول الزمخشري: فإن قلت: لم قال قرّة أعين فنكر وقلل؟ قلت: أما التنكير فلأجل تنكير القرة لأن المضاف لا سبيل الى تنكيره إلا بتنكير المضاف إليه. كأنه قيل هب لنا منهم سرورا وفرحاً. وكقوله تعالى: {إنما صنعوا كيد ساحر} حيث نكرّ من أجل تنكير المضاف لا منْ أجل تنكيره في نفسه كقول العجاج: «في سعي دنيا طالما قد مدت..» كأنه قيل إن ما صنعوا كيد سحري وفي سعي دنيوي[٩].

٦ ـ التخصيص أو النوع: كقوله تعالى (فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل) جاء في الكشاف ـ فهل إلى خروج ـ أي إلى نوع من الخروج سريع أو بطيء ـ وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط وإنما يقولون ذلك تعللا وتحيراً ومنه قوله تعالى (وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذابٌ عظيم)، جاء في الكشاف ومعنى التنكير أن على أبصارهم نوعاً من الأغطية غير ما يتعارفه الناس، وهو غطاء التعامي عن آيات الله، ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه إلا الله[١٠].

٧ ـ الإبهام: من ذلك قوله تعالى {يوم يكشف عن ساق ويُدْعَوْنَ إلى السجود فلا يستطيعون} جاء في الكشاف: فإن قلت: فلم جاءت منكرة في التمثيل؟ قلت: للدلالة على أنه أمر مبهم في الشدة منكر خارج عن المألوف.. ومنه تنكير (أرضاً) من قوله تعالى (اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا}. جاء في الكشاف: أرضاً ـ أرضاً منكورة مجهولة بعيدة عن العمران وهو معنى تنكيرها وإخلائها من الوصف، ولإبهامها من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المبهمة[١١].

٨ ـ التفخيم والتعظيم: من ذلك قوله تعالى {ألر. تلك آيات الكتاب وقرآن مبين}. جاء في الكشاف: وتنكير القرآن للتفخيم، وقوله تعالى {وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم}. أيّ من عند أي حكيم وأيّ عليم. وهذا معنى مجيئهما نكرتين[١٢].

٩ ـ الكمال في الصفة: ومنه قوله تعالى {هذا هُدًى} جاء في الكشاف: أي هذا القرآن كامل في الهداية كما تقول زيد رجل تريد كامل في الرجولية وأيما رجل. وكقوله تعالى {يُبشِّرهم ربُّهم برحمة منه

ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم} جاء في الكشاف: «وتنكير المبشر به لوقوفه وراء صفة الواصف وتعريف المعرف».

وكتنكير (شُغُل) من قوله تعالى {إن أصحاب الجنة اليوم في شُغُل فاكهون} أي في أي شغل، وفي شغل لا يوصف»[١٣].

والشأن في التنكير كالشأن في التعريف فقد يلتقي غرضان أو أكثر في موقف واحد من المواقف الآنفة الذكر. فهناك (الإبهام والتبعيض) كقوله تعالى {أم على قلوب أقفالها} حيث في تنكير القلوب وجهان:

أن يراد على قلوب قاسية مبهم أمرها في ذلك، أو يراد على بعض القلوب وهي قلوب المنافقين. وهناك (التبعيض والشمول)، كما في قوله تعالى {يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكنَّ خيراً منهُنَّ) حيث تنكير القوم والنساء يحتمل معنيين: أن يراد لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض أو أن تقصد إفادة الشياع وأن تصير كل جماعة منه منهيّة عن السخرية. (والنوع والتبعيض) كقوله تعالى (ليمسَّن الذين كفروا منهم عذاب أليم) أي نوع شديد الألم من العذاب ويجوز أن تكون للتبعيض على معنى ليمسن الذين بقوا على الكفر منهم.

والتعظيم والتخصيص كقوله تعالى: {إن الذي فرض عليك القرآن لرادُّك إلى معاد} جاء في الكشاف - إلى معاد - أي معاد ليس لغيرك من البشر وتنكير المعاد لذلك.

والتعظيم والتبعيض) كقوله تعالى (فيه شفاء للناس). جاء في الكشاف وتنكير شفاء إما لتعظيم الشفاء الذي فيه أو لأن فيه بعض الشفاء وكلاهما محتمل. (والكمال في الصفة والتبعيض) كقوله تعالى {وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم}. جاء في الكشاف ونحو التنكير فيه ما في قول كثير:

لئن كان يهدي برد أنيابها العلى
لأفقر مني إنني لفقير

أراد: إنني لفقير بليغ الفقر حقيق بأن أوصف به لكمال شرائطه فيّ وإلا لم يستقم معنى البيت. وكذلك قوله {هذا صراط مستقيم} يريد صراط بليغ في بابه بليغ في استقامته جامع لكل شرط يجب أن يكون عليه ويجوز أن يراد هذا بعض الصرط المستقيمة توبيخاً لهم على العدول عنه والتفادي عن سلوكه.

- للموضوع صلة -

الهوامش:

(١) الزمخشري: الكشاف - طبعة الحلبي بمصر ١٩٦٦ - ٣/٣٠٤ والكشاف ١/٢٥٥.
(٢) الكشاف: ٤/٦٥ والكشاف ٣/٤٧.
(٣) الكشاف: ٣/ ٢٤١.
(٤) الكشاف ٢/١٥٧ والكشاف ٣/٦٥.
(٥) الكشاف ٢/ ٥٠٨ والكشاف ٣/٣٢٧ - ٣٢٨ والكشاف ٢٧٩.
(٦) الكشاف ١/ ٢٢٣.
(٧) الكشاف ٣/ ٢٨.
(٨) الكشاف ٢/ ٥٤٢.
(٩) الكشاف ٢/ ٥٤٥.
(١٠) الكشاف ٣/ ٤١٨ والكشاف ١/ ٢٦٥.
(١١) الكشاف ٤/ ١٤٧ والكشاف ٢/ ٣٠٥.
(١٢) الكشاف ٢/ ٣٥٨ والكشاف ٣/ ١٣٧.
(١٣) الكشاف ٣/ ٣٢٦ والكشاف ٣/ ٥١٠ والكشاف ٢/١٨٠.

من أسرار الهجرة

في هذه اللحظات التاريخية المباركة ونحن والعالم الإسلامي أجمع نقف أمام مشارف عام هجري جديد، فذكرى هجرة الرسول [صلى الله عليه وسلم] تسجل للمسلمين مجداً دائما لا يبيد، وتحرك في نفوسهم واقع القدوة والاتباع وتضع أمام أعينهم معالم الجهاد النبوي الظافر، إن ذكرى الهجرة تهيب بالمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أن يترسموا خطاه وأن يسيروا على نهجه حتى يرفعوا راية النصر كما رفعها [صلى الله عليه وسلم]، وفي هذا الجو المشحون بالذكريات الغالية والأمجاد العالية ومع مطلع كل عام هجري جديد نأمل أن يكون موقظا لشعور الشعوب العربية والإسلامية وحافزا للهمم وهاديا إلى شرف الغاية.

وعند حلول كل عام هجري جديد يستقبله كل مسلم وكل مسلمة، فتعاوده ذكرى هجرة رسول الله سيدنا محمد [صلى الله عليه وسلم]. من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة في سبيل الدين. تلك الهجرة التى استمدت روحها وخطها من وحي الله، ونسجها من خلق رسول الله، واستقرت أحداثها ومقاصدها في قلوب ومسامع الأجيال مثلا مضروبا لقواد الإنسانية عامة وقادة المسلمين خاصة، يستلهمون منها الصبر على المكاره، والاستمساك في مزالق الفتن، والاستبسال في مواطن المحن والاستشهاد في سبيل المبدأ الحق والاعتقاد الصادق.

لقد بلغ الرسول [صلى الله عليه وسلم] رسالة ربه، حين أمره فى قوله سبحانه **{وأنذر عشيرتك الأقربين}** (الشعراء/ ٢١٤). ثم جهر بدعوته، وصدع بالحق الذى جاء به حين نزل عليه قول ربه في القرآن الكريم: **{فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين}** (الحجر/ ٩٤).

وإذا تلمس العرب والمسلمون اليوم أسبابا تصلهم بمستقبل ظافر مشرق مجيد يستعيدون فيه كيانهم الممتاز، ومجدهم السامق وحضارتهم الفريدة، وهم حين يسيرون في سبيل تحقيق هذا الأمل العزيز. فإنهم يجدون من الضرورى المحتم أن يستقرئوا تاريخهم الأغر، وماضيهم المحشود بالمآثر والمفاخر، ليستلهموا منه القبس الذى يضيء لهم درب النصر، ويعلمهم كيف يبنون المستقبل، وهم يضعون في حسابهم سنن الحياة، ونواميس الكون، ويستمدون المعونة ممن تخضع هذه النواميس لإرادته فإنه وحده الذى إذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون.

إن هذا الماضى الزاخر بالدروس القيمة، لابد أن يكون ماثلا أمام الأبصار والبصائر فإننا معاشر العرب والمسلمين مشدودون بحبال وثيقة إلى هذا التراث الخالد، وإلى ذلك النبي القائد وصحابته البررة الأماجد، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها وإننا لو استعرضنا الذكريات الاسلامية لوجدنا أن حادث الهجرة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة أبرز حادث في تاريخ الإسلام كله.. ذلك أنه كان

بقلم: فيصل صالح أسعد
- جدة -



فرقانا بين عهدين متمايزين في تاريخ الدعوة بل وفي تاريخ العالم كله، عهد كان فيه الحق حبيساً بين شعاب مكة مضغوطا على أنفاسه بالبطش والانتقام، من أعداء الحق وأعوان الشر وعصبة البغي والضلال.. وعهد صار الحق فيه صوته المدوى وكيانه المستقل تعطى للفرد حريته وكرامته وتمنحه أمنه وسعادته، وتهيء للمجتمع ازدهاره وطمأنينته وعزته وسيادته، إن عظمة هذا الحادث لتتألق عبر العصور والدهور بالدرجة التى عبر عن سموها تخير الفاروق عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - لعام الهجرة ليكون مبدأ لتاريخ الإسلام إذ بخطوات النبي {صلى الله عليه وسلم} ليلة الهجرة تفتحت مغاليق الخير على البشرية جمعاء.. لتحيل مواتها إلى حياة، وذبولها الى انتعاش وحركة وحيوية.. وكأن أقدام النبي {صلى الله عليه وسلم} كانت تطمس في تلك الليلة الكريمة معالم الضلال والكفر والإلحاد.. فإذا السيل المؤمن بعدها يجرف الوثنية والإباحية والكسروية والقيصرية والعنجهية والجاهلية.. ويقيم مكانها حصون الأخوة الإسلامية والمودة الإنسانية والتعالى على كل قوة بشرية والخضوع التام للجدير بالخضوع والعبودية حتى ظهر الجنى الطيب لما غرسه الرسول المجاهد من عقيدة ومبادىء.

معنى الهجرة في اللغة :

ومفهوم الهجرة اللغوى يوحي بترك الوطن، وعلماء اللغة يقولون: هجرة الشيء تركه إلى غير رجعة والهجرة ضد الوصل، قال ابن منظور في لسان العرب: الهجرة - بكسر الهاء - والهجرة - بضمها - الخروج من أرض إلى أرض. وقد لا يتلفت الهاجر الى المكان الذى يهجره ولا يتذكره، وربما لا يطرأ له على بال، بعكس المهاجر - من هاجر - الذى لا ينسى وطنه، ولذلك يقال: هاجر النبي {صلى الله عليه وسلم} ، ولا يقال: هجر، ويقال: المدينة مهاجر المسلمين ولا يقال: مهجرهم. وقال الأزهري - فيما يحكيه صاحب لسان العرب أيضا - وأصل المهاجرة عند العرب خروج البدوى من باديته إلى المدن، يقال: هاجر الرجل إذا

فعل ذلك، وكذلك كل تارك مسكنه منتقل إلى قوم آخرين بسكناه فقد هاجر قومه. قال: وسُمِّي المهاجرون مهاجرين لأنهم تركوا ديارهم ومساكنهم التي نشأوا فيها لله، ولحقوا دارا ليس لهم فيها أهل ولا مال حين هاجروا إلى المدينة المنورة، فكل من فارق بلده من بدوي أو حضري أو سكن بلداً آخر فهو (مهاجر) والاسم منه (هجرة)، قال الله تعالى: **{ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة}** (النساء/ ١٠٠).

وكل من أقام من البوادى بمباديهم ومحاضرهم في القيظ، ولم يلحقوا بالنبي {صلى الله عليه وسلم} ولم يتحولوا إلى أمصار المسلمين التى أحدثت في الإسلام وإن كانوا مسلمين فهم غير مهاجرين، وليس لهم في الفيء نصيب ويسمون الاعراب. وهناك فرق بين (هاجر) و(تهجر) يوضحه حديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حيث يقول: (هاجروا ولا تهجروا).

ومعناه كما شرحه أبو عبيد «اخلصوا الهجرة لله، ولا تشبهوا بالمهاجرين على غير صحة منكم، فهذا هو التهجر، وهو كقولك: فلان يتحلم وليس بحليم ويتشجع وليس بشجاع - لسان العرب مادة هجر.

الهجرة في التاريخ الإسلامي:

من الأمثال الشهيرة لا كرامة لنبي في وطنه لذلك هاجر كل الأنبياء فما من نبي إلا كانت له هجرة، فكان على الأنبياء أن يتركوا القوم الذين أصموا آذانهم وأغلقوا عقولهم عن دعوة هؤلاء الأنبياء الكرام لينطلقوا في الآفاق يبشرون بدين الله ويدعون إلى الله ولقد هاجر الأنبياء جميعهم وسوف أذكر بعض أمثلة لهجرة بعضهم عليهم السلام جميعاً:

١ - هاجر نوح عليه السلام هجرته الكبرى مع الطوفان وترك واديه الذى كان يقيم فيه إلى حيث مقره الجديد الذى استوت فيه سفينته على الجودى.

٢ - وهاجر ابراهيم «أبو الأنبياء» من أرض العراق الى أرض الشام، وكانت حياته سلسلة من السياحات حيث رحل من الشام إلى مصر ثم عاد إلى فلسطين، ثم رحل إلى مكة المكرمة مصطحباً معه وليده إسماعيل وأمه هاجر في واد غير ذي زرع، وكان ذلك بأمر من ربه لحكمة ظهرت فيما بعد حيث أمره الله برفع القواعد من البيت، وأمره أن يؤذن في الناس بالحج اليه. وفي هجرة ابراهيم - عليه السلام - قال الله تعالى: **{وقال إنى مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم}** (العنكبوت/ ٢٦).

٣ - وهجرة موسى - نبيا رسولا - بقومه معروفة وكانت في القرن الخامس عشر قبل الميلاد، وقد صحبتها معجزات باهرات آخرها فلق البحر ومروره على أرض يبست بقدرة الله - على الرغم من مرور ملايين السنين لم ينقطع عنها الماء.

٤ - وهاجر عيسى مع أمه حين توجست الخوف من بنى إسرائيل على وحيدها، ففرت به إلى مصر حيث يقول بعض المفسرين ذلك عند قوله تعالى: **{وءاويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين}** (المؤمنون/ ٥٠) وبعضهم يذكر أماكن غير مصر، القرطبي جـ ١٢ ص ١٢٦.

إلا أنهم جميعا متفقون على رحيل مريم بوليدها من المكان الذى ولدت فيه إلى مكان آخر خوفا عليه.

الهجرة تضحية وفداء وتأييد من الله:

الهجرة شهادة صدق وتأييد لصاحبها بأنه يؤثر ما يريده الله على هوى نفسه ويضحي بأعظم محبوب لدى الإنسان وهو الوطن في سبيل العقيدة الصحيحة التى آمن بها، والتى يضحى من أجلها بكل عزيز وغال.

والهجرة بمعناها الأعم ضرب من الجهاد، بل هى قمة الجهاد، وهى باقية غير منقطعة ما دام هناك استضعاف وحيلولة بين المرء وقدرته على الجهر بالحق، قال الله تعالى في شأن هؤلاء الذين يؤثرون البقاء في ظل الذل والاستكانة والخوف: **{إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة**

فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا، إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا} (النساء/ ٩٧، ٩٨).

ولقد فهم قوم على عهد النبي {صلى الله عليه وسلم} أن الهجرة انقطعت بالفتح كما يفهم من ظاهر اللفظ فأرشدهم النبي {صلى الله عليه وسلم} إلى أن الهجرة ماضية الى يوم القيامة، أورد ابن عبد البر في كتابه (الاستيعاب في معرفة الأصحاب) في ترجمة جنادة بن أميمة الأزدي الخبر الآتي: قال جنادة: إن رجالا من أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} اختلفوا فقال بعضهم: إن الهجرة قد انقطعت. فقال النبي {صلى الله عليه وسلم}«لا تنقطع الهجرة ما كان الجهاد» (الاستيعاب ١/٢٤٩).

دروس وعبر من حادث الهجرة:

أولا: ان أول ما توحي به تلك الذكرى العطرة أن المسلم لا يمكنه أن يرضى بالضيم.. أو يقبل الذل والقيد، إنه يتمتع دائما بالإباء والشمم والعزة والسيادة فإن رسوله العظيم هو الذى علم البشرية كيف تأبى الهوان، مهما تحملت من مصاعب وشدائد ولو كان من هذه المصاعب هجران الوطن وفيه مستقر الآباء والأجداد، ومطمح الآمال والأمجاد ومسكن الأهل والأولاد. ذلك أن المسلم يسترخص كل عزيز ونفيس في سبيل دينه وعقيدته وإبائه وحريته فقد تعلم من الإسلام أنه خلق حراً فلا ينبغى أن يستعبد، وعزيزا فلا ينبغى أن يستذل، بل إن قرآنه يناديه أنه لو خضع للذلة ولم يهاجر فإن مأواه جهنم وبئس المصير: **{إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا}** (النساء/ ٩٧)، وإذا كان المتسلطون الجبارون يحيكون له المؤامرات، ويحكمون من حوله الحلقات، فإن حرارة الإيمان في قلبه تصهر كل قيد ولو كان من حديد وما عليه إلا أن يبذل ما في استطاعته، ثم يلجأ إلى الحفيظ العليم، فإذا هو محفوف بكل عناية محاط بكل رعاية، مؤيد بكل قوى الأرض والسماء. **{ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عزيزا حكيما}** (الفتح/ ٧).

بهذه الدوافع الإيمانية انطلق الرسول وصحبه يهاجرون من بلد ضيقت عليهم الخناق ودبرت لهم المكائد، واتخذت كل وسيلة لإطفاء نور الله.. إلى بلد بايعت ووثقت بيعتها مرتين، وبدا منها الوفاء والإصرار على حماية هذه الدعوة ونشرها في الآفاق، بعد أن حبب الله إليها الإيمان، فنفذ شعاعه إلى أعماقها فاستعدت للتضحية والفداء.

وإذا كان في هذا معنى الإباء عن الضيم والإذلال والاضطهاد فإن فيه بنفس الدرجة إيماء وتوجيها للمسلم ألا يتطرق إليه يأس أو قنوط مهما ادلهم الخطب، ومهما أظلم الليل.. إن الأمل في نصر الله يسير دائما في ركابه ويعيش باستمرار في ظله أينما سار.. وإذا كانت البيئة التى يحيا فيها قد ظهر جدبها، واضمحلت أرضها، فإن أشعة الأمل تخترق حجب الظلام، وتريه المنفذ الذى يخلص منه كريما إلى بيئة أخصب، ووطن أنسب يتمتع فيه بالحرية، ويعيش فيه بعقيدته ومبادئه طليقا من كل قيد بعيدا عن كل ظلم وإجحاف يدعو الى الله في جو من العقل والمنطق والإقناع.. لا تتحكم فيه سيطرة الباغين، ولا رغبة المتسلطين، إن هذا ما كان من سيد الخلق محمد {صلى الله عليه وسلم} من بدء الدعوة كان يمر على أصحابه وهم يعذبون.. وكان يناله قسط كبير من الإيذاء والتهكم فلا يزيد على أن يبدو منه هذا الأمل المشرق في كلمات يخاطب بها قريشا في ثقة من المستقبل ويقين من النصر وبهذا الأمل الحى كان ينصح أصحابه أن يهاجروا إلى الحبشة مرتين قائلا: «تفرقوا في الأرض فإن الله سيجمعكم»، وبهذا الأمل كذلك كان يعرض نفسه على القبائل يدعوها إلى حماية تلك الدعوة الإلهية. ورغم أن معظمهم كان يرده رداً

غير جميل. فما كان يفت في عضده أو ينال من حماسته أو يضعف من عزيمته وبهذا الأمل وبتلك العزيمة الماضية فتح الله أمامه باب المدينة المنورة لتكن منطلقا للدعوة ،وقاعدة تنبعث منها الكتائب الإسلامية المظفرة إلى مختلف الجهات تنشر النور في الآفاق، وتزرع الحب بين الناس وتخرجهم من ظلمات الجهل والكفر والوثنية إلى أضواء الإيمان والعلم والمعرفة والحضارة.

ثانيا: لقد كان من الممكن المستطاع أن ينتصر النبي الكريم {صلى الله عليه وسلم} دون أن يرى هذا الإيذاء وذلك الاضطهاد، ودون أن يخوض تلك المعارك العنيفة مع أعوان الباطل لو أراد الله ذلك فإنه سبحانه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء فلقد كان من الممكن أن يدعو النبي {صلى الله عليه وسلم} على قومه المعاندين فيلحق بهم ما لحق بالمستهزئين الكفرة السابقين. بل إن ملك الجبال قد أتاه وهو عائد من الطائف يعرض عليه أن يدمدم عليهم الجبال، أو يخسف بهم الأرض فما كان من النبي {صلى الله عليه وسلم} إلا أن قال: «لا بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبده وحده لا شريك له».

لقد كان من الممكن هذا أو ذاك ولكن دين الإسلام بما فيه من صلاحية للتطبيق في كل عصر وحين، وبما فيه من اتساق مع سنن الكون الماضية عبر التاريخ كله.. أراد الله له أن ينتشر بالجهد البشرى والكفاح الإنسانى، المصحوب بمعونة السماء ليخط الطريق أمام الأجيال، طريق النصر الذى لا يحتاج إلى معجزات، ولا يعتمد على الخوارق حتى لا يتعلل الاتباع يوما في إهمالهم لاتخاذ القوة.. بأن المعجزة خاصة بالأنبياء والرسل. لقد رسم الرسول {صلى الله عليه وسلم} بجهاده الفريد، وهمته الوثابة، وتحمله الكبير.. رسم بهذا لأمته والعالم أجمع كيف تنتصر الأمم والشعوب، وكيف يعلو صوت الدعوات الإلهية وكيف تنجح النهضات الاصلاحية إن الجهد والعمل والكفاح ضرورة لا محيص عنها حتى تنزل معونة السماء، هكذا علمنا رسول الله، وهكذا علم الحياة فليتعظ بذلك اتباع رسول الله وليأخذوا منه نبراساً يضيء لهم طريق الكرامة والظفر.

ثالثا: لقد ضرب سيدنا علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - مثلا رائعا للشباب المؤمن حينما طلب منه أن ينام في مرقد النبي {صلى الله عليه وسلم} وهو يرى السيوف تلمع أمام البيت متعطشة للري من دم النبي الذى ينام في هذا الفراش.. لقد أملت عليه العقيدة القوية والايمان الراسخ أن يستجيب للطلب وأن ينفذ الأمر الموكل إليه بلا هيبة ولا تردد حتى ولو كان يشعر أن في استجابته احتمال إهدار دمه وإزهاق روحه وهى أغلى ما يعتز به الإنسان وهكذا يكون الشباب المؤمن يستخدم بسالته وإقدامه وكل طاقاته في سبيل دينه وعقيدته، وإذا تحدثنا عن العقيدة الإسلامية ودورها في ذلك الحادث العظيم.. فإننا نرى كل حركات المشتركين في الحادث نابعة من تلك العقيدة إنه لولاها ما حمل أبو بكر الصديق معه كل ما يملك. ولولاها ما خرجت ابنته أسماء من مكة تحمل المؤونة للرسول وصاحبه في الغار.. ولما تحملت لطمة أبى جهل لعنة الله عليه وهو يسألها عنهما فتقول لا أدري.. وهكذا تستطيع الفتاة المؤمنة أن تقوم بجلائل الأعمال حينما تعمر العقيدة القوية نفسها، وحينما تجد التربية الإسلامية الصحيحة، ولولا العقيدة ما تقبل الأنصار هذا العهد وتلك الحماية، وهم يعلمون يقينا أنها ستكلفهم أموالهم وحياتهم. ولما بدا منهم الإيثار لإخوانهم المهاجرين على نحو لم يحدثنا التاريخ عن شبيه له في عصوره المديدة.. لم نسمع من غيرهم أنهم آووا ونصروا واقتسموا الدور والأموال بروح صافية، ونفوس راضية تستحق الاشادة والثناء من رب الأرض والسماء: **{والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم**

خصـاصـة، ومن يوق شحَّ نفسـه فـأولئك هم المفلحـون} (الحشر/ ٩).

رابعا: ولولا العقيدة ما استطاع الرسول [صلى الله عليه وسلم] أن يؤلف بين قلوب الأوس والخزرج ولا أن يمسح من نفوسهم آثار الجاهلية بأحقادها وأضغانها وثاراتها.. فإن التآلف بينهم كان معجزة لا تحدث إلا بفضل الله وتأثير العقيدة **{وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم}** (الأنفال/ ٦٣)، بل انه لولا العقيدة ما استطاع الحب والألفة والتعاطف أن تجد لها سبلا سهلة ميسرة بين المهاجرين والأنصار، وللعقيدة شعاعها النفاذ، وسببها الموصول ورباطها المتين، الذى يعلو ويفوق كل رباط جاهلى من مصالح أو قوميات أو عنصريات. لقد وقف كفار مكة الموتورون الباحثون عن كل اتجاه عن محمد وصاحبه اللذين أفلتا من تنفيذ المؤامرة المدبرة بدار الندوة حين مكروا ومكر الله والله خير الماكرين.. وقف هؤلاء القرشيون الموتورون أمام الغار وعلى مرأى النظر يبحثون عنه ويفتشون وكلهم أمل في الفوز بالجعالة القيمة التى رصدتها قريش لمن يأتى بمحمد حيا أو ميتاً.. حينذاك نظر الصديق أبو بكر من الغار فساوره الخوف والقلق على رسول الله وعلى مستقبل الاسلام، فقال يارسول الله، لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا فيهدىء الرسول الكريم من روع أبى بكر الصديق فيقول له الرسول الواثق من رعاية الله: (يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما لا تحزن إن الله معنا)، وإنه لموقف مشهود مازالت اشعاعاته وهيبته وعظمته تسرى في الكون لتعمق الإيمان بمن خلق هذا الكون.. وإنه ليعتبر وحده انتصارا باهرا على الفئة الباغية الطاغية وكفاه خلودا أن يذكر الله به في كتابه الكريم قائلا: **{إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم}** (التوبة/ ٤٠).

بناء المسجد أول عمل للرسول في المدينة:

لقد كان أول عمل قام به رسول الله [صلى الله عليه وسلم] في دار الهجرة المنورة أن شرع يبنى المسجد ليكون الاجتماع في بيت الله والانطلاق للدولة الجديدة الناشئة من رحاب هذا البيت وباسم رب هذا البيت وليكون تنبيها للبشر أن يحرصوا في بناء الدولة على الأساس الروحى حتى تدوم سيادتها وقوتها، فأية أمة لا تجعل الدين عمادا لها فلن يدوم لها مجدها ولن تستمر حضارتها ولقد وجد في وطنه الجديد مجتمعا مكونا من المهاجرين والأنصار والمنافقين واليهود والمشركين، فأخذ ينظم علاقات هذه الطوائف بعضها ببعض، وقابل كل فرقة بالعلاج الذى يصلحها.. فأما المهاجرون والأنصار فقد جمع بينهما بالمؤاخاة فكانا فريقا واحدا هم عضد الاسلام وحصنه المتين، ولقد أثنى الله عز وجل عليهم في قوله تعالى: **{والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم}** (الأنفال/ ٧٤).

وأما المنافقون فقد تركهم الرسول للأحداث تكشف نواياهم وأحقادهم، فالقرآن الكريم يفضح تصرفاتهم وتحركاتهم وأما اليهود فقد كان المفروض فيهم وهم أهل كتاب سماوى أن يعضدوا هذه الدعوة الإلهية الخاتمة التى يجدون أخبارها عندهم في التوراة ولكن الحقد أعمى أبصارهم والحسد مزق نياط قلوبهم فلم يدخلوا في الدين الجديد ومع ذلك فقد ضرب الرسول المثل الأعلى في معاملتهم وعقد معهم معاهدة سلم وحسن جوار ولكنهم ما لبثوا أن خانوا العهد ونقضوا الميثاق كما هى طبيعتهم الدنيئة دائما، ودبروا للرسول وللاسلام في الخفاء.. فأدبهم رسول الله على خيانتهم، وأما المشركون فقد رأى النبي المربي الحكيم

أن نور الدعوة الباهر لابد أن يضيء أبصارهم وأن يفتح قلوبهم الغُلف لصوت الحق الذى يجهر به القرآن الكريم .. وقد كان .. وظل الرسول {صلى الله عليه وسلم} يبنى ويرفع البناء ويشيد ويدعم الأسس والقواعد لبناء الدولة الاسلامية بالمدينة حتى تكونت للإسلام قوة رادعة تحمي الدعوة في انطلاقها نحو القلوب المتعطشة لهداية السماء..

الهجرة الواجبة والمستمرة:

وبعد هذه الجولة السريعة في رحاب الذكرى العطرة ذكرى هجرة الرسول وأصحابه الكرام تبقى الهجرة الواجبة والدائمة إلى الله سبحانه وتعالى هجرة المعاصى إلى الطاعة والعبادة وتقوى الله. إن من الخطر أن يقلد أهل الإسلام غيرهم، فإنها وإن كانت ظاهرية لكنها تجر إلى مشابهة ومشاكلة في أمور أخرى، تصرف عن حقائق الإسلام إلى أباطيل خصومه، وفي ذلك إضعاف لشخصية المسلم، بل إزهاق لميزاته ومميزاته.

فمن الهجرة المطلوبة في عصرنا ويحتم الإسلام أن نهجر تقاليد غيرنا، وأن نتحفظ في متابعتهم حذرا من الوقوع فيما يخالف أحكام الإسلام، وأعنى هؤلاء الذين فتنوا من المسلمين وافتتنوا بمحاكاة الأمم غير المسلمة في عاداتهم وأزيائهم وسلوكهم حتى فيما ينافى المروءة والغيرة يحسبونه هينا، وهو عند الله عظيم، إذ أن هذا التقليد - دون حذر - طريق انحلال الأمم وفنائها، وتسلط غيرها عليها بعد ذوبان مقوماتها.

وفي ذكرى الهجرة النبوية الشريفة يلزمنا هجرة السوء وتركه أيا كان نوعه أو وصفه ونسقه وأن نهاجر إلى الله بعبادته كما فرض وأمر، وبإحسان معاملة الخلق، كما أرشدنا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في الكثير من أقواله، بل وفي سلوكه ومودته ومحبته للناس وإيثاره إياهم بكل خير، والوقوف معهم في كل محنة والنزوع بهم الى كل سلوك حميد أو محمود وعلى المسلمين جميعهم أن يهجروا الخيانة ما ظهر منها وما بطن في الأقوال والأفعال، وعليهم الصدق مع الله ومع رسوله لينعموا في دنياهم ويوم لقاء ربهم وليصدق القول العمل، ولنكن من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، ونبتعد عن المراء والجدل لتتوثق صلاتنا، وتزداد مودتنا، وتعود أمتنا إلى متانة بنيانها وحسن أخلاقها وصدق تعاونها، وليدرس أهل الإسلام سيرة الهجرة ومسيرها درس استنباط ليأخذوا منها الهدى والحل لأزماتهم المتلاحقة التى حاقت بالمسلمين فأوهنت البنيان وزلزلت الأقدام وتقلصت الأواصر التى كانت للأمة رباطاً.

لقد أسست الهجرة مجتمع المدينة، تقوده عقيدته وأخلاقه، مجتمعا تطهر من نزوات الطيش والبطش والاستغلال واستقرت فيه الفضائل حتى أشربت بها عقول المسلمين وقلوبهم، فكانوا هداة صالحين قادة، بهم تم البناء وفيهم كمل الدين، وأصبحت بهم المدينة قاعدة لأمة فاضلة لم تلبث أن عبرت هدايتها إلى الآفاق في كل اتجاه.

إن على المسلمين أن يتذكروا ماضيهم ليصلحوا به حاضرهم، ويؤمنوا طريق مستقبلهم، ملتزمين بأوامر الله في القرآن وبسنة رسول الله: إنهم إن فعلوا ذلك ارتفعوا لعمرى فوق الأحداث، وهانت تحت اقدامهم الخطوب، وتلاشت عنهم الكروب، واجتمع شملهم وتوحدت كلمتهم.

ومن هذا المنطلق ونحن على اعتاب عام هجري جديد لأدعو المسلمين عامة وعلماء المسلمين خاصة في كل أقطار الأرض أن ينصحوا الأمة، وأن يفصحوا عن كلمة الله التى حملهم إياها حتى لا تكون فتنة بين المسلمين وأن يكونوا جميعا على قلب رجل واحد.

وأخيرا أسأل الله ولديه الإجابة أن يجعل هلال شهر المحرم الجديد بشيرا لأمة الإسلام بالانتصار ليحل عليها السلام والوئام. إن ربى لسميع الدعاء وإنه لغفور رحيم.

من وحي الهجرة

شعر : رفعت عبدالوهاب المرصفى
- مصر -

رحل الرسول الى المدينة
ليُعز بالأنصار دينه
هجر الضلال وأهلهُ
ترك التآمر والضغينة
ما كان يبغى أنْ يفارق
مكة لولا الأمانة
ألمُ الفراق يهزه
ويعضُّ في النفس الحزينة
لكن أمر الله كان
لحكمة كانت ثمينة
فالناس في أم القرى
بالحق كانت مستهينة
كانوا عبيد حجارة
والفجر عاشوا يعشقونه

* * *

خرج الحبيب معززا
وعيونهم باتت سجينه
وجرى الردى من خلفه
حتى يحيد الكون دونه
هيهات ما يبغى الردى
ما كان شيئا أن يشينه
«فبغار ثور» قلعة
والعنكبوت بنى حصونه
وكبت جياد الغدر لما
هرولت حتى تخونه
وتبدد الحقد الدفين
وصارت الدنيا أمينه
ومضى الضياء يحفه
طُهر السريرة والسكينه
شاء الإله بأن يكون
حبيبه علم السفينه
مازال نورا باقيا
وقلاع إيمان حصينه
لله كانت هجرة
منها الدروس المستبينه
رحل الرسول الى المدينة
وأعزَّ بالأنصار دينهْ



دعوى أهل الجنة

حياة الإنسان في الدنيا رحلة سفر تقدر مدتها بعمره عليها، وخير الناس من طال عمره وحسن عمله وشرهم من طال عمره وساء عمله، ولا يستوى من خاف مقام ربه ونهى نفسه عن الهوى مع من طغى وآثر الحياة الدنيا على الآخرة {فأما من طغى. وآثر الحياة الدنيا، فإن الجحيم هى المأوي، وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوي. فإن الجنة هي المأوي}.

وفي القصص النبوي[١] عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة}.

فمن أجل النعم وأكرمها دخول الجنة ـ كما تقدم ـ وفيها ما فيها من رؤية الله وكلامه لأهلها ولذلك بعد استقرار أهل الجنة فيها يقولون (الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن،إن ربنا لغفور شكور، الذى أحلَّنا دار المقامة من فضله، لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب).

قال ابن كثير فيما معناه[٢] أزاح عنا الخوف من المحذور، وأراحنا مما كنا نتخوفه ونحذره من هموم الدنيا والآخرة، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في نشورهم، وكأنى بأهل لا إله إلا الله ينفضون التراب عن رءوسهم، ويقولون: الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن) وفي رواية: (.. وكأنى أنظر اليهم عند الصيحة، ينفضون رءوسهم من التراب، ويقولون: الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن، إن ربنا لغفور شكور).

ومن دعاء أهل الجنة بعد دخول الجنة وقرارهم بها يقولون (الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله). روى أبو هريرة[٣] ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (كل أهل الجنة يرى مقعده من النار، فيقول: لولا أن الله هدانى فيكون له شكرا، وكل أهل النار يرى مقعده من الجنة، فيقول: لو أن الله هدانى، فيكون له حسرة).

ودعوى أهل الجنة فيها (سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين). قال ابن كثير: أى هذا حال أهل الجنة. قال ابن جريج أخبرت بأن قوله: (دعواهم فيها سبحانك اللهم) قال: إذا مر بهم الطير يشتهونه، قالوا: سبحانك اللهم، وذلك دعواهم فيأتيهم الملك بما يشتهونه، فيسلم عليهم فيردون عليه، فذلك قوله: (وتحيتهم فيها سلام) قال: فاذا أكلوا حمدوا الله، فذلك قوله: (وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين).

ونقل ابن قيم الجوزية[٤] عن حفص بن سليمان بن طلحة بن يحيى بن طلحة عن أبيه عن طلحة بن عبيد الله قال: (سألت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عن تفسير: سبحان الله، فقال تنزيه الله عن كل سوء) فأخبر الله ـ تعالى ـ عن أول دعواهم إذا استدعوا شيئا قالوا: سبحان الله، وعن آخر دعواهم عندما يحصل لهم، وهو قولهم: الحمد لله رب العالمين.

ومعنى الآية أعم من هذا،



بقلم: أ.د. عبدالباسط أحمد حمودة
ـ مصر ـ

والدعوى مثل الدعاء، والدعاء يراد به الثناء، وفي الحديث أفضل الدعاء الحمد لله رب العالمين. فهذا دعاء ثناء، وذكر يلهمه الله أهل الجنة، فأخبر سبحانه عن أوله وآخره، فأوله تسبيح وآخره حمد يلهمونهما، كما يلهمون النفس.

الجنة موجودة الآن :

من تمام عقيدة المسلم، بل ومن دعائم الإيمان التصديق بوجود الجنة والنار الآن، وذلك ثابت بالعقل والنقل[٥] (لم يزل أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبة، وفقهاء الإسلام، وأهل التصوف والزهد، على اعتقاد ذلك وإثباته، مستندين في ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة، وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم، فإنهم دعوا الأمم إليها، وأخبروا بها، إلى أن نبغت نابغة من القدرية والمعتزلة فأنكرت أن تكون - يعنى الجنة والنار - مخلوقة الآن، وقالت بل الله ينشئها يوم القيامة).

وقد جاء في القرآن ما يدل على وجود الجنة والنار الآن من ذلك قوله في سورة البقرة {فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين} قال ابن كثير أرصدت وهيئت، وقد وردت أحاديث كثيرة في ذلك. وقال في تفسير قوله تعالى في سورة آل عمران {واتقوا النار التى أعدت للكافرين} (وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين) أى كما أعدت النار للكافرين، ثم قال: وقد روينا في مسند الإمام أحمد أن هرقل كتب إلى النبي {صلى الله عليه وسلم} إنك دعوتنى إلى جنة عرضها السموات والأرض، فأين النار؟ فقال النبي {صلى الله عليه وسلم}: (سبحان الله، فأين الليل إذا جاء النهار؟).

وروي أن ناسا من اليهود سألوا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عن جنة عرضها السموات والأرض، فأين النار؟ فقال لهم عمر : أرأيتم إذا جاء النهار أين الليل؟ وإذا جاء الليل أين النهار؟ فقالوا: لقد نزعت مثلها من التوراة.

وقد تحدث القصص النبوى عن صفة الجنة، وقد عقد البخارى بابا فيما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة[٦]، وعرض قصصا في ذلك عن عدد من أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ورضى عنهم، من ذلك ما روى عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (إذا مات أحدكم فإنه يعرض عليه مقعده بالغداة والعشى، فإن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار).

وعن عمران بن حصين عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر اهلها النساء).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: (بينا نحن عند رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إذ قال: بينا أنا نائم، رأيتنى في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت: لمن هذا القصر؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب، فذكرت غيرته، فوليت مدبرا. فبكى عمر وقال: أعليك أغار يارسول الله).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (قال الله: أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقرأوا إن شئتم: (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين).

ومن ذلك قوله {صلى الله عليه وسلم}: (إن في الجنة لشجرة يسير الراكب...) ونحو ذلك وعن سهل بن سعد[٧] - رضى الله عنه - عن النبي - قال: (في الجنة ثمانية أبواب، فيها باب يسمى الريان، لا يدخله إلا الصائمون).

وعن أبي ذر - رضي الله عنه - (كان النبي {صلى الله عليه وسلم} في سفر، فقال: أبرد، ثم قال، حتى فاء الفيء - يعنى للتلول - ثم قال: أبردوا بالصلاة، فإن شدة الحر من فيح جهنم) وعن أبي سعيد - رضي الله عنه - قال: قال النبي {صلى الله عليه وسلم} أبردوا بالصلاة، فإن شدة الحر من فيح جهنم).

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه سمع أبا هريرة - رضي الله عنه - يقول: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (اشتكت النار الى ربها، فقالت: رب أكل بعضي بعضا، فأذن لها بنفسين: نفس في الشتاء ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون من الحر، وأشد ما تجدون من الزمهرير).

وعن همام عن أبي جمرة الضُّبعي قال: (كنت أجالس ابن عباس بمكة، فأخذتني الحمى، فقال أبردها عنك بماء زمزم، فإن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: هي الحمى من فيح جهنم، فأبردوها بالماء، أو قال: بماء زمزم - شك همام -).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (ناركم جزء من سبعين جزءا من نار جهنم، قيل: يارسول الله، إن كانت لكافية، قال: فضلت عليهن بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها).

وفي قصة عن أسامة[٨] - رضي الله عنه - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} (قمت على باب الجنة، فكان عامة من دخلها المساكين، وأصحاب الجدِّ محبوسون، غير أن أصحاب النار قد أمر بهم إلى النار، وقمت على باب النار، فإذا عامة من دخلها النساء).

وفي قصة طويلة - سبق ذكرها - عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: (خسفت الشمس على عهد رسول الله {صلى الله عليه وسلم}) وفيها: (قالوا: يارسول الله رأيناك تناولت شيئا في مقامك هذا، ثم رأيناك تكعكعت[٩]، فقال: إني رأيت الجنة أو أريت الجنة، فتناولت منها عُنقودا، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا. ورأيت النار، فلم أر كاليوم منظرا قط..).

ومما أورده ابن كثير[١٠] في وجود الجنة، قد ثبت في الصحيحين عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (أنه رأى الجنة والنار ليلة الإسراء) وفي صحيح مسلم عن أبي مسعود: (أرواح الشهداء في حواصل طير خضر، تسرح في الجنة حيث شاءت، ثم تأوى إلى قناديل معلقة في العرش). وعن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه، أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (إنما نسمة المؤمن في طائر معلق في شجر الجنة، حتى يرجعها الله إلى جسده يوم يبعثه). وعن أبي هريرة مرفوعا: (لما خلق الله الجنة قال لجبريل: اذهب فانظر إليها) الحديث. وفي الصحيحين: (إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار) وقال في صفة سدرة المنتهى: (إن يخرج من أصلها نهران ظاهران ونهران باطنان. وذكر الباطنين في الجنة) وفي الصحيحين: (ثم أدخلت الجنة، فإذا جنادل اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك) وقال لبلال: (دخلت الجنة فسمعت خشف نعليك بين يدي في الجنة) الحديث. وفي الصحيحين: (رأيت عمرو بن عامر بن لحى الخزاعي (ابن قمعة بن خندف أخا بني كعب هؤلاء) يجر قصبه في النار).

وقال في آخر: (ورأيت فيها صاحب المحجن) وأخبر عن الرجل ينحى غصن شوك عن طريق المارة فقال: (فلقد رأيته يستظل به في الجنة) وفي صحيح مسلم عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (والذى نفسي بيده، لو رأيتم ما رأيت، لضحكتم قليلا، ولبكيتم كثيرا، قالوا: يارسول الله فما رأيت؟ قال: رأيت الجنة والنار).

وقال: (لما توفي ابراهيم ابن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (إن له لمرضعا في الجنة). وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (أولاد المؤمنين في جبل في الجنة، يكفلهم إبراهيم وسارة، حتى يردهم إلى آبائهم يوم القيامة).. وقال الله تعالى: {وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة} الآية، والجمهور على أن هذه الجنة جنة المأوى..

ومما يؤيد وجود الجنة والنار الآن من القصص النبوي[١١] في المسند وصحيح الحاكم وابن حبان وغيرهم من حديث البراء بن عازب قال: (خرجنا مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في جنازة رجل من

الأنصار - فذكر الحديث بطوله - وفيه: فينادي مناد من السماء أن صدق عبدى فافرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابا إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها) الحديث.

وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه، إنه ليسمع قرع نعالهم، فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، قال: فيقولان له: انظر الى مقعدك من النار، قد أبدلك الله به مقعدا في الجنة، قال نبي الله {صلى الله عليه وسلم} فيراهما جميعا).

وفي صحيح أبى عوانة الاسفراينى وسنن أبى داود من حديث البراء بن عازب - رضي الله عنه - الطويل في قبض الروح: (ثم يفتح له باب من الجنة، وباب من النار، فيقال هذا كان منزلك لو عصيت الله - تعالى - أبدلك الله به هذا، فإذا رأى ما في الجنة قال: ربِّ عجل قيام الساعة، كيما أرجع إلى أهلي ومالي، فيقال: اسكن).

جنة الخلد وجنة آدم - عليه السلام -:

اختلف العلماء في الجنة التي أسكنها الله آدم - عليه السلام - في قوله تعالى: {اسكن أنت وزوجك الجنة} هل هي جنة الخلد أم جنة أخرى؟ وهذه هى أهم الآراء في إيجاز[١٢]:

١ - إن الجنة التى أسكنها الله لآدم - عليه السلام - هى جنة الخلد التى يدخلها المؤمنون يوم القيامة، والتى سبق الكلام عليها.

٢ - إن الجنة التى أسكنها الله لآدم - عليه السلام - غير جنة الخلد، جعلها الله له وأسكنه إياها. وهذا قول تكثر عليه الدلائل الشاهدة له، والموجبة للقول به، وهذه الجنة أعدها الله لهما، وجعلها دار ابتلاء، وقيل إنها كانت في السماء، لأنه أهبطهما منها، وقيل إنها كانت في الأرض، لأنه امتحنهما فيها بالنهي عن الشجرة، وأن الإهباط حُمل على الانتقال من بقعة إلى أخرى، كما في قوله تعالى: (اهبطوا مصرا).

ونقل عن وهب بن منبه أن آدم - عليه السلام - خلق في الأرض، وفيها سكن، وفيها نصب له الفردوس، وأنه كان بعدن، وأن أربعة أنهار انقسمت من ذلك النهر الذى يسمى فردوس آدم، وهى أنهار سيحون وجيحون ودجلة والفرات.

ومن الأدلة على ذلك ما جاء في منتخب كنز العمال[١٣] عن أبى داود الطيالسى، وفي الزوائد عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، وعن الضياء المقدسي وغيرهم: (لما نزل بآدم - عليه السلام - الموت قال لبنيه: أي بني إنى أشتهى من ثمر الجنة، فانطلق بنوه يلتمسون..) الخ.

وعن ابن منبه عن أبى هريرة قال[١٤] (واشتهى آدم عند موته قطفا من الجنة التى كان فيها).. ولا يعقل أن يطلب أولاد آدم ذلك من الجنة التى في السماء، وهى جنة الخلد.

٣ - يرى جماعة من العلماء التوقف في هذه المسألة، لأن الكل ممكن والأدلة متعارضة فوجب ترك القطع وأن السكوت عن الكلام في هذا أفضل.. والله أعلم.

الهوامش:

(١) حادى الأرواح ص ١١٩.
(٢) تفسير القرآن العظيم جـ ٣ ص ٧٣٠.
(٣) المرجع السابق جـ ٢ ص ٢٨٩.
(٤) حادى الأرواح ص ٤٥٢.
(٥) حادى الأرواح ص ٣٧.
(٦) فتح الباري جـ ٦ ص ٣١٧ وما بعدها.
(٧) المرجع السابق ص ٣٢٨.
(٨) فتح الباري جـ ٩ ص ٢٩٨.
(٩) تأخرت.
(١٠) آخر الفتن والملاحم جـ ٢ ص ٣٩٤، ٤٠٦.
(١١) حادى الأرواح ص ٤٤ وما بعدها.
(١٢) حادى الأرواح ص ٥٢.
(١٣) جـ ٢ ص ٤٥٣.
(١٤) حادى الأرواح ص ٥٥.

إعجازات نبوية متجددة

إن آيات القرآن العظيم وأحاديث المصطفى {صلى الله عليه وسلم} هي في الأصل مناهج هداية وتشريع، ومناهج تربية لبناء النفس الإنسانية بناء سويا، يحقق عوامل الأمن والاطمئنان ويبعد عوامل الأذى والفساد، فأسرار الكون التي نكتشفها حيناً بعد حين بواسطة المخترعات المتطورة، وتوسع العلوم المختلفة، نجد أن القرآن الكريم أو الحديث الشريف قد أشار إليها أو أجملها منذ أكثر من أربعة عشر قرناً فتكون هذه إحدى الآيات المعجزة والدلالات الواضحة الجلية عن صدق رسالة الحبيب {صلى الله عليه وسلم} ، إذ أن كل رسول أرسله الله سبحانه وتعالى إلى قوم، قد خصه بآيات معجزة تدل على صدق رسالته، ولو تدبرنا في معجزات الرسل السابقين لوجدنا أنها معجزات خاصة بالأمم التي بعث فيها هؤلاء الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، حيث كانت المعجزات من جنس ما برعت فيه هذه الأمم، كما أنها تنتهي بموت الرسول {صلى الله عليه وسلم} الذي ظهرت علي يده.

أما القرآن الكريم وأحاديث المصطفى {صلى الله عليه وسلم} فقد حوت معجزات لا حصر لها تشمل جميع الأمم، والأزمنة والأماكن. فبالفصاحة والبلاغة والبيان تحدى الله بالقرآن الكريم العرب لأنهم أهل فصاحة وبلاغة وبيان، فآمن العرب ليقينهم أنه من عند الله، وآمن به من جاء بعدهم، وأما من لا يتكلمون بالعربية ولا يستشعرون بلاغتها وبيانها وفصاحتها ، وكذلك من لم يعاصروا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ولم يشاهدوا معجزاته الحسية، هؤلاء كيف يستدلون على صدق رسالته {صلى الله عليه وسلم} ؟.

تلك هي مهمة القرآن العظيم، والأحاديث الشريفة اللذان تظهر فيهما دلائل الإعجاز المتجدد والعجائب التي لا تنقضي.

وكما سبق أن أشرنا في بداية المقال أن القرآن الكريم وأحاديث المصطفى {صلى الله عليه وسلم} هي كتب هداية وتشريع لجميع الأمم إنسهم وجنهم، عربهم وعجمهم، أبيضهم وأسودهم، من عاصر الرسالة ومن جاء بعدها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ونصوص الهدي الإسلامي تتحدى كل البشر، الناطق منهم بالعربية والناطق بالأعجمية، فمعجزاتها مستمرة تحاكي جميع العقول في كل الأماكن والعصور.

ومن خلال ما تقدم يتبين لنا أن معجزة نبينا محمد {صلى الله عليه وسلم} أعظم من معجزات كافة الرسل، لأن معجزة كل رسول خاصة بزمان ومكان معينين، وهي معجزات لا يمكن أن يحكى تفاصيلها بدقة، ويخبر عن قوة الإعجاز فيها إلا من شاهدها ورآها بعينه، لذا فإن تأثير هذه المعجزات يقع بشكل واضح في نفوس من رأوها، ويظل هذا التأثير يدهشهم ويحيرهم، بينما لا يقع ذلك التأثير في نفس من لم يشاهدها وتبدأ المعجزات تفقد مصداقيتها وتضعف

بقلم: د. عبدالبديع حمزة زللى
فرع جامعة الملك عبدالعزيز - المدينة المنورة



الصورة توضح كيفية عزل البكتيريا بواسطة التخفيف.
الى اليمين دورق يحتوي على لتر واحد من الماء المعقم..
الى اليسار من الدورق مجموعة انابيب تحتوي كل واحدة منها على (٩) ملي لتر من الماء المعقم

وتهن مع مرور الزمن وتوالي الأجيال، لكن معجزات القرآن الكريم وأحاديث المصطفى {صلى الله عليه وسلم} هي معجزات متجددة رأى بعضها صحابة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ومن عاش في زمانهم، ورأى بعضها الآخر السلف من قبلنا، ونرى نحن الآن بعضها الآخر، وسيرى معجزات أخرى من يأتي بعدنا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها[١].

وفي هذا المقال سنكشف عن معجزة نستشفها من حديث نبوي شريف، يدل على حالة نمو وتكاثر الميكروبات في الأوساط الغذائية المختلفة.

وقبل أن نستعرض هذا الحديث، ونكشف عن مدى انسجام الحقائق العلمية المتعلقة بهذا الموضوع مع هذا الحديث نرى أنه من الأفضل كتوطئه ومقدمة للموضوع أن نعرف شيئاً بسيطا عن عالم الكائنات الحية الدقيقة وكيف تتكاثر في الأوساط الغذائية المختلفة.

كنا قد أشرنا في مقال سابق[٢] إن التربة تحتوي على أعداد ضخمة من البكتيريا والكائنات الحية الدقيقة الأخرى، فلو أخذنا حفنة من تراب لأحد الحقول الزراعية، ووضعناها في كفنا، وتأملناها كثيراً، فإننا لا ندرك بأعيننا المجردة سوى حبيبات ساكنة لا تتحرك، ولكن لو أخذنا جزءاً يسيراً جداً من هذه التربة في حجم رأس الدبوس، وفحصناه تحت المجهر (الميكرسكوب) فسوف نشاهد عالماً آخر يزخر بالحركة والنشاط، هذا العالم يشتمل على كائنات حية دقيقة تدب في داخل التربة وتتحرك فيها، ولكن لصغر حجمها فنحن لا ندركها بأعيننا، ولا نحسها بحواسنا الأخرى. هذه الكائنات منها الحية الدقيقة ما هي إلا أمم مختلفة ومتنوعة تشمل البكتيريا، والفطريات، والفيروسات.. تتواجد بأعداد ضخمة قد تصل إلى الملايين في حجم رأس الدبوس.

وقد يحتوي الجرام الواحد من التربة على أجناس وأنواع عديدة من البكتيريا والكائنات الحية الدقيقة، هذه الكائنات منها النافع ومنها الضار المؤذي، وكي يتعرف الإنسان على هذه الأجناس

والأنواع، كان لابد من فصل كل جنس على حدة لتعريفه ودراسته.

فكيف يمكن أن نفصل هذه الكائنات الدقيقة عن بعضها البعض، ونحن نعرف أن حجم رأس الدبوس قد يشتمل على الملايين منها؟.

لم يكن الإنسان ليدرك كيف يتعرف على هذه الكائنات وكيف يمكنه أن يفصلها عن بعضها البعض، لو لم تخترع المجاهر، ولو لم تتطور آليات التحليل لمعرفة كمية العناصر والمواد التى تحتاجها هذه الكائنات في الأوساط الغذائية الملائمة لتكاثرها كي يوفر لها الغذاء المناسب بكل دقة لتتكاثر وتنمو فيه حتى يستطيع الإنسان عندئذ أن يدرس جميع مميزاتها وخصائصها. ولم يكن أحد يدرك شيئاً عن هذا العالم الغريب الدقيق للغاية إلا في عام ١٨٥٧ ميلادي أي في أقل من قرنين فقط في حين أننا قد ذكرنا أن آيات القرآن الكريم وأحاديث المصطفى {صلى الله عليه وسلم} قد أشارت إلى هذه الكائنات منذ أكثر من أربعة عشر قرناً[٣]، بل وعلى نحو يثير العجب.

إن الأوساط الغذائية (وتسمى أيضاً بالبيئات الغذائية) للكائنات الحية الدقيقة تعتبر مطلباً رئيسياً في المعامل والمختبرات كي تتم دراسة وعزل البكتيريا ومعرفة جنسها ونوعها.

ولقد أدرك العلماء أهم العناصر الغذائية التي تحتاجها الكائنات الحية الدقيقة ومن ذلك المركبات والمواد التي تحتاجها البكتيريا وسميت هذه المحاليل بالمحاليل الغذائية المائية أو المنابت الغذائية، حيث تستطيع أن تتكاثر البكتيريا وتنمو في هذه المنابت بغزارة شديدة طالما وفرت لها الظروف المناسبة للتكاثر والنمو.

وأمكن للعلماء أن يصنعوا نوعين من المنابت الغذائية:

١ ـ المنابت الغذائية المائية (المنابت السائلة)

- غذاء البكتريا، وضع على هذا الطبق

٢ ـ المنابت الغذائية الصلبة. وهذا النوع هو نفس النوع الأول سوى أنه يضاف فيه مادة تسمى (آجار) تعمل على تصلب السائل تصلباً بسيطاً فتصبح كالجلي أو الألماسية وهذه المادة لها القدرة على السيولة بالتسخين والتصلب إذا بردت.

ولقد عرف العلماء أن البكتيريا تتكاثر وتنمو بغزارة وتنتشر في جميع أجزاء الأوساط الغذائية المائية أي السائلة، في حين أنها (البكتيريا) لا يمكن أن تنتشر في الأوساط الغذائية الصلبة، فهي على الرغم من أنها تتكاثر وتتضاعف أعدادها مع مرور الزمن إلا أنها تظل باقية ومحبوسة في المكان الذي وقعت فيه ولا يمكنها أن تنتشر في جميع أرجاء الوسط الغذائي الصلب بل أكثر ما يمكن أن تصنعه هو أن تزحف وتنمو فقط حول المكان الذي وقعت فيه، وبواسطة هذه المنابت الصلبة أمكن للعلماء أن يفصلوا ويعزلوا البكتيريا عن بعضها البعض بالرغم من ضخامة عددها في الجرام الواحد من التربة مثلاً.

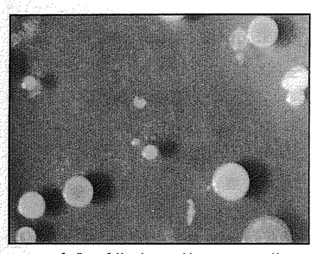
وببساطة يمكن أن تتم عملية عزل أو فصل البكتيريا عن بعضها البعض بواسطة التخفيف

وزراعتها في المنابت أو الأوساط الغذائية الصلبة ونوضح ذلك بمثال نضربه.

فلو افترضنا أن الجرام الواحد من التربة يحتوي على ٢٠ مليوناً من البكتيريا مكون من أجناس وأنواع مختلفة، علينا أن نفصل هذه الأجناس بواسطة وضع هذا الجرام في لتر واحد من الماء المعقم، ومن المعروف أن اللتر الواحد يشمل ١٠٠٠ ملي لتر وعندما نحرك التربة في الماء بأداة معقمة فإننا بذلك نوزع العشرين مليوناً من البكتيريا على الألف ملي لتر وبهذا يصبح كل ملي لتر واحد من محلول الماء يحتوي على عشرين ألف خلية بكتيريا فقط نستمر في عملية التخفيف بأخذ واحد مللي لتر من هذا المحلول ووضعه في أنبوب يحتوي على ٩ ملي لتر ماء معقم فنكون بذلك قد عملنا ثاني تخفيف بنسبة ١ إلى ١٠ أي يحتوي الملي الواحد هنا على ٢٠٠٠ خلية بكتيرية في الملي الواحد. وعندئذ يمكننا عزل البكتيريا عن بعضها إذ يؤخذ ملي واحد من التخفيف الأخير الذي يشمل على ٢٠ خلية فقط وينشر فوق سطح الوسط الغذائي الصلب المعقم - الذي سبق صبه في أطباق خاصة تسمى أطباق بتري وهي أطباق لها غطاء محكم. وفائدة التخفيف الشديد يجعل كل خلية بكتيرية تتكاثر بعيدة عن الأخرى على سطح الوسط الغذائى الصلب، وعندما ننشر الملي الواحد من المحلول المخفف فإننا لا ولن نرى في حينه أي بكتيريا على السطح على الرغم من وجودها ولكن العشرين بكتيريا التي وزعت على سطح الوسط الغذائي ستبدأ في التكاثر وتضاعف أعدادها مع مرور الزمن، ومن المعروف أن كل خلية بكتيرية تنقسم إلى اثنين في زمن محدد ثم يصبح عددها ٤ ثم ٨ وهكذا، ومنها ما يتضاعف عددها كل ٢٠ دقيقة وفي هذه الحالة لو بدأنا بخلية واحدة فسيصبح عددها بعد ساعة واحدة ٨ في الساعة الثانية يصبح العدد ٦٤ وفي الساعة الثالثة يصبح العدد ٥١٢ ... وهكذا حتى يصبح العدد بالملايين في خلال سبع ساعات فمعدل زيادة العدد في الساعة الأولى يكون بالآحاد وفي الساعة الثانية بالعشرات ثم بالمئات ثم بالآلاف فعشرات الألوف فمئات الألوف فالملايين.

وهكذا يصبح نتاج كل خلية كتلة واضحة من الخلايا البكتيرية لنفس الجنس والنوع تسمى مستعمرة حيث تنشأ هذه المستعمرة نتيجة تكاثر وتضاعف أعداد البكتيريا التي وقعت على سطح الوسط الغذائي ويبدأ يظهر تدريجياً شكل ولون المستعمرة حيث تكبر حول نفس المكان ويصبح حجمها مرئياً للعين المجردة مع مرور الزمن.

وكل طراز من البكتيريا يكوّن مستعمرة تختلف عن الأخرى من حيث اللون، والحجم، والقوام، وشكل الحافة، وكل هذه الاختلافات تساعد في التعرف على أنواع البكتيريا وتصنيفها.



- الصورة توضح المستعمرات البكتيرية مكبرة.

وبهذا يمكننا أن نفصل ونعزل الأجناس المختلفة من البكتريا عن بعضها بواسطة إبره معقمة، إذ نأخذ عينة من المستعمرة البرتقالية مثلا (المشار اليها بدائرة في الصورة) ثم ننشرها على سطح وسط غذائي معقم جديد أو ندخلها في وسط غذائي سائل فنكون بذلك قد عزلنا هذا الجنس من البكتيريا عن بقية الأجناس الأخرى، ويتم عزل الأجناس الباقية بنفس الطريقة.

وبعد أن عرفنا أسلوب تكاثر ونمو البكتيريا في الأوساط الغذائيةالسائلة والصلبة، نعود الآن إلى موضوع الإعجاز العلمي في الحديث النبوي الشريف الذي أشرنا إليه في بداية هذا المقال.

فقد ورد في صحيح الإمام البخاري، والترمذي والنسائي وفي مسند أبي داود والموطأ للإمام مالك أحاديث عن موضوع الفأرة في السمن.

فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: «إذا وقعت الفأرة في السمن: فإن كان جامداً فألقوها وما حولها، وإن كان مائعاً فلا تقربوه»[٤].

فلنتأمل قليلا في هذا الحديث الشريف ونتمعن محتواه فالهادي البشير والسراج المنير المبعوث رحمة للعاملين صلوات ربي وسلامه عليه قد خصه المولى بالرأفة والرحمة لجميع البشر فقال سبحانه وتعالى في سورة الأنبياء آية ١٠٧ {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين}. وقال سبحانه أيضاً في سورة التوبة آية ١٢٨ {بالمؤمنين رءوف رحيم}. فكل ما يؤذى الإنسان ويضر بصحته قد حذَّر منه الرسول {صلى الله عليه وسلم} بل ودلَّ على كيفية إبعاد أذاه وضرره، وكل ما يجلب الخير والفلاح للإنسان قد حثَّ عليه وندب في طلبه.

وما من شك أننا كلنا أصبحنا ندرك الأخطار الصحية التي تأتي من الفئران، إذ أن هذه الحيوانات قد تصاب بالكائنات الحية الدقيقة المرضة التي تسبب الأمراض الفتاكة المهلكة، والطاعون هو مثال على مرض خطير ينتشر بواسطة الفئران إلى الإنسان ولهذا فإن الحبيب المصطفى {صلى الله عليه وسلم} قد أمر بقتل الفأرة حتى بالنسبة للمحرم فهناك أحاديث كثيرة وردت في صحيح الإمام البخاري، والإمام مسلم، والنسائي، ومالك، والدارمي تدل على أن الفأرة من الفواسق التي تقتل في الحل والحرم.

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قالت حفصة رضي الله تعالى عنها قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} «خمس من الدَّواب كلُّهن فاسق يُقْتَلْن في الحرم: الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور»[٥].

وقد تقع الفأرة في السمن وهو أحد الأطعمة الرئيسية فتنتقل البكتيريا المرضة من جسم هذا الحيوان إلى السمن ومنه إلى الإنسان فيصاب بالمرض لا قدر الله ، وبهذا فقد حث الحبيب المصطفي {صلى الله عليه وسلم} على إبعاد مصادر الأذى والضرر التى تجلب الأمراض والأسقام للإنسان فحث على قتل الفأرة والفواسق الأخرى.

والمبعوث رحمة للعالمين، يرأف بالناس أن لا تُهدر أموالهم وتُرمى بسبب وقوع الفأرة أو الحشرات أو ما إلى ذلك ولذلك ففي أحاديث كثيرة قد نهى عن ترك الآنية مكشوفة دون غطاء، ولو حدث أن سقطت الفأرة في السمن فاحتمال انتقال البكتيريا المرضة الموجودة في جسم الفأرة إلى جميع أرجاء السمن واردة عندما يكون السمن مائعاً، لأن السمن المائع هو عبارة عن وسط غذائي سائل، وعرفنا أن البكتيريا تتكاثر وتنتشر في جميع أجزاء الأوساط الغذائية السائلة، ولهذا فقد نهى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من أكل هذا السمن، بل لنتمعن ونتدبر في اللفظ الذي قاله الحبيب المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه إذ قال «فلا تقربوه» فهذا اللفظ الجامع لمعان كثيرة يدلنا على أن الرسول {صلى الله عليه وسلم} لم ينهنا فقط من عدم أكل هذا السمن وإنما حذَّر من جميع وسائل الاقتراب منه فالبكتيريا المرضة التي أصابت السمن المائع بعد

انتقالها من جسم الفأرة إليه قد تكاثرت وتضاعفت أعدادها بشكل كبير جداً مما يجعل هذا السمن بؤرة فاسدة مليئة ومكتظة بأعداد خيالية من البكتيريا المرضة المحتملة، لذا فإن لمس هذا السمن أو إدخال اليد فيه يعتبر سببا لنقل الميكروب أو البكتيريا المرضة إلى جسم الإنسان. ولهذا فإن الحبيب المصطفى {صلى الله عليه وسلم} قد كفانا نقل هذا الميكروب بهذه الوسيلة حيث نهى عن كل ما يُقرْب الإنسان من هذا السمن الفاسد.

وفي المقابل نجد ما يثير الدهشة والعجب لكل من لا يعرف حقيقة نمو وتكاثر البكتيريا في الأوساط الغذائية المختلفة، ففي الوقت الذي ينهى فيه الرسول {صلى الله عليه وسلم} من كل ما يقربنا إلى السمن المائع الفاسد الذي فسد بسقوط الفأرة فيه نجد أن الحبيب، قد نهج منهجاً آخر بالنسبة لسقوط الفأرة التي تسقط على السمن الجامد وتموت في مكان وقوعها، إذ لم ينه {صلى الله عليه وسلم} من عدم استعمال هذا السمن ولكن قال «القها وما حولها» ولو رجعنا قليلا إلى ما ذكرناه عن أسلوب وتكاثر البكتيريا في الأوساط الغذائية الصلبة وعرفنا أن البكتيريا عندما تسقط على سطح غذائي صلب فإنها لا تلوث جميع السطح وينحصر التلوث فقط في المكان الذي وقعت فيه هذه البكتيريا. وبالرغم من أنها تنمو وتتكاثر فيه فهي لا تنتشر على جميع السطح بل تزحف بشكل بسيط جداً للغاية حول المكان الذي وقعت فيه ويبقى جميع سطح الوسط الغذائي نقياً خالياً من التلوث الميكروبي.

ولهذا فإن المبعوث رحمة للعالمين خوفاً على هدر الأموال وفي الوقت نفسه ضماناً لعدم نقل الميكروب المرض المصاحب للفأرة إلى جسم الإنسان أمر بأن يتخلص من الفأرة ومن السمن الذي حولها.

وبهذا يظهر للجميع وبشكل واضح جلي أن هذا الحديث يدلنا على أن المبعوث رحمة للعالمين قد دلنا على أسلوب وطبيعة تكاثر الميكروبات في الأوساط الغذائية السائلة والصلبة، ففي الأوساط الغذائية السائلة كالسمن المائع مثلا تعم جميع أجزاءه وتبقى هذه الميكروبات حبيسة لا تتجاوز حول مكان الوقوع في الأوساط الغذائية الصلبة كالسمن الجامد.

وبهذا فإن هذا الحديث قد سبق ما كشفه العلم الحديث عن هذا الموضوع منذ ١٤١٩هـ عام.

الهوامش:

(١) أنظر عبد البديع حمزة زللي (١٤١٩هـ). الجزء الأول من كتاب «وجوه متنوعة من الإعجاز العلمي في القرآن والسنة» الباب الأول فصل حقائق وإعتبارات لابد من معرفتها.

(٢) عبد البديع حمزة زللي (١٤١٨هـ). وبث فيها من كل دابة، مجلة المنهل مجلد ٥٩ العدد ٥٤٧ ص ٥٤ - ٥٧.

(٣) عبد البديع حمزة زللي (١٤١٨هـ): إشارات في القرآن الكريم والحديث إلى الكائنات الحية الدقيقة، مجلة المنهل المجلد ٥٩، العدد ٥٤٨ ص ٥٨ - ٦١.

(٤) لفظ الحديث ورد في سنن أبي داود، أبو داود ابن الأشعث السجستاني الأزدي (٢٠٢ - ٢٧٥هـ) ، سنن أبي داود، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية، مجلد ٣ ، كتاب الأطعمة باب في الفأرة تقع في السمن حديث رقم ٣٨٤٢.

(٥) أنظر أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٣هـ) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ط ١ القاهرة: دار البيان ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، مجلد ٤ ، باب ما يقتل المحرم من الدواب حديث رقم ١٨٢٩.

مصطلح الأصولية

***** «الأصولية ـ الأصوليون ـ الإسلاميون المتطرفون ـ الاسلام السياسي ـ تسييس الدين ـ الجماعات الاسلامية».**
هذه المصطلحات ظهرت بتركيز وتأكيد في وسائل الاعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، العربية وغير العربية.
وكثر اللغط حول (الأصولية) ومصطلحها، وكثير من وسائل الاعلام الامريكية، والاوروبية حاولت استثمار هذا المصطلح لتضرب به الإسلام والمسلمين، ومحاولة ابعادهم عن الساحة، ووصف المسلمين بأنهم قتلة، ولا يحترمون حقوق الانسان، ومما يؤسف له أن الكثير من وسائل الاعلام العربية أخذت تردد نفس الدعاوى، إما عن جهل أو لأغراض سياسية.
في هذه الدراسة القيمة للاستاذ الدكتور محمد عمارة يحلل هذه الظاهرة، مستنداً على ما قاله الاوروبيون أنفسهم.. في انصاف وحَيْدة .

المنهـل

في «الملف» الذي أعدته ونشرته مجلة (الوسط) في أعدادها السبعة ٩٦ ـ ١٠٢ الصادرة من ١٩٩٣/١١/٢٩م إلى ١٩٩٤/١/١٠م عن رؤية الاستشراق المعاصر للظاهرة «الأصولية» الإسلامية وخاصة في العالم العربي.. طالعنا آراء ثلاثين مستشرقا، من أبرز أعلام الاستشراق المعاصر ـ بل إن من بينهم من هم أبرز المستشرقين المعاصرين بإطلاق.

كذلك مثل هؤلاء المستشرقون أهم شعوب الغرب، المهتمة بالعالم الإسلامي، والمتابعة لقضاياه.. وغطت تخصصاتهم مختلف ميادين وحقول علوم الاستشراق ـ الأكاديمي منها والسياسى.. الأدبى منها واللغوى.. الاجتماعي منها والاقتصادي.. الدينى منها والدنيوى.. القديم منها والحديث والمعاصر ـ كما غطت منطلقاتهم أغلب مناهج ومذاهب وفلسفات الغرب في النظر والبحث والتحليل.. وأيضا تنوعت التجارب التاريخية والمعاصرة لشعوب هؤلاء المستشرقين وحكوماتهم وتفاوتت من نزعات وحملات الاستعمار لعالمي العروبة والاسلام.

الأمر الذي جعل ويجعل لهذا «الملف» ميزة البلورة للصورة الغربية، الأقرب إلى التكامل، عن «الظاهرة الإسلامية في ديار العروبة والإسلام، وفي المهاجر التى تعيش فيها أقليات إسلامية».



بقلم المفكر الاسلامي : أ.د. محمد عمارة
ـ مصـــر ـ

فهذا «الملف»، ليس رأى مستشرق - مهما بلغ علمه.. وكان حظه من الإنصاف أو التحامل - ولا رأي مؤسسة بحثية - مهما كان حظ موقعها من الصداقة أو العداوة.. ونصيب باحثيها من الموضوعية أو الذاتية - .. وإنما هو «بانوراما» الرؤية الغربية - من روسيا إلى أمريكا - عبر إيطاليا وفرنسا وألمانيا وهولندا وأسبانيا وانجلترا - فكأنه «العدسة الغربية اللامة» للظاهرة الإسلامية بعامة، وفي العالم العربي على وجه الخصوص.. ويكفي - في الدلالة على ذلك - أن تكون هذه «العدسة» قد جمعت رؤى «جاك بيرك» و«مكسيم رودنسون» و«دومينيك شوفالييه» و«بيارتييه» من فرنسا - و«هومى بابا» و«روبن أوستل» و«فيردهاليداى»، و«ديريك هوبوود» من انجلترا - و«فيتالى ناوومكين»، و«الكسندر سميرنوف» و«آرتور سعادييف» من روسيا - و«بيدرومارتينيث مونتانيث» و«كارمن رويث»، و«مرثيدس ديل آمو» و«فرناندو دي أغريدا» و«رودولف بيترز» و«يان بروفمان» ويوهانس نانسن» - من هولندا - و«روجر أوين» و«جون فول» و«جون إيسبوسيتو» و«ريتشارد بوليت» من امريكا - و«ايزابيلاكاميرا دافليتو» و«فرانشيسكو غابرييلي»، ودانييلا أمالدي» و«آداليندا غاسبارين» و«سلفاتورى بونو» و«كلاوديو لوياكونو» - من إيطاليا - و«جودرون كرامر» و«أردموته هيللر» و«ستيفان فيلد» و«أودوشتا ينباغ» - من ألمانيا - .

يكفي أن تضم هذه «العدسة» رؤى أعلام الاستشراق هؤلاء، لتكون - بحق - «عدسة لامّة» لرؤية الغرب «للشأن الإسلامي، الذى تصاعد الجدل حوله في هذه السنوات».

وبسبب قيمة ومكانة هذه الرؤية الاستشراقية، لأخطر شئوننا المعاصرة، كانت الوقفة الجادة والمتأنية التى وقفتها حيال هذا «الملف» .. والتى أقدم معالمها إلى القارىء في هذه الصفحات.

ولقد آثرت في دراسة هذا الملف، والتقويم لوجهات نظر أصحابه، ان اعتمد منهاج «التفكيك والتركيب» سبيلا «للتحليل والتقويم». الأمر الذى وضع ويضع يدنا على أهم المعالم التى رآها هؤلاء المستشرقون في صورة «الحالة الإسلامية، ورسموها في إجاباتهم على الأسئلة الثلاثة التى سألهم الإجابة عنها مراسلو (الوسط) فيصل جلول (فرنسا)، عمار الجندى (بريطانيا، الولايات المتحدة)، إسماعيل زاير (هولندا)، عرفان رشيد (إيطاليا)، شوقى الريس، طلعت شاهين (إسبانيا)، إيفور تيموفييف (روسيا)، عبد الفتاح خليل (ألمانيا).. وهى الأسئلة التى تقول:

١ - كيف تفسر الظاهرة الأصولية، وما يحدث في العالم العربي اليوم؟.

٢ - ما هو، في رأيك، انعكاس هذه الظاهرة على العلاقة بالغرب، وعلى المهاجرين العرب والمسلمين؟.

٣ - ما الذى يميز الحركات الأصولية بين بلد عربي وآخر، وكيف ترون إلى مستقبل تلك الحركات عموما؟.

ولقد أثمر «التفكيك .. والتركيب .. والتحليل» لإجابات المستشرقين على هذه الأسئلة أثمر «خارطة» الرؤية الاستشراقية للظاهرة الإسلامية تلك التى تميزت في تضاريسها ومعالمها خمس قضايا:

أولها: قضية مصطلح «الأصولية» ومواقف المستشرقين من صدق تعبيره عن الحالة الاسلامية وحركاتها؟.

وثانيها: قضية التنوع والوحدة فى فصائل الحركة الاسلامية وتوجهاتها.. حقيقتها؟.. ومداها؟.. وميادينها؟ ودلالتها؟.

وثالثها: الأسباب الفكرية.. والمادية - التاريخية .. والمعاصرة - الداخلية .. والخارجية - التى أفرزت وأثمرت وأبرزت هذه الحركات الإسلامية، وهذا المد الإسلامي؟.

ورابعها: مشكل العلاقة بين المد الإسلامى وبين

الغــرب؟٠٠ ومــدى مــا فى الحــديث عن خطر المد الإسلامى على الغرب من حقيقة أو وهم؟٠٠ ومن هو الصانع الحقيقى والأكبر «لصورة هذا الخطر»؟٠

وخامسـها: نظرة على المستقبل ٠٠ وهل لهذه الحركات الإسلامية من هذا المستقبل نصيب؟ ٠٠ وإن كان لها منه نصيب، فما هو حجمه؟٠٠ وما هى الشروط التى لابد من توافرها حتى لا ينبذ هذا المستقبل تلك الحركات على «قارعة التاريخ» وفق عبارة أحد المستشرقين؟!٠

تلك هى معالم «الخارطة» التى رسمتها إجابات ثلاثين مستشرقا ـ مثلوا مدارس الاستشراق الغربى٠٠ وتيارات حضارته٠٠ وألوان أيديولوجياته ـ ومرجعيات دياناته٠٠ ومصالح دوله وقومياته وتكتلاته٠٠ ودرجات ألوان الطيف في علاقات هذا الغرب بوطن العروبة وعالم الإسلام٠

وهي «الخارطة» التى أحسبها من أهم الصور التى رسمها علماء الغرب للظاهرة الإسلامية٠٠ التى هى أعظم وأخطر ظواهر العصر الذى نعيش فيه ٠٠ والتى استحقت لذلك، أن نقف أمامها وقفة جادة تليق بما بذل فيها من جهد، وبما لموضوعها من آثار تزلزل واقعنا العربي والإسلامي زلزالا شديدا٠٠!

مصطلح «الأصولية» :

لقد رفض أغلب المستشرقين إطلاق مصطلح «الأصولية» بمعناه الغربي، المحمل بالدلالات السلبية على الحركات الإسلامية٠٠ ورفضوا المساواة بين الاسلام ـ في علاقته بالسياسة والدولة ـ وبين الديانات الأخرى٠٠ وحتى الذين اطلقوا على «حركات العنف والراديكالية» الاسلامية مصطلح «الأصولية»، رفضوا التسوية بينها وبين أصوليات الديانات الأخرى٠٠ وذلك لدورها الإحيائي ـ الأخلاقى والروحي ـ ولبرامجها، التى تصنفها فى «حركات التغيير» وليس فى «التقليد والجمود الأصولي، كما هو حال الأصوليات الغربية ـ ولتميز مرجعيتها الإسلامية عن المرجعيات الدينية للأصوليات الأخرى٠

ولفت كثير من المستشرقين الأنظار إلى ما أسماه أحدهم بـ «الأصوليات الليبرالية الغربية»، الطامعة في اقتصاديات العالم الاسلامى وموقعه الاستراتيجي٠٠ والى حملة هذه «الأصوليات الليبرالية» على العرب والمسلمين، وذلك بإلصاق مصطلح «الأصولية» ـ ذي المعنى السلبي ـ على الحركات المعارضة للنموذج الغربي ـ الذي فشلت تطبيقاته في الواقع العربي ـ والمعارضة لنظم الحكم الفاشلة والعاجزة والفاسدة والتابعة، التى حكمت في حقبة ما بعد الاستقلال٠

نعم ٠٠ رأى أغلب المستشرقين هذه الآراء ٠٠ ولما كنت على يقين من أن هذه الآراء التى ارتآها هؤلاء «العلماء الغربيون» ستصدم كثيرا من «مثقفينا المتغربين» وستبرز التفاوت بين «علم الأئمة» وجهل «المأمومين»! فلقد آثرت عرض آراء علماء الاستشراق في كل هذه القضايا بذات النصوص التى كتبوها، والتى نشرتها (الوسط) في هذا «الملف» الفريد!٠

فأبرز المستشرقين الغربيين ـ إن لم يكن عميدهم ـ «جاك بيرك» يرفض إطلاق مصطلح «الأصولية» على الظاهرة الإسلامية٠٠ ويدعو إلى التمييز، في المد الاسلامى، بين عامة «المسلمين» وبين «الإسلاميين»، الذين يحملون بديلا إسلاميا للمدرسة الغربية ونموذجها في التحديث٠٠ فيقول: «أنا أرفض تعبير «الأصولية» لأنه آت من النزاعات داخل الكنيسة الكاثوليكية الفرنسية٠٠ هناك مسلمون (العامة)، وهناك الإسلاميون الذين يشددون على قدرة الاسلام على إيجاد حلول مناسبة لمشاكل الحياة اليومية، وقدرته على بناء دولة ومؤسسات، وهؤلاء لا يقفون عند الطبيعة الدينية للإسلام فقط٠ هذه أطروحة من نسميهم الإسلاميين ٠٠ إنها حركات تسعى إلى تقريب

العالم العربي من منابعه ولديهم خطابات تجعلهم مختلفين بعضهم عن بعض، لكنهم يلتقون في الدعوة إلى الرجوع إلى الأصول، وبخاصة إلى القرآن الكريم ، ويدعون إلى إعادة تأصيل القرآن الكريم باعتباره قادرا على تقديم الحلول للمشاكل التي يطرحها العالم المعاصر، يطرحون ذلك في مواجهة المجتمعات التي وضعت نفسها منذ ١٠٠ سنة في مدرسة الغرب ولم تحقق النجاحات المطلوبة».

فالظاهرة الاسلامية في رأى «جاك بيرك» ليست «أصولية» بالمعنى السلبي الغربي لهذا المصطلح وإنما هي حركات إسلامية تسعى إلى تقريب مجتمعاتها من منابعها، وإقامة دولة ومؤسسات تقدم حلولا لمشكلات العصر، انطلاقا من مرجعية القرآن الكريم ، بدلا من مرجعية المدرسة الغربية التي لم تحقق النجاحات المطلوبة على امتداد المائة عام الماضية.

ومع «جاك بيرك» تقف الأغلبية الساحقة من المستشرقين - الذين استطلعت (الوسط) آراءهم - فـ «روجر أوين» - امريكا - يرى أن مصطلح «الأصولية» مصطلح غربي، أسيء استعماله عندما أطلق على الحركات الإسلامية العنيفة، ويقول: «أرى أن كلمة الأصولية أسيء استعمالها لوصف الفاعلية الدينية الاسلامية (العنيفة) في الشرق الأوسط، وكانت صيغت أصلا في الغرب لوصف حركة قامت أوائل القرن الحالي تميزت برفضها عدداً من مظاهر الحياة الحديثة المعاصرة».

فهو يرفض وصف «الأصولية» بالمعنى الغربي - حتى لحركات العنف والراديكالية الإسلامية!.

ويضيف «جون إيسبوسيتو» - أمريكا - إلى هذا الرأى، التنبيه على خطأ اعتبار الإسلام معادلا للأصولية، بالمعنى الغربي، فيقول: «من الخطأ اعتبار الاسلام معادلا للأصولية.. واعتبار الأصولية مرادفة للتطرف والإرهاب».

أما «هوفي بابا» - بريطانيا - فإنه يضيف إلى هذه الآراء حقيقة ملفتة للأنظار، وذلك عندما يتحدث عن وجود «أصولية ليبرالية» غربية هى التى تقود حملة إلصاق مصطلح «الأصولية» - بمعانيه الغربية السلبية - بالظاهرة الإسلامية في العالم العربي لتفتعل منه عدوا بديلا للشيوعية فيقول: «الأصولية: كلمة ذات دلالة سلبية تلصق بالعالم العربي.. مع أن الظاهرة عالمية.. بل هناك الإرث التحديثي، الذي غدا «أصولية ليبرالية ديمقراطية» نجدها في الولايات المتحدة ومعظم الدول الأوربية.. والأصوليون الليبراليون الديمقراطيون، الذين ابتهجوا بموت الشيوعية وانتصار القيم الرأسمالية، الليبرالية، يواصلون الترويج للعالم العربي الاسلامي كبديل من «امبراطورية الشر» السوفياتية، واهتمامهم بالوطن العربي يعود أساسا إلى غناه بالثروات الطبيعية والاستراتيجية، كما سيتابعون مطالبة المهاجرين، من مسلمين وغيرهم، بالتخلى عن تاريخهم وثقافتهم والاندماج بالشعب «المضيف»، أو بتحمل معاناتهم على يد العنصرية المؤسساتية والعامة».

فنحن - برأى المستشرق البريطاني - أمام «مؤامرة» «أصولية ليبرالية غربية» على ثروات العالم العربى وموقعه الاستراتيجى وثقافته وتاريخه.. وهى تتوصل إلى تحقيق مقاصدها بهذه الحملة التي تلصق بالعرب المهاجرين الصفات السلبية لمصطلح «الأصولية»!.

أما «روبن أوستل» - بريطانيا - فيرى في مصطلح «الأصولية» مصطلحا عاجزا عن التعبير عن التنوع الموجود في الظاهرة الدينية الإسلامية، فيقول: «لديّ - مثل كثيرين - مشكلة مع عبارة «الأصولية»، فهى تفتقر إلى التحديد والدقة، وتستخدم على نحو سائب جدا في وصف أفراد وجماعات وحركات شديدة الاختلاف في العالم الاسلامي، مثل:

أ ـ الصحوة الدينية منذ سنة ١٩٧٠م في دول جميع مواطنيها أو معظمهم مسلمون.

ب ـ الأيديولوجيا السياسية الجبارةالتي قبضت على بعض بلدان العالم العربي خلال السنوات العشرين الأخيرة حتى صار الإسلام سمة رئيسية للخطاب السياسي.

هـ ـ الرغبة في وضع الشريعة من جديد موضع التطبيق.

إن الصورة المألوفة للأصول هي نمطية مكرسة واختزالية، وهي عاجزة حتى عن إيضاح التنوع الموجود في الأصولية ذاتها!.

ومن روسيا، يرى «فيتالي ناوومكين» ان وصف «الأصولية بمعناه السلبي الغربي، لا ينطبق على الواقع الإسلامي.. وأن سلبيات الحركات الاسلامية هي «التطرف» أما إيجابياتها فهي: العودة إلى الأصول الدينية، والأصالة الشعبية، ومحاولة إيجاد طريق خاص لتطور المجتمعات العربية والاسلامية.. فيقول: «مصطلح» «الأصولية الإسلامية»: مصطلح أطلق في الغرب، ولا ينطبق بدقة على الحياة الواقعية . ففي الأصولية نفسها شحنة إيجابية وشحنة سلبية. ومن الأصح الحديث عن ظاهرة التحرك الاسلامي أو الإسلام السياسي، مع الانحراف نحو التطرف ـ وهو ما يقصده عادة أولئك الذين يضمنون مفهوم «الأصولية» معنى سلبيا. أما الأصولية نفسها، كعودة إلى الأصول الدينية، وأصالة هذا الشعب أو ذاك، ومحاولا لإيجاد طريق التطور الخاص، فقد يكون له طابع إيجابي أيضا».

فنحن ـ برأي «فيتالي ناوومكين» ـ أمام ظاهرة «التحرك الاسلامي أو الإسلام السياسي» ولسنا امام «أصولية» بالمعنى الغربي.

أما المستشرقة الإسبانية «كارمن رويث» فإنها تنتقد استخدام مصطلح «الأصولية» للتعبير عن الظاهرة الاسلامية، لأنه مصطلح غامض، لا يميز

استعماله بين الأصولية التى تمثل الأصالة الحضارية، وبين رد الفعل الراديكالى على العدوان الواقع على الذات الحضارية من الخارج والداخل.. وترى أن الأصولية، بمعناها الشائع، تتعارض مع روح الدين الإسلامى.. ثم تدعو إلى التمييز بين «أصوليات الدول»، التى تتحالف مع القوى الخارجية، وبين «أصوليات الجماعات»، التى تختلف من بلد إلى آخر.. فتقول: «إن لفظة «أصولية» مشوبة ببعض الغموض فهى أحيانا يراد بها التمسك بمبادىء أخلاقية لا يجوز التخلى عنها، وأحيانا أخرى تأتى رديفة للراديكالية السياسية من حيث كونها نمطا أو شكلا لعلاقة بين مواطنين في مجتمع واحد، أو بين دولة وأخرى على الصعيد العالمى.. الأصولية هى الفرع الدينى الطالع من جذع الأصالة بمفهومها الحضاري العام.. والأصولية الراديكالية هى ردة فعل بدائية للدفاع عن الذات إزاء شتى أشكال العدوان والظلم الخارجيين والداخليين أحيانا.. وهى تتعارض أصلا مع روح الدين الإسلامي. وهناك أصوليات الدول، التى تتحالف عادة مع القوى الأجنبية.. وأصوليات الجماعات التى تختلف من بلد إلى آخر، وفيما بينها ضمن بلد معين».

وعلى درب الدعوة إلى التمييز بين «الدين» وبين «الأصولية» بالمعنى الغربي، تمضي المستشرقة الإيطالية «إيزابيلا كاميرادا فليتو».. فالحركات الأصولية، بالمعنى الغربي، هى حركات فاشية رجعية تستخدم الدين درعا وشعارا للتأثير في الناس.. فتقول: «لا أرى ضرورة موضوعية أو فلسفية للربط بين الدين والظاهرة الأصولية، التى هى نتاج منطق سياسي. فأنا أفضل في هذه الحالة، الحديث عن حركات سياسية ذات طابع رجعى أو حتى فاشى في بعض الأحيان، تستخدم الدين درعا وشعارا للتأثير على ذهنية الناس. وهذه الحركات ليست محصورة في العالم الإسلامي فحسب، بل هي موجودة في الغرب أيضا».

أما المستشرق الألماني «أودوشتاينباخ» فيرى أنها حركات «إسلامية» - وليست أصولية - لأنها حركات سياسية، تسعى للاستيلاء على السلطة كي تطبق مبادىء الدين.. «إنها حركات سياسية .. هدفها الاستيلاء على السلطة لتطبيق مبادىء الدين.. فالدين يتحول، مع الأصوليين، إلى نوع من الأيديولوجيا.. لذا تراني أقترح ، عوض «الأصولية» مصطلحا آخر هو «الاسلاموية»ـ.

وإذا كان المستشرق الفرنسي الشهير «مكسيم رودنسون» قد استخدم المصطلح «الأصولية»، فلقد دعا إلى تمييز الأصولية الإسلامية عن الأصوليات الدينية الأخرى، وذلك لتميز الاسلام عن الديانات الأخرى، بأنه دين ودولة، فله أصول في الدولة والسياسة «إن الأصولية الإسلامية متميزة عن الأصوليات الأخرى - وخاصة المسيحية - بسبب تميز الإسلام.. فليس في المسيحية دولة.. أما الإسلام فالأمر فيه مختلف.. كانت لديه في (المدينة) سلطات سياسية كاملة وسلطات روحية، وكان يرد على كل أنواع الأسئلة التى تطرح، ويقدم حلولا للمشاكل من كل نوع.. وحتي عندما اختلف الوضع، ظل نموذج «المدينة» موجودا على الدوام، وفي كل الظروف التي ساءت فيها الأوضاع، كان التفسير الذى يقدم هو أن ما أصابنا سببه ابتعادنا عن الأصول».

ونفس الرأى - الذى يميز بين الاسلام والديانات الأخرى - يراه المستشرق الهولندي «يان بروخمان»، الذى يقول: «من الناحية النظرية كل المسلمين أصوليون، كما أن الاسلام هو دين ودولة، أما من الناحية العملية، فالأمر ليس كذلك. وإذا أخذنا مصر كمثال، نرى أنها دولة إسلامية إداريا، ولكنها ليست ثيوقراطية على الطراز المألوف، بل دولة مدنية. وإذا أردنا رصد العلاقة بين الدين والسياسة في العالم الاسلامى، نجد أن الاسلام كدين مرتبط بشكل لا فكاك منه بالسياسة. والسبب يرجع الى التاريخ الاسلامى ونشأة هذا الدين، فهو بدأ كدولة ثم انتشر».

فنحن امام تميز مصدره الإسلام ذاته، وإذا كانت الأصولية بالمعنى الغربى رفضا للدولة المدنية، ودعوة إلى دولة ثيوقراطية، فإن الدولة الاسلامية هى دولة مدنية مرجعيتها دين الاسلام!.

أما المستشرق الفرنسي «دومينيك شوفالييه» ، فهو يضيف إلى نفي الشبه بين الأصولية الاسلامية والأصولية المسيحية - التى يراها متميزة بالتطرف! - .. يضيف وجهة نظر تقول: إن الظاهرة الإسلامية هى حركة إحياء وتجديد دينى تستهدف التحرير - في الأخلاق والسياسة معا - وهى ليست بنت السنوات الأخيرة، فالعودة الى الأصول والينابيع قد عرفها العرب والمسلمون منذ تيار الإحياء الدينى الذى قاده محمد عبده ورشيد رضا.. «فالأصولية الإسلامية لا تشبه الاصولية المسيحية، والأخيرة تميزت بالتطرف. والفكر الاسلامى الأصولى يقدم نفسه بوصفه عودة الى الأصول، وهذه الظاهرة ليست جديدة، إن الفكر العربى الاسلامى منذ نهاية القرن التاسع عشر، يستند إلى مبدأ الرجوع الى الينابيع وبعض مفكري الأصوليين والحركات الاسلامية مختلفة تماما عن الأصولية الكاثوليكية بزعامة المونسنيور لوفيفر، ولا مجال للمقارنة بين الحركتين، وإذا كان لابد من مقارنة ما، فإن هذه المقارنة تصلح مع حركات التحرير الدينية التى ظهرت في امريكا اللاتينية، لقد نمت الحركات الاسلامية كحركات أخلاقية وسياسية في آن، وهى تلعب دورا على المسرح السياسي».

فهي إذن حركات إحياء دينى، والسياسة بُعد من أبعادها..

ومع هذا التحليل يقف المستشرق الإيطالي «سلفاتورى بونو» الذى يرى في الأصولية الاسلامية دعوة إلى العودة لجوهر الدين والأصول والجذور، واعتماد المبادىء الأساسية للإيمان، ووضع كل ذلك في ممارسة إنسانية جادة.. أما «التطرف والعنف

والإرهاب»، فإنها «الصورة» التى يصنعها الاعلام، ويقدمها على أنها الأصولية الاسلامية.

«إن أي معرفة موضوعية، وأبسط نظرة إيجابية إلى الموضوع، تقتضى رفض ما سعت اجهزة الإعلام إلى ترسيخه في اذهان الناس، من ربط بين الأصولية الإسلامية ومعانى التطرف والعنف، وحتى الإرهاب. فالأصولية جوهرها الدين، واساسها العودة إلى الأصول والجذور، واعتماد المبادىء الأساسية للإيمان، وذلك لتأكيد هذه المبادىء وممارستها بجد وصراحة. ويصح هذا أيضا على الديانات السماوية الأخرى التى شهدت عبر تاريخها اتجاهات وحركات أصولية».

وهو نفس ما يقوله المستشرق الروسى «الكسندر سميرنوف»: «لا يجوز الخلط بين الأصولية الإسلامية والتعصب أو التطرف، لأن الأصولية تعبر عن مفهوم أوسع».

وإذ كانت الأصولية - برأى المستشرق الأمريكى «جون فول» هى محاولات تغيير اجتماعي ينسجم مع العقيدة والإيمان والتقاليد العريقة.. فإنها ليست كلها رجعية ومحافظة، ولا هى دائما عنيفة وراديكالية.. ففيها ظواهر عديدة، تتعدد بتعدد المناهج والتجارب، في الواقع المتغير، محليا وعالميا. «فالأصولية في العالم الراهن، ليست ظاهرة واحدة، بل تجتمع تحت تلك التسمية مجموعة من التجارب و«الظواهر» التى تعكس مناهج عدة في مقاربة الطبيعة المتغيرة للمجتمعات المحلية والعالمية ولا يجوز اختصار الأصوليات الى نزعات محافظة تبغى إيقاف التطور، كما أنها ليست فقط مساعى رجعية، القصد منها هو إعادة عقارب الساعة إلى الوراء، إلى ظروف اجتماعية - سياسية منقرضة - بل إنها محاولات تهدف إلى تغيير المجتمع، بشكل ينسجم مع تصورات معينة، وتقوم هذه التصورات على تقاليد عريقة، وعلى المكانة التي تحتلها العقيدة والإيمان في مجتمع ما. وقد تكون هذه الجهود، الساعية الى التغيير، راديكالية في بعض وجوهها، تميل إلى العنف، وربما كانت أحيانا اخرى برامج هادئة لتحول اجتماعى سلمي.. إنها تختلف من حيث الوسائل التى تلجأ إليها للتغلب على الظروف المكرسة: الهجرة، أو الاصلاح والتجديد».

فالأصولية - في هذا الرأى - حركة تغيير اجتماعي، مرجعيتها الدين والإيمان الدينى السائد في المجتمع.. فهى إصلاح وتجديد، تختلف وسائله باختلاف التحديات التى تواجهها.

أما المستشرق الإيطالي الشهير «فرانشيسكو غابرييلي» فإنه يفضل «الأصولية» على «القومية» فالاصولية الاسلامية تدعو إلى «الكونية الإسلامية»، فهى أكثر إنسانية وأوسع أفقا من القومية، التى تقف اهتماماتها عند شعب واحد بعينه.. والخيار الدينى - عنده - أفضل من الخيار القومى ذى الطابع الغربي.. وإذا كنا نرفض من الأصولية «العنف»، فإن القومية ليست أقل عنفا من الحركات الأصولية.. إن النظرية الأصولية.. تنطوى، بشكل من الأشكال، على بعض الإيجابية، قياسا إلى الحركات القومية البحتة التي تتميز بها بعض الدول الغربية.

«الأصولية» تنادى إلى «الكونية الإسلامية» وهى تعبير عن الرغبة في لم شمل كل الشعوب، لا شمل شعب واحد بذاته.

من جانب آخر ليس بإمكاننا أن نغض الطرف عن أحد المظاهر التى تمتاز بها الحركة الأصولية، أي «العنف» الذى يبرز في حالات كثيرة فهذا المظهر يحول الحركات نفسها إلى سبب وحافز للقلق. لكن الرغبة التى يعلن عنها بعض الحركات الأصولية في تطبيق مبادىء الدين، بغض النظر عن الاختلافات والتباينات القومية والاجتماعية، أمر يمثل خيارا إيجابيا، وأنا (والكلام لغابرييلي) أفضله في بعض الأحيان، على خيارات ليست أقل عنفا من الحركات الأصولية نفسها».

ومن إيطاليا - أيضا - يأتى رأي المستشرق

«كلاوديولو ياكونو» الذى يرفض في الأصولية التعصب ورفض من يمتلك آراء ثقافية وقيما فكرية مغايرة ومختلفة ويدعو إلى العدل والحرية والأصالة في الهوية الثقافية والروحية.. فيقول: «ظاهرة الأصولية فيها إيجابيات كثيرة - منها التعطش إلى العدالة والحرية، ومعاداة أشكال الديكتاتورية والسلطوية، والسعي إلى استعادة الأشكال التقليدية التى تأقلمت مع اصعب الظروف، وصمدت مع مرور الزمن، في كثير من البلاد العربية والإسلامية، وما يلفت النظر أيضا، ويثير الإعجاب بين تجليات الأصولية التي نتفق معها: نزعة المحافظة على الهوية الثقافية والروحية الخاصة، والرغبة في تحقيق ذلك ضمن إطار اجتماعى أقل ظلما وعسفا.. أما الملامح السلبية التى تثير الاستنكار، فتتلخص في حالة التعصب، ورفض من يمتلك آراء ثقافية وقيما فكرية مغايرة ومختلفة».

وعلى حين يتفق المستشرق الألمانى «ستيفان فيلد» مع الذين يرفضون التسوية بين الاسلام والأصولية فإنه يدعو إلى عدم اختصاص الأصولية بالمسلمين وبالعالم العربى، ففى الغرب أصولية أكثر عنفا «فالأصولية ليست ظاهرة إسلامية فقط، إنها أيضا ظاهرة مسيحية ويهودية.. وهى ليست حكرا على منطقة محددة.. وإذا ما كانت الأصولية في العالم العربى والاسلامى ترفض العنف في الخطاب العلنى وتمارسه في الخفاء، فإن الأصولية الجديدة في ألمانيا التى تحرق الأتراك أحياء في بيوتهم - تقر بالعنف في القول وفي الفعل. وعلينا ان نتحاشى كليا الربط بين الدين الاسلامى وبين أفراد وزعماء ، ذلك أن الاسلام أكثر شمولية من ان نحصره في أي شخص أو أي مفكر، ثم إن التراث الاسلامى متعدد ومتنوع فيه المعري وابن رشد وابن خلدون وابن تيمية وابن عربى والجاحظ وغيرهم.. لذا يتحتم علينا أن نخرج الإسلام من الدوائر التى يحصره فيها البعض».

أما المستشرق الهولندى «يوهانس يانسن» فإنه يرى في الأصولية دعوة لتسطيح الدين واختزال روحانيته الواسعة الشاملة، وتحويله إلى مجرد أيديولوجيا تتطلع إلى إجراء تغييرات في نظام الحكم - وهو يراها كذلك في كل الديانات.. «فالظاهرة الأصولية - في كل الديانات - هى دعوة لتسطيح الدين وتقليصه من تقاليد روحية واسعة شاملة إلى أيديولوجيا محددة، تتطلع إلى اجراء تغييرات في نظام الحكم».

ونشذ معه - عن ما يشبه الإجماع من المستشرقين الذين شاركوا في «الملف» فتسوى بين الأصولية العربية والأصوليات الأخرى - المستشرقة الإيطالية «آداليندا غاسبارينى» التى تقول: «ليس هناك اختلاف جوهرى بين الأصوليات العربية والأصوليات التى ظهرت وتظهر في أوربا أو في أمريكا، فكل هذه الظواهر ردود فعل تتمسك بزمن غابر، متخلف، قياسا إلى الواقع المعاش».

على حين تراوحت آراء كل الذين عرضوا رأيهم في مصطلح «الأصولية»، بين رفض إطلاقه على الظاهرة الاسلامية أو قبل اطلاقه مع التأكيد على تميز الأصولية الإسلامية عن غيرها.. وذلك لما رأوا فيها من دعوة إلى الإحياء الدينى هى أوسع من الاسلام السياسى ومجرد الأيديولوجيا.. ولما لمحوا في برامجها من دعوة إلى التغيير، ومحاولة لتحرير الذات العربية والإسلامية من قهر النموذج الغربى الذى سعى ويسعى لإلغاء ثقافة المسلمين وتاريخهم.. ولما قالوه عن تميز مرجعيتها - الاسلام - عن المرجعيات الدينية الأخرى، بما له من علاقة بالدولة والسياسة، ومن ثم قيامه بدور النموذج لكل حركات الإحياء والتجديد الاسلامية على مر تاريخ المسلمين.

تلك هى وقفة الاستشراق الغربى المعاصر أمام مصطلح «الأصولية» في علاقته بالحركات الاسلامية.. وهى درس في «الفكر الغربي» نجد أنفسنا مدعوين إلى أن نتعلم منه الكثير؟!.

العولمة

اصطلاح جديد يعني العالمية أو الكوكبية وباللغة الانجليزية Globuleأو Universal ويقصد الغرب بهذا المصطلح أن الغرب قد حقق أهدافا عالية في مجال التكنولوجيا والكومبيوتر، فتطور خلال السنوات الأخيرة تطورا هائلا في حقل الاتصالات والانجازات والمعلومات والانترنت.

ولم تكتف الولايات المتحدة بهذا القدر من إبراز تفوق الغرب بل أضافت أن الغرب قد حقق في السياسة والاقتصاد والثقافة تطورا هائلا وعلى العالم أن يلحق بركاب الولايات المتحدة، وإلا فاته ركب المدنية والرقى، ولهذا يطلق بعض الناس على العولمة: أمركة الكون وهكذا تضع الولايات المتحدة في سلة واحدة كل أمور السياسة والاقتصاد والتكنولوجيا مع الثقافة والسلوك والقيم وهنا نجد أننا نختلف مع الولايات المتحدة اختلافا كبيرا، فالتقدم العلمى جدير بالتقدير والقبول، ولكن الثقافة والسلوك والقيم لابد من التعدد فيه. ولا يمكن التضحية بها.

ويبدو أن هذا الاتجاه من الولايات المتحدة هو امتداد لموقفها من صيحة هانتنجتون عن «صراع الحضارات» واتجاهه بهذا الصراع ضد الإسلام الذى اعتقد الغرب أنه القوة الكبيرة ضد الغرب بعد سقوط الاتحاد السوفييتي.

والعولمة بهذا المعنى خطر على الأديان والقوميات، والإسلام يعلن أن له قيما خاصة لا يمكن أن يتخلى عنها، وهو يرفض كل ما يمس الدين والقومية، ويقرر ان هذا الاتجاه الامريكى خطر على القيم الإنسانية بالشرق التى لا تتمشى مع قيم الغرب وتقاليده، خطر على السلوك الدينى والأخلاق والقيم الاجتماعية والفكر القومي.

وقد انبهر بعض الشرقيين بالتقدم العلمى للغرب فنادى بضرورة أن نلحق بالركب، ونحن مع هؤلاء في مجال العلوم والتكنولوجيا ولكن ليس في مجال الثقافة والسلوك.

وأمامنا مثال شرقى مسلم حافظ على القيم الاسلامية، ومع هذا حقق الكثير في مجال التقدم العلمى، فقد تمكنت ماليزيا خلال ١٥ عاما من تحقيق قاعدة صناعية بلغت صادراتها ما يربو عن ٥٠ مليار دولار أمريكي، وتشمل هذه القاعدة صناعات كثيرة منها صناعة السيارات وأجهزة تحديد المواقع الجغرافية والاستشعار والتحكم عن بعد، ومنها عرض اختبارات جديدة لمرض فقدان المناعة، ويشمل كذلك ابتكار مواد جديدة للبناء والتشييد أخف من المواد المستعملة وأقوى من الحديد.

ثم نريد أن نقرر بصراحة أنه لا يزال امامنا شوط طويل يجب أن ننتهي منه في عالمنا العربي بأسرع ما يمكن.

الخطوة الأولى: في هذا الشوط هى الديمقراطية الحقة، فالأحرار هم الذين يفكرون ويبدعون.

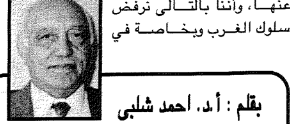
الخطوة الثانية: هى العدالة الاجتماعية التى تقضى على التفاوت الكبير بين الناس في الثراء.

ونريد أن نقضى على نظم التعليم التى تُخرِّج من الجامعة أعدادا من العاطلين فيهم الأطباء والمهندسون ومتخرجون من كليات الزراعة والاعلام.

الخطوة الثالثة: ننشىء سوقا عربية مشتركة تمنحنا الحرية في شئوننا الاقتصادية.

الخطوة الرابعة: تطوير أو خلق جديد لجامعة الدول العربية بحيث يكون العرب ملتزمين بطاعة قراراتها.

ونريد أن نقول للغرب ان لنا قيما وتشريعات إسلامية لا يمكن أن نتخلى عنها، وأننا بالتالى نرفض سلوك الغرب وبخاصة في



بقلم : أ.د. احمد شلبى
- مصر -

العلاقات الأسرية والجنسية، واننا نتمسك بالاخلاق الإسلامية من صدق وأمانة وتعاون وعدل وإيثار وتسامح ومحاربة العدوان والظلم، وقبل هذا أو معه نتمسك بالمبادىء الاسلامية وفي قمتها الإيمان بالله الواحد الاحد وبرسالة محمد {صلى الله عليه وسلم} الخاتمة كما نتمسك بالتشريعات الإسلامية في مختلف الشئون.

ونحن نتمسك بأصول الدين مع الاعتراف بأن ديننا يحارب العدوان والإرهاب ويدعو للحب والتسامح والعدل، ومن هنا فإننا نرفض بكل عزم ربط المتمسك بالأصولية بالارهاب، فالتمسك بالدين مفخرة تقود للخير، والإرهاب من عمل الشيطان وأتباع الشيطان.

ثقافة العالم وجدت من يدافع عنها:

عقد حديثا في «أوتاوا» عاصمة كندا مؤتمر في أوائل يوليو سنة ١٩٩٨م ورفع صيحة تحذير من مخاطر الغزو الأمريكي لعقول شباب العالم ومحاولة «أمركة» الشعوب، ووضّح المؤتمر ان ثقافة «الكاوبوى» و«الجينز» و«الهامبورجر» هى الأساس لثقافات العنف والجنس والمخدرات، والتحرر من جميع القيود بلا ضوابط، وهذه قد اقتحمت عقول الشباب في دول كثيرة وهاجمت قيم هذه الدول ووضعت بدلها قيما أمريكية بديلة مع تناقض القيم الامريكية مع تقاليد وسلوك وأخلاقيات هذه المجتمعات .

وقد حضر مؤتمر «أوتاوا» ٢٢ وزيرا للثقافة من بلاد مختلفة من الشمال والجنوب والشرق والغرب والأغنياء والفقراء، وكلهم يصرخون بضرورة إقامة تحالف يحمى الثقافات المحلية من الزحف الأمريكي، وضرورة احترام السيادة الثقافية والتعددية الثقافية، وأن من الخطر ان تتراجع الثقافات المحلية أمام ثقافة أمريكا، فالثقافة المحلية جزء من سيادة الدول واستقلالها الوطني، وإذا كانت العولمة تسعى لكسر الحواجز التجارية والسياسية وإلى التحرر الاقتصادى والسياسى فإن مؤتمر «أوتاوا» يسعى إلى فرض الحماية، وإلى بناء حائط جديد للحفاظ على ثقافة الشعوب وتراثها من الضياع والذوبان في متاهات الثقافة الأمريكية التى تسعى إلى السيطرة على ثقافة العالم.

وأوضح المؤتمر أن الدول تعلن اهتمامها بالحفاظ على ثقافتها وتقاليدها، وان كانت تريد أن تستفيد من التكنولوجيا الجديدة، فالفيلم وبرامج التليفزيون والكتاب تختلف عن السيارة والدواء والأخشاب والإحساس بالخطر الأمريكي دفع شعوبا كثيرة لإحلال تمردها على هذا الخطر والتمسك بالهوية المحلية والثقافة المحلية والأفكار الوطنية.

ويقول المدير التنفيذي لمنظمة اليونسكو الذى حضر اجتماع «أوتاوا» إن الدراسة التى قام بها خبراء اليونسكو توضح حرص الدول على التمسك بثقافتها، وأن فكرة اقتصاد السوق قد أثرت على ثقافة بعض الدول، ولكن هذه تراجعت وعادت لثقافتها وقررت أن الاقتصاد وتحقيق الربح ليس أهم من الثقافة، وذكر مدير اليونسكو أن دول الاتحاد الأوربي وهى تتجه نحو الوحدة تحافظ على ثقافتها وتعتبرها جزءا مهما من سيادتها واستقلالها الوطني.

تمسكنا بثقافتنا وعاداتنا يستلزم تطويرها:

وإذا كنا سنتمسك بثقافتنا وتقاليدنا فإن من المحتم علينا أن نطور هذه الثقافة لنتخلص من ركام أصابها في الصميم.

ففي التليفزيون لا نحتاج للعديد من القنوات بقدر حاجتنا إلى تحسين ما نقدمه في القنوات القليلة.

والإعلانات التى تشغل وقتا طويلا وهى مكررة ومملّة لابد من السيطرة عليها.

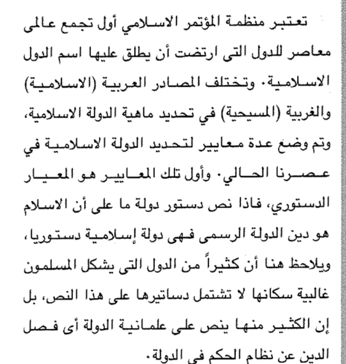
والاحاديث لابد أن تخضع لتخطيط دقيق وأداء حسن، وتعنى بتقديم صنوف التسلية وتعقد صلحا مع الموسيقى الراقية ونشرح موقف الإسلام من الفنون، فقد ظهرت آراء تحرم الغناء والموسيقى بكل أنواعها وتحرم النحت والتصوير، وبالغت بعض البلاد فأمرت بإعدام التليفزيون والفيديو.

وفي الإجازات الصيفية يستعد التليفزيون والاذاعة لاستقبال جمهور التلاميذ الذين يلجئون لهذه الأجهزة بعد الامتحان فتقدم لهم مع التسلية جوانب من الأدب الرفيع والقصة والرواية والتاريخ والأديان والحضارة، فالمعارف الحرة ترسخ في الذهن اكثر مما ترسخ علوم الامتحان.

والكتاب لابد أن يكون جذابا لا من حيث إخراجه فقط بل أيضا من حيث مادته وتخطيطه.

منظمة المؤتمر الاسلامي

والدول الأعضاء بها (دراسة إحصائية)



تعتبر منظمة المؤتمر الاسلامي أول تجمع عالمي معاصر للدول التى ارتضت أن يطلق عليها اسم الدول الاسلامية. وتختلف المصادر العربية (الاسلامية) والغربية (المسيحية) في تحديد ماهية الدولة الاسلامية، وتم وضع عدة معايير لتحديد الدولة الاسلامية في عصرنا الحالي. وأول تلك المعايير هو المعيار الدستوري، فاذا نص دستور دولة ما على أن الاسلام هو دين الدولة الرسمى فهى دولة إسلامية دستوريا، ويلاحظ هنا أن كثيراً من الدول التى يشكل المسلمون غالبية سكانها لا تشتمل دساتيرها على هذا النص، بل إن الكثير منها ينص على علمانية الدولة أى فصل الدين عن نظام الحكم في الدولة.

والمعيار الثاني هو المعيار العددى، والذى بموجبه تكون الدولة إسلامية إذا كان المسلمون بها يشكلون أكثر من نصف عدد سكانها (أي أكثر من ٥٠٪ من مجموع السكان)، ويلاحظ هنا أيضا أن تحديد نسبة المسلمين في كثير من الدول، وخاصة الدول الأفريقية، هو أمر تقريبى، وليس على وجه التحديد، ويعود ذلك إلى عدم وجود إحصائيات رسمية لأصحاب الديانات في تلك الدول، وبالتالى فان الباحث يجد صعوبة في تطبيق هذا المعيار وتحديد الدول الاسلامية من غيرها. أما المعيار الثالث فيطلق عليه المعيار التنظيمي، ويعنى انضمام الدولة إلى منظمة عالمية معترف بها تجمع في عضويتها الدول التى تستظل بمظلة الاسلام، سواء أكانت دساتيرها تنص على أن الاسلام دينها الرسمى



أم لا، وسواء كان المسلمون يشكلون نسبة الـ ٥٠٪ من سكانها أم لا.

ومنظمة المؤتمر الاسلامي هي تلك المنظمةالعالمية التي استطاعت في عصرنا الحاضر، أن تجمع في عضويتها الدول التى تعيش فيها جماعات إسلامية كبيرة، سواء أكانت تلك الجماعات تشكل غالبية السكان، أم تشكل أكبر مجموعة عقائدية بين أصحاب العقائد المختلفة في الدولة. وقد يتساءل سائل: لماذا لم تسم تلك المنظمة بمنظمة الدول الاسلامية، وللاجابة على هذا التساؤل نقول: إنه قد ثار نقاش كبير في بداية نشأة المنظمة حول هذا الموضوع. ولما كان التفكير في إنشاء المنظمة قد تم خلال أول مؤتمر للقمة الاسلامية الذى ضم ٢٥ دولة، وكان ذلك في سبتمبر ١٩٦٩م، فقد اتفق على أن تكون تلك المنظمة المنبثقة

بقلم: أ.د. عادل طه يونس
كلية التربية للبنات - جدة -

عن المؤتمر الاسلامى الأول هذا هى منظمة المؤتمر الاسلامي.

المؤتمر الأول للقمة الاسلامية الدول التى اشتركت فيه ونتائجه:

أثار حادث إشعال الحريق في المسجد الأقصى المبارك بواسطة مجموعة من اليهود المتطرفين في ٢١ أغسطس ١٩٦٩م، استياء المسلمين في سائر أنحاء العالم، وسارعت الدول الاسلامية والعربية بالتشاور على كافة المستويات، واقترح الملك فيصل بن عبد العزيز طيب الله ثراه، الدعوة إلى عقد مؤتمر عاجل لملوك ورؤساء الدول الاسلامية لبحث هذا الحاث المؤلم، وتم توجيه الدعوة لزعماء ست وثلاثين دولة هى:

السعودية - الكويت - العراق - الأردن - لبنان - مصر - سوريا - اليمن الشمالى - اليمن الجنوبي - المغرب - الجزائر - تونس - ليبيا - السودان - موريتانيا - الصومال - إيران - تركيا - أفغانستان - باكستان - اندونسيا - ماليزيا - ماليف - السنغال - تشاد - غينيا - مالي - النيجر - نيجريا - سيراليون - الكميرون - جامبيا - فولتا العليا - ساحل العاج - تنزانيا - الهند.

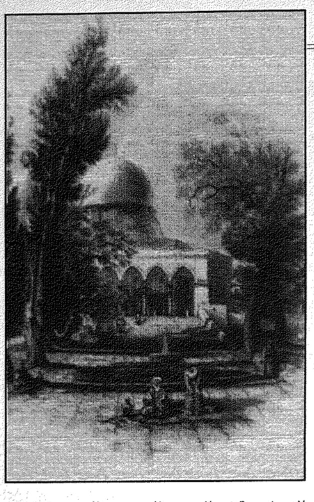
وهي دول يشكل المسلمون غالبية بين سكانها عدا الهند التى بها أقلية مسلمة كبيرة، وكان رئيس جمهوريتها أنذاك من المسلمين.

وقد لبى الدعوة على الفور ٢٥ دولة من تلك الدول هي:

١ - دول عربية (١٤ دولة): السعودية - الكويت - الأردن - لبنان - مصر - اليمن الشمالي - اليمن الجنوبي - المغرب - الجزائر - تونس - ليبيا - السودان - الصومال - موريتانيا.

٢ - دول اسلامية غير عربية (١١ دولة): إيران - تركيا - أفغانستان - باكستان - اندونسيا - ماليزيا - السنغال - تشاد - مالي - النيجر - غينيا.

وتم عقد أول مؤتمر قمة لملوك ورؤساء الدول



الاسلامية في العصر الحديث وذلك بمدينة الرباط بالمغرب في ٢٢ سبتمبر ١٩٦٩م بعد شهر واحد من حادث الحريق المشؤوم.

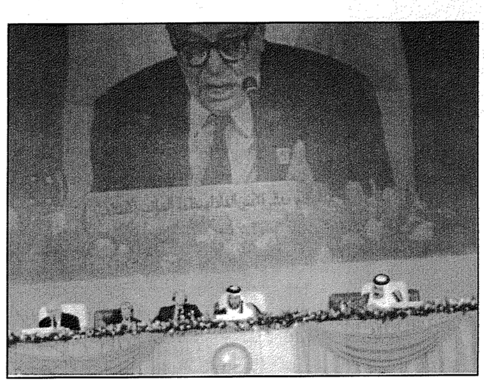
وصدر عن هذا المؤتمر الذى استمر ثلاثة أيام ما عرف باعلان الرباط، والذى حدد الخط الاستراتيجى للعالم الاسلامي، والذى يتمثل في: التضامن الفعال من أجل:

١ - تحرير القدس، ورفض أى حل للقضية الفلسطينية لا يكفل لمدينة القدس وضعها قبل حرب يونيو ١٩٦٧م.

٢ - انسحاب القوات الاسرائيلية من كافة الأراضي المحتلة بعد حرب يونيو ١٩٦٧م.

٣ - توحيد جهود الحكومات والشعوب الاسلامية للحفاظ على السلام والأمن الدوليين.

٤ - توثيق الروابط الأخوية والروحية التى تجمع بين الشعوب الاسلامية، والحفاظ على حريتها واستقلالها، وعلى تراثها الحضارى المشترك القائم بصورة خاصة



على مبادىء العدل والتسامح ونبذ التفرقة العنصرية.

٥ - التأكيد على أن الاسلام هو عامل التقارب والتفاهم بين الشعوب الاسلامية.

وحتى لا تذهب جهود المؤتمر الأول للقمة الاسلامية سدى، قرر المؤتمرون ما يلى:

أولا: بحث موضوع إقامة أمانة دائمة للمؤتمر الاسلامي، مما يمهد لتحويل المؤتمر إلى منظمة عالمية ذات صفة معترف بها من قبل المجتمع الدولي، هي منظمة المؤتمر الاسلامي، وتعتبر الدول الـ ٢٥ التى حضرت المؤتمر الأول هي الدول المؤسسة لهذه المنظمة.

ثانيا: بحث نتائج العمل المشترك الذى قامت به الدول المشتركة في المؤتمر، وذلك في مؤتمر خاص لوزراء خارجية تلك الدول يتم عقده في وقت لاحق.

وقد تم فعلا عقد أول مؤتمر لوزراء خارجية دول المؤتمر الاسلامي في جدة بالمملكة العربية السعودية في مارس ١٩٧٠م بعد ٥ شهور من عقد المؤتمر الاسلامي الأول. وكان هذان القراران هما أهم النتائج التي خرج بها المؤتمر الأول لقمة الدول الاسلامية.

تأسيس منظمة المؤتمر الاسلامي أهدافها ومبادؤها:

كان مؤتمر وزراء خارجية دول المؤتمر الاسلامي الذي عقد في جدة في فبراير ١٩٧٢م (وهو المؤتمر الثالث في سلسلة مؤتمرات وزراء الخارجية) هو المؤتمر الحاسم في مسار حركة التضامن الاسلامي، واشتركت فيه ٢٤ دولة من الدول الخمس والعشرين التى اشتركت في المؤتمر الاسلامي الأول بعد تغيب اليمن الجنوبية عن الحضور، وانضمت لأول مرة ٦ دول جديدة هي: سوريا، قطر، البحرين، الامارات العربية، سلطنة عمان، جمهورية سيراليون، وبذلك أصبح عدد الدول التى حضرت هذا المؤتمر التاريخى ٣٠ دولة عربية وإسلامية، كما حضر كل من فلسطين (ممثلة في منظمة التحرير الفلسطينية) وجمهورية الكميرون كمراقبين. وتم في هذا الاجتماع توقيع ميثاق إنشاء منظمة المؤتمر الاسلامي، وأعلن رسميا تكوين المنظمة، وأصبحت الدول الثلاثين المذكورة هى الدول المؤسسة لمنظمة المؤتمر الاسلامي. وقد توالى بعد ذلك انضمام الدول إلي عضوية المنظمة حيث ارتفع عدد الدول الأعضاء من ٣٠ دولة في فبراير ١٩٧٢م (وهي الدول المؤسسة للمنظمة) إلى ٥٥ دولة في ديسمبر ١٩٩٧م (وهى الدول التى حضرت مؤتمر القمة الاسلامي الثامن الذى عقد في طهران)، وهذا يدل على أهمية تلك المنظمة، ويؤكد نجاحها وفعاليتها في تجميع الدول التى تقطنها أغلبيات مسلمة، واقتناع تلك الدول بحركة

التضامن الاسلامي التى تتبناها تلك المنظمة على المستوى الرسمي.

ويحدد ميثاق منظمة المؤتمر الاسلامي في مادته الأولى ماهية المنظمة حيث تقرر أن منظمة المؤتمر الاسلامى هى منظمة دولية ذات أهداف متعددة لخدمة الشعوب الاسلامية والانسانية جميعا في نطاق الشريعة الاسلامية.

وتختص المادة الثانية بأهداف ومبادىء المنظمة التى يمكن إجمالها فيما يلي:

١ - تعزيز التضامن الاسلامي بين الدول الأعضاء.

٢ - دعم التعاون بين الدول الاعضاء في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية، وفي المجالات الحيوية الأخرى.

٣ - التشاور بين الدول الأعضاء، والعمل على توحيد كلمتها في المنظمات الدولية.

٤ - اتخاذ التدابير اللازمة لدعم السلام والأمن الدوليين القائمين على العدل.

٥ - المساواة التامة بين الدول الاعضاء، واحترام سيادة واستقلال ووحدة أراضي كل دولة عضو.

٦ - عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأعضاء، والامتناع عن استخدام القوة أو التهديد بها ضد وحدة وسلامة أراضى أي دولة عضو.

٧ - حل ما قد ينشأ من منازعات فيما بينها، بحلول سلمية، كالمفاوضة، أو الوساطة، أو التوفيق، أو التحكيم.

٨ - حث الدول الأعضاء على استنباط قوانينها ونظمها من الشريعة الاسلامية، والعمل على نشر الحضارة والثقافة الاسلامية في ربوعها.

٩ - التشجيع والمساعدة على نشر وتعليم اللغة العربية بين المسلمين، باعتبارها لغة القرآن الكريم.

١٠ - العمل على تحقيق نظام اقتصادي دولي جديد بما يتفق مع أهداف الشريعة الاسلامية، وبما يتماشى مع المصالح الاقتصادية للدول الاعضاء.

الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الاسلامي:

يبلغ عدد الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الاسلامي الآن خمس وخمسون دولة منهم ٢٢ دولة عربية و٣٣ دولة إسلامية غير عربية، وتنتمى هذه الدول الـ ٥٥ إلى القارات الآتية:

١ - قارة آسيا: ٢٧ دولة هي بحسب الحروف الأبجدية:

أذربيجان - الأردن - أفغانستان - الامارات العربية - أندونسيا - أوزبكستان - إيران - باكستان - البحرين - بروناى - بنجلاديش - تركمانستان - تركيا - السعودية - سوريا - طاجكستان - العراق - عمان - فلسطين - قطر - قيرغيزستان - كازاخستان - الكويت - لبنان - المالديف - ماليزيا - اليمن.

٢ - قارة أفريقية: ٢٦ دولة هى بحسب الحروف الابجدية:

أوغندا - بنين - بوركينا فاسو - تشاد - توجو - تونس - الجابون - جامبيا - الجزائر - جيبوتي - السنغال - السودان - سيراليون - الصومال - غينيا - غينيا بيساو - جزر القمر - الكميرون - ليبيا - مالي - مصر - المغرب - موريتانيا - موزمبيق - النيجر - نيجريا.

٣ - قارة أوربا: دولة واحدة هي: ألبانيا.

٤ - أمريكا الجنوبية: دولة واحدة هى: سورينام.

الدول الأسيوية الأعضاء في المنظمة:

تضم منظمة المؤتمر الاسلامي ٢٧ دولة تنتمى إلى قارة آسيا، كما ذكرنا. من تلك الدول ١٢ دولة عربية (بما في ذلك فلسطين التى تنتمى إلى المنظمة كعضو كامل العضوية)إضافة إلى ١٥ دولة إسلامية غير

عربية، وقد كان عدد الدول الآسيوية بالمنظمة قبل انهيار الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩٠م. هو ٢١ دولة، وبعد استقلال الدول الاسلامية الست التى كانت أجزاء من الاتحاد السوفيتي (وهى أذربيجان وأوزبكستان، وكازاخستان وتركمانستان وطاجكستان وقيرغيزستان)، بدأت تلك الدول في استعارة هويتها الاسلامية التى حاول النظام الشيوعى السابق بها أن يطمس معالمها، ولكن إرادة الله كانت فوق كل الاعتبارات، وعادت رايات الاسلام خفاقة فوق ربوع تلك الدول، وانضمت كلها إلى منظمة المؤتمر الاسلامي لتؤكد هويتها الاسلامية، وارتفع بذلك عدد الدول الاسلامية بقارة آسيا إلى ٢٧ دولة.

وطبقا لاحصاءات وتقديرات عام ١٩٩٦م (١٤١٧هـ) قمنا بحساب أعداد السكان في تلك الدول وأعداد المسلمين بها ونسبتهم المئوية وتوصلنا إلى مجموع عدد سكان الدول الـ ٢٧ الآسيوية وكلهم أعضاء بمنظمة المؤتمر الاسلامي يبلغ نحو ٧٧٥ مليون نسمه منهم حوالى ٦٩٦ مليون مسلم بنسبة مئوية تصل إلى ٩٠٪ والباقى وهم نحو ٧٩ مليون نسمة ينتمون إلى ديانات مختلفة.

الدول الأفريقية الأعضاء في المنظمة:

تضم منظمة المؤتمر الاسلامي حاليا ٢٦ دولة تنتمى إلى قارة أفريقية، كما ذكرنا من تلك الدول ١٠ دول عربية، إضافة إلى ١٦ دولة أفريقية غير عربية تقع في شرق وغرب ووسط القارة جنوب الصحراء الكبرى، وهذه الدول الافريقية غير العربية يمكن تصنيفها كالتالي:

١ - دول ذات أغلبية مسلمة باتفاق المصادر الاسلامية والغربية على السواء، مع اختلاف في نسبة المسلمين في كلا المصدرين، ولكنها على وجه العموم تزيد عن ٥٠٪ من مجموع السكان، وعدد تلك الدول ٧ دول هي: تشاد، النيجر، مالي، السنغال، جامبيا، غينيا، نيجيريا.

وتتميز هذه الدول بأن المسلمين في كل منها يمثلون أغلبية بين السكان ويشاركون مشاركة فعالة في سياسات الدولة العليا، ويرأس كل دولة منها رئيس مسلم.

٢ - دول ذات أغلبية مسلمة مع اختلاف بين المصادر الاسلامية والغربية فالمصادر الاسلامية (التى نعتمد عليها في دراستنا) تعتبرها ذات أغلبية مسلمة (حيث يشكل المسلمون بكل منها ٥٠٪ من عدد السكان أو أكثر)، بينما تعتبرها المصادر الغربية دولا ذات أقلية مسلمة (المسلمون بكل منها أقل من ٥٠ ٪)، وعدد تلك الدول أيضا ٧ دول هي: سيراليون ، الكميرون ، غينيابيساو ، بوركينافاسو ، بنين ، توجو، موزمبيق.

وتتميز هذه الدول بأن مشاركة المسلمين في مؤسسات الدولة هى مشاركة ثانوية بالنسبة لغيرهم، وأن رؤساء تلك الدول لا يدينون بالاسلام، ولكنهم متعاطفون تماما مع المسلمين في بلادهم، ويحضرون مؤتمرات القمة ويشاركون فيها مشاركة فعالة، مما يوحي بوجود أغلبية مسلمة بين سكان بلادهم، وإلا لما قبلوا بانضمام دولهم إلى عضوية منظمة المؤتمر الاسلامي، وهم يعلمون بأن الدول الأعضاء في تلك المنظمة توصف بأنها دول إسلامية.

٣ - دول ذات أقلية مسلمة باتفاق المصادر الاسلامية والعربية مع اختلاف بينها في نسبة المسلمين، وهذه الدول هي: أوغندا والجابون.

وقد انضمت هاتان الدولتان إلى المنظمة في فبراير ١٩٧٤م حين كان على قمة السلطة في كل منهما رئيس مسلم، ومازال هذا الوضع قائما في الجابون، بينما تغير الوضع في أوغندا حيث يرأسها الآن رئيس مسيحى، ولكنه حافظ على عضوية بلاده في المنظمة، وهو متعاطف تماما مع المسلمين من أبناء بلده

بالرغم من أن عددهم لا يصل إلى نسبة ٥٠٪ من مجموع سكان الدولة.

وطبقا لاحصاءات وتقديرات عام ١٩٩٦م (١٤١٧هـ) واعتمادا على عدد من المصادر الاسلامية المعتدلة لحساب نسبة المسلمين وعددهم في الدول الأفريقية الأعضاء في منظمة المؤتمر الاسلامي، وجدنا أن مجموع عدد سكان الدول الـ ٢٦ الاعضاء في المنظمة يبلغ نحو ٤١٣ مليون نسمة منهم حوالى ٣١٥ مسلم بنسبة تصل إلى ٧٦٪.

الدول الأخرى في المنظمة:

إضافة إلى الدول الآسيوية والأفريقية بالمنظمة توجد دولتان عضوان، إحداهما تنتمي إلى القارة الأوربية وهى ألبانيا (انضمت للمنظمة في أغسطس ١٩٩١م) وعدد سكانها نحو ٣ر٥ مليون نسمة منهم ٤ر٢ مليون مسلم بنسبة ٧٠٪ فهى دولة ذات أغلبية مسلمة، والثانية تنتمي إلى قارة أمريكا الجنوبية وهى جمهورية سورينام (انضمت للمنظمة في ديسمبر ١٩٩٦م) وعدد سكانها نحو نصف مليون نسمة منهم حوالى ١٧٠ ألف مسلم بنسبة تبلغ ٣٤٪ فهى دولة يشكل المسلمون فيها أقلية كبيرة، ولكنها ذات شأن، وتشارك بفعالية في سياسات الدولة ومؤسساتها المختلفة.

خاتمة:

مما سبق يتضح لنا أن المجموع الكلى لسكان الدول الـ ٥٥ الأعضاء في منظمة المؤتمر الاسلامي يبلغ نحو ١١٩٢ مليون نسمة (أي مليار ومائة واثنان وتسعون مليون نسمة) منهم نحو ١٠١٤ مليون مسلم (أي مليار وأربعة عشر مليون مسلم) بنسبة تبلغ ٨٥٪ من مجموع السكان.

ونود أن نشير في ختام هذه الدراسة إلى وجود عدد من الدول الأفريقية تعيش بها أغلبية مسلمة، ولكنها لم تنضم إلى منظمة المؤتمر الاسلامي حتى الآن، وهذه الدول هى:

الدولــــة	عدد سكانهابالمليون	عدد المسلمين بالمليون	نسبتهم المئوية
إريتريا	٩٠٠ر٣	٩٢٥ر٢	٧٥٪
إثيوبيا	١٠٠ر٥٧	٤٠٠ر٣١	٥٥٪
تنزانيا	٠٠٠ر٢٩	٩٨٠ر١٧	٦٢٪
كوت دي فوار	٧٩٠ر١٤	١٣٠ر٨	٥٥٪

والدول الثلاث الأولى ذات أنظمة حكم علمانية متشددة ويرأسها رؤساء مسيحيون متمسكون بنظام الدولة العلمانى ويعارضون انضمام دولهم إلى أي تجمع يقوم على أساس عقائدي، أما الدولة الرابعة (كوت دى فوار أو ساحل العاج) فقد تقدمت بطلب انضمام بصفة مراقب إلى منظمة المؤتمر الاسلامي وذلك أثناء انعقاد مؤتمر القمة الاسلامى الثامن الذى عقد في طهران في ديسمبر ١٩٩٧م. وتم قبول الطلب بالاجماع، وأصبحت كوت دى فوار عضوا مراقبا في المنظمة تمهيدا لانضمامها في وقت لاحق كعضو كامل العضوية لتصبح العضو رقم ٥٦ في منظمة المؤتمر الاسلامي.

الابداعات الأدبية البوسنية

الابداعات الأدبية لأى شعب من الشعوب ليست أمرا عابرا أو زائلا، ولا يمكن أن تمحوها الصدفة المحضة أو هجوم ألد الأعداء. ولا تستطيع القوةالغاشمة أو الصدفة العابرة أو فوات السنوات أن يعمل على تعتيم وحجب الابداعات الأدبية لأى شعب حصل على مكاسب مادية واقتصادية واجتماعية بعد انتصاره على قوى الظلام والجهل والبربرية.

ويظل هذا الانتصار على مر القرون أمانة لدى الأجيال التالية والأزمان الآتية. وهذا هو ما حدث مع الابداعات الأدبية في البوسنة والهرسك.

وهذه الابداعات التي سطرها وابتكرها المسلمون في البوسنة والهرسك لم تنبت من فراغ ولم تكن نباتات برية بلا جذور أو أصول، وانما هي نباتات طبيعية ترعرت في التربة المخضبة بالاسلام آنذاك ومرت بمراحل ازدهار وأفول وتعرضت لشتى التغيرات والتقلبات وربما هذا بالذات هو الذى جعل منها إبداعات أدبية فريدة ومتميزة تتسم بخصائص ومميزات لا تتوفر لابداعات أدبية أبدعتها شعوب مجاورة.

وخلال اطلاعى ودراستى للابداعات الأدبية في البوسنة والهرسك عبر العصور المختلفة والحقب المتباينة لاحظت وجود نفحات عربية اسلامية عطرة تتضوع من عديد هذه الابداعات الادبية. وكان حتما عليّ أن أتابعها وأتتبعها وأدرسها لاعرف مصادرها وجذورها وكذلك لاتبين مدى تعمقها ومقدار استمراريتها. وهذا هو هدفي الأساسي من دراستى التى بين أيديكم.

وبالرغم من أهمية هذه الابداعات الأدبية التى سطرتها أقلام المسلمين في البوسنة والهرسك في مجالات متعددة إلا أنه تبين لي أن الدراسات والأبحاث الحديثة لم تعطها حقها من الدراسة والبحث بل وجرى في كثير من الأحيان إهمال هذه الابداعات واغفالها على نحو عامد وجائر، وفي أحيان أخرى أسيء تقييمها وتقديرها بشكل يفتقد إلى المنطقية والموضوعية.

ويرجع الفضل أولا وأخيرا إلى الأتراك العثمانيين لنشرهم الاسلام في منطقة البوسنة والهرسك وذلك بعد



بقلم :د. جمال الدين سيد محمد
- مصر -

استيلائهم على البوسنة في عام ١٤٦٣م. ثم على الهرسك في عام ١٤٨٢. ومع الحكم العثماني للبوسنة والهرسك تغلغل الاسلام في جنباتها بشكل سلس مكثف دون عقبات أو عوائق تذكر وبذلك أخذت تأثيرات الحضارة الاسلامية في الانتشار والتعمق في كل المجالات.

ويتحتم هنا التنويه الى أنه حدث اعتناق جماعى واختيارى للاسلام من جانب سكان البوسنة والهرسك بعد استيلاء العثمانيين عليها. وقد جرى كذلك التعتيم المتعمد على هذه الظاهرة في أيام الحكم الشيوعى الشمولى «التيتوى» لتلك المناطق بل ومعاقبة كل من تسول له نفسه بالاقتراب منها ومحاولة بحثها ودراستها واستيضاحها. وأصبحت أسباب هذا التعتيم الاعلامى المتعمد معروفة للكافة والخاصة، إلا أن ما يعنينا في هذا الصدد أن الأبحاث والدراسات الأخيرة أكدت واثبتت حقيقة الاعتناق الجماعى الاختيارى للاسلام في البوسنة والهرسك، وأرجعت ذلك إلى أسباب عدة منها ـ في المقام الأول ـ الاضطهادات الدينية التى كان يعانى منها آنذاك سكان البوسنة والهرسك، ذلك لأنهم كانوا يتبعون الكنيسة البوسنية ومذهبها يخالف مذهب كنيسة روما الأمر الذى دفع الأخيرة الى استخدام كل أساليب القسر والعنف من أجل إجبار أتباع الكنيسة البوسنية على اعتناق الكاثوليكية. فلما فتح الاتراك العثمانيون هذه المناطق سرعان ما وجد سكان البوسنة والهرسك في اعتناق الاسلام الملاذ والمفر من عنت الكاثوليكية[١].

وباستيلاء العثمانيين على البوسنة والهرسك حلوا محل البيزنطيين في دورهم كوسطاء وناقلين وناشرين لعناصر الحضارة والثقافة بين سكان هذه المنطقة، إلا أننا نجد خلافا بينا في نوعية هذه العناصر ومدى اتساع انتشارها ذلك لان الامبراطورية العثمانية نجحت في تعميق جذور التأثيرات والعناصر العربية الاسلامية بين سكان هذه المنطقة لدرجة أن كثيرا منها استمر متواجدا ومتغلغلا حتى بعد انحسار وزوال السيطرة العثمانية بل وحتى يومنا هذا. والأدلة على ذلك عديدة والأمثلة كثيرة وهو ما يحتاج من جانبنا إلى مزيد من الدراسات والكتابات لتوضيح ذلك.

وقد امتدت فترة الحكم العثماني لمنطقة البوسنة والهرسك ٤١٥ عاما، أي ما يربو على الأربعة قرون. وكعادة العثمانيين حينذاك فقد أحدثوا تغيرات هائلة في جميع جوانب الحياة بهذه المنطقة وتعمقت هذه التغيرات بشكل خاص في المدن التى شيدوها وحملت الطابع العربي الاسلامي الذي يناسب متطلبات الدولة الاسلامية. وجعلوا من هذه المدن الجديدة مراكزا للفكر والثقافة الاسلامية العربية وذلك بعد تشييد العديد من المساجد والمدارس الاسلامية المتنوعة والمكتبات والتكايا وغيرها من المؤسسات الاسلامية الخيرية والأسواق الكبيرة التي تزدهر فيها ألوان التجارة ومختلف الحرف[٢].

ونجم عن اعتناق سكان البوسنة والهرسك للاسلام اتجاههم في ثقافتهم صوب الشرق الاسلامى العربى وتقبلوا في كثير من مجالات النشاط والحياة الأسلوب الاسلامي العربي حسبما نقله العثمانيون. ويضاف إلى ذلك أن العثمانيين نجحوا في استثمار نشاط جزء كبير من المسلمين وغير المسلمين في إقامة وتدعيم وحماية الامبراطورية العثمانية بل وفي نشر

عناصر الحضارة الاسلامية العربية ونفحاتها. وعلى هذا النحو لم يبد سكان البوسنة والهرسك مقاومة تجاه هذه التأثيرات الواردة لهم عن طريق الأتراك العثمانيين بل وتقبلوها بسهولة بالغة. وظلوا لعدة قرون متواجدين وفاعلين في محيط الدائرة الاسلامية الفريدة، ومندمجين اندماجا كاملا في المجتمع العثمانى المتميز حينذاك وربطتهم به مئات المصالح والعلاقات الاقتصادية والثقافية والسياسية والخيوط النفسية السميكة والرقيقة[٣].

وأول ما يسترعى انتباهنا في مجال الثقافة والأدب في البوسنة والهرسك أن اللغة التركية كانت هي اللغة الرسمية تقريبا فى طول الامبراطورية العثمانية وعرضها بينما كانت اللغة العربية، علاوة على استخدامها في الأغراض الدينية اليومية، تستخدم في الأغلب كوسيلة للتعليم والاتصال العلمي. وعلى العكس من ذلك كان للغة الفارسية بعض الأفضلية في مجال الشعر. وفي ظل هذه الظروف كانت الأولوية في الحياة العامة لهذه اللغات الثلاث. ومن أراد أن يصل إلى أعلى المناصب الاجتماعية والسياسية كان عليه أن يعرف هذه اللغات أو واحدة منها على الأقل.

وكانت البوسنة والهرسك آنذاك غنية بالتقاليد الثقافية الاسلامية العربية ونفحاتها، وكانت الكتاتيب والمدارس الاسلامية المتنوعة هى أساس الثقافة الاسلامية العربية. كما انتشرت حينذاك المكتبات العامة والخاصة التى تحتوى على كتب أغلبها باللغات العربية والتركية والفارسية. وبلغ عدد هذه المكتبات حتى بداية القرن التاسع عشر خمس مكتبات عامة وعددا كبيرا من المكتبات الخاصة الحافلة بكتب الدين والأدب والتاريخ والطب البشرى والبيطرى والزراعة وغيرها من العلوم[٤].

وإذا ألقينا نظرة على الابداعات الأدبية في البوسنة والهرسك سنجد أن النفحات والتأثيرات الاسلامية العربية ظاهرة بوضوح في الأدب الشعبى الشفاهى وفي الشعر العاطفى. وفي مجال الابداعات النثرية فهناك القصص البوسنية عن نصر الدين خوجه الرومي، وهو النسخة البوسنية من جحا العربي[٥]. وكانت هذه القصص من أحب الابداعات لدى أفراد الشعب البسطاء. كما ظهرت في الحكايات الخاصة بالجن وأعمال السحر والصعود الى السماء والاتصال بالأرواح وما إلى ذلك.

وتتجلى النفحات والتأثيرات الاسلامية العربية على الابداعات في البوسنة والهرسك بأوضح صورة في تلك الابداعات التى ألفها مسلموها باللغات العربية والتركية والفارسية حينذاك. ويربو عدد المؤلفين البوسنيين بهذه اللغات على ثلاثمائة كاتب ومؤلف كتبوا وأبدعوا في موضوعات ومجالات متعددة منها علوم القرآن والتفسير والحديث والفقه والعقائد والشريعة والتصوف ومختلف علوم الدين والتاريخ وفي علوم اللغة العربية والجغرافيا والحيوان والرياضة والمنطق والوعظ والادارة الحكيمة وتنظيم الدولة والطهارة وخلافه، وكذلك في مختلف الأجناس الأدبية وعلى الأخص في مجال الشعر الذى كان متطورا ومزدهرا في الأدب العربي كشكل من أشكال التعبير[٦]. وفي مجال الابداعات النثرية برز أدب الرحلات وفيه كان المؤلفون يصفون الأماكن البوسنية التى يمر بها الحجاج في طريقهم إلي بيت الله. ومن أبرز الأدباء البوسنيين

الذين كتبوا باللغة العربية: حسن كافي برد شتشاك، مصطفى أيوبوفيتش، محمد بن موسى السرائي، على دده بوشناق، عبد الله بوشناق، محمد بن شلبي، على بن شاكر، فهمي غابي زاده، وغيرهم.

وقد ألف الأدباء المسلمون في البوسنة والهرسك مثل هذه الابداعات الادبية بأجناسها المختلفة وألوانها المتباينة باللغة العربية تطبعا لا طبعا، وذلك ذهابا منهم إلى التفنن في روائع الكلام ومباهاة بقدرتهم على النظم بلغة القرآن. ونجد في هذه الابداعات الأدبية نغمة وطنية جلية وارتباطا واضحا بالوطن.

وقد كان هناك فيما سبق، لسبب أو لآخر، إعراض من جانب الدارسين والنقاد عن دراسة هذه الابداعات الأدبية لمسلمى البوسنة والهرسك وزعم الشيوعيون في حينه بانه أدب لم يأت بجديد وبانه ليس إلا صورة للأدب العربي أو محاكاة له. وهى حجة واهية لان أى أدب يستحق الدراسة والبحث، بصرف النظر عن مغايرته أو مماثلته لغيره، والنقد والدراسة وحدهما هما اللذان يوضحان مدى المغايرة أو المماثلة.

وأمامنا نوع آخر من الابداعات الأدبية للمسلمين في البوسنة والهرسك يحفل بنفحات اسلامية عربية واضحة وهو ما يعرف بالأدب «الهاميادو» أو «الأدب الأعجمي» وهو عبارة عن أدب مؤلف باللغة الأم، أي اللغة البوسنية، ومكتوب بالحروف العربية[٧]. ومن أجناسه الأدبية المشهورة: «القصيدة» وهى شعر للمدح أو الرثاء أو شعر دينى، و«الإلهيات» وهى شعر دينى خالص، و«الحكايات» وهي قصص دينية أو أسطورية، و«العرضحال» وهو عبارة عن شكوى أو دعوى أو التماس أو قصيدة سياسية أو رسالة، و«المحضر» وهو طلب جماعى أو شكوى، وقد استمر هذا النوع من الأدب منذ منتصف القرن السابع عشر وحتى نهاية القرن التاسع عشر[٨].

ويفسر الباحثون ظاهرة الأدب الأعجمى بان المتعلمين تركوا الكتابة باللغة البوسنية للبسطاء الذين لا يملكون حظا واسعا من الثقافة. وكان هؤلاء البسطاء مشغولين أكثر من غيرهم من أفراد الطبقات الحاكمة بهمومهم ومشاغلهم اليومية ويتحملون أعباء الحروب المتكررة على حدود الامبراطورية، ونظرا لانشغالهم بهذه الدوامة الحياتية فقد كانت ابداعاتهم الأدبية، أى هذا «الأدب الأعجمي»، نابعا من احتياجاتهم المباشرة في هذه الحياة وهذه البيئة. ولذا فان قصائد الأدب الأعجمي لا تعكس صراعات عميقة ولا تستند إلى التيارات الفكرية السائدة حينذاك وتختلط لغتها إلى حد كبير بعديد من الكلمات الأجنبية والغريبة[٩]. ولكن في بعض الأحيان كانت هناك ابداعات أدبية تثير الدهشة بنقاء لغتها وقوة تعبيراتها.

وقرر النقاد والباحثون في البوسنة والهرسك أن هذا «الأدب الأعجمي» يمثل أهم عنصر في الحفاظ على الخصائص اللغوية وعلى الثقافة آنذاك. وخلال العصر العثمانى كان هذا النوع من الأدب هو الحارس على الروحانية الذاتية. وفيما بعد كان هذا الأدب هو المنبع الذى كانت جماهير قراء الأدب وجماهير المستمعين له تنهل منه لكى تطفىء حبها للاستطلاع وتروى ظمأها.

ومن أشهر من كتبوا هذا الأدب الأعجمى صالح جاشيفيش ومحمد رشدي ومحمد بك قبطانوفيتش

لوبوشاك ويوسف بك تشنجيتش وحمزه بوذيتش وعبد الرحمن سرى سيكيريتسا ومحمد الهوائى وسعيد وهاب الهامى وغيرهم.

والحقيقة أنه لا يمكننى في هذه العجالة أن أسهب في الكتابة عن كل مظاهر التأثيرات والنفحات الاسلامية العربية التى تتضوع وتحفل بها الابداعات الأدبية في البوسنة والهرسك لأن هذه الظاهرة تحتاج إلى مساحة أكبر ومجال أوسع. ولكنى أود فقط في الختام أن أشير في إيجاز الى بعض النقاط الهامة التى تبينت أنها من أقوى وأهم الأدلة على عمق واستمرارية هذه النفحات والتأثيرات الاسلامية العربية على الابداعات الأدبية في البوسنة والهرسك حتى عصرنا الحديث.

فقد أثبت في معرض دراستى للابداعات الأدبية في البوسنة والهرسك قيام الشخصيات الاسلامية والعربية بمختلف الأدوار الرئيسية والثانوية في كثير من القصص والروايات في النصف الثانى من القرن التاسع عشر[١٠]. وتعددت أسباب هذه الظاهرة الملفتة للنظر، ومن أهمها تأثر مؤلفى هذه القصص والروايات التى قام فيها العرب بادوار رئيسية أو ثانوية بالمذهب الرومانسى وأفكاره، الذى يدفع إلى تمجيد وتعظيم الأحداث التاريخية لأن الأدباء يجدون فيها عزاء عن حاضرهم بل وهو يمنحهم القوة والمقدرة على الاستمرار في النضال من أجل الحاضر والمستقبل ويهبهم الايمان بمستقبل أفضل للشعب والبلاد.

وبالاضافة إلى التأثيرات السابقة التى تشبع بها الأدباء في البوسنة والهرسك خلال فترة الحكم العثمانى فمن أسباب هذه الظاهرة أيضا وجود اتصالات لاحقة بين العرب وبين الشعوب البلقانية، ومنها شعب البوسنة والهرسك بدأت منذ عهد الخلفاء الراشدين وحتى وصول العثمانيين إلى هذه المنطقة، وقد عرضت باسهاب لمثل هذه الحقائق الجديدة المدعمة بالأدلة التاريخية في رسالتى للدكتوراة تحت عنوان: «العربى في النثر باللغة الصربوكرواتية[١١].

ولا يمكن أن نغفل في إطار التأثيرات الاسلامية العربية ونفحاتها على الابداعات الأدبية في البوسنة والهرسك وجود العديد من المصطلحات والتركيبات اللغوية العربية في اللغة البوسنية. والسبب الجوهرى في ذلك يرجع أيضا إلى فترة الحكم العثمانى لهذه المنطقة حيث كانت اللغة العربية هى الناقل الرئيسي ووسيلة التعبير الأساسية عن الثقافة الاسلامية ولذا فان تأثيرها على اللغة البوسنية انتشر وتعمق في كل مجال تقريبا وحتى خارج نطاق الدين. ومن المرجح أن عددا لا بأس به من الكلمات العربية والتعبيرات الاسلامية الموجودة في اللغة البوسنية وخاصة تلك الكلمات التى تتعلق أساسا بالحياة الدينية للمسلمين وبالدين الاسلامى وشعائره وباسماء المسلمين وألقابهم - دخلت إلى اللغة البوسنية مباشرة من اللغة العربية وعن طريق المسلمين البوسنيين أنفسهم الذين تعلموا اللغة العربية واستخدموها في تعاملاتهم[١٢].

وهناك قاموس للمستشرق المعروف عبد الله شكاليتش وعنوانه: «الألفاظ التركية في اللهجات الشعبية والأدب الشعبي لمنطقة البوسنة والهرسك» وحسبما ذكره مؤلف هذا القاموس فهو يحتوى على ٦٥٠٠ كلمة فيها حوالى ٣٨٠٠ كلمة من أصل عربي، ومن هذا يتبين لنا أن أكثر من نصف الكلمات الأجنبية

كلمات عربية الأصل[١٣]. وخلال بحثي في رسالة الدكتوراه عثرت على حوالى ١٢٩ كلمة أخرى من أصل عربي وغير موجودة بالقاموس المذكور.

ومن الغريب أن علماء اللغة بالبوسنة والهرسك كانوا، إلى عهد قريب، يدرجون الكلمات العربية الموجودة باللغة البوسنية تحت اسم «الكلمات التركية» ويرجع هذا الخطأ إلى غياب ونقص الأبحاث المتخصصة والدراسات العلمية الجادة التى تدرس بشكل خاص موضوع الكلمات العربية في اللغة البوسنية. ولكن لابد أن ننوه هنا على الفور الى أنه بدأت في الآونة الأخيرة فحسب تظهر محاولات علمية جادة لالقاء الأضواء على هذا الموضوع.

وأخيرا ظهرت في عام ١٩٦٦م رواية «الدرويش والموت» للأديب البوسني ميشا (وهى كلمة تدليل لاسم محمد) سليموفيتش. وتقرأ في هذه الرواية البوسنية البسملة في بدايتها ثم فقرات مختلفة من الآيات القرآنية الكريمة. وتقع أحداث الرواية في جو اسلامى دينى متميز ويتفلسف أبطالها بمعان دينية ليس من الصعب تقصى منابعها في الآيات القرآنية وتحفل بالعديد من الأفكار الدينية الاسلامية ولذا وصفها النقاد بأنها رواية اسلامية[١٤].

الهوامش:

(١) محمد فيليبوفيتش، البوسنة والهرسك، سرايفو ١٩٩٧م ص ١٣٣ وما بعدها.

(٢) مصطفى إماموفيتش، تاريخ البشانقة، سرايفو ١٩٩٧، ص ١٣٨.

(٣) ميلينكو فيليبوفيتش، العناصر الشرقية في الحضارة الشعبية للسلاف الجنوبيين، مجلة الفيلولوجيا الشرقية، سرايفو ١٩٧٠، ص ١٠٧ ـ ١٠٩.

(٤) للمؤلف، الأدب اليوغسلافي المعاصر، الكويت ١٩٨٤، ص ٦٧.

(٥) محمد رجب النجار، جحا العربي، الكويت ١٩٧٨، ص ٤٣ وما بعدها.

(٦) محمد بن محمد الخانجى البوسنوى، الجوهر الأسنى في تراجم علماء وشعراء بوسنة، القاهرة ١٣٤٩هـ.

(٧) على اسجاقوفيتش، الجواهر ـ مختارات من أدب المسلمين، زغرب ١٩٧٢، ص ٢٥٠.

(٨) محسن رذفيتش، الاطارات الظاهرية والمميزات الداخلية للادب الاعجمي، سرايفو ١٩٧٢، ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠.

(٩) اسماعيل باليتش، ثقافة البشانقة الاسلامية، وين ١٩٧٣، ص ٥٩.

(١٠) للمؤلف، شخصية البطل العربي في الأدب اليوغسلافي، مجلة العربي العدد ٢٦٢، الكويت سبتمبر ١٩٨٠، ص ١٢٢.

(١١) للمؤلف، العربى في النثر باللغة الصربوكرواتية، رسالة دكتوراة لم تنشر، بلغراد ١٩٧٩، ص ١١٥ وما يليها.

(١٢) توفيق موفيتش، عن الكلمات العربية في اللغة الصربوكرواتية، مجلة الفيلولوجيا الشرقية العدد X1 X -، سرايفو ١٩٦١، ص ٦.

(١٣) عبد الله شكاليتش، الألفاظ التركية في اللغة الصربوكرواتية، سرايفو ١٩٦٥، ص ١١.

(١٤) مدحت بيجيتش، بحث مصائر البشر، مجلة الصدى، سرايفو ١٩٧٢، ص ٦.

التذوق الجمالي والبيئة

هناك دراسات عديدة عن «التذوق الجمالي»، بوصفه موضوعا من موضوعات «الخبرة الجمالية»، وهو المبحث الرئيسي من علم الجمال أو الأستطيقا، الذي يدرس خبرة الإبداع لدى الفنان عند إنتاجه للعمل الفني، وخبرة التلقي لدى جمهور العمل الفني، وموضوع التذوق الجمالي هو موضوع مشترك بين حقول معرفية عديدة، فقد اهتم علم النفس بدراسة «سيكولوجية التذوق الفني»، واهتم علم الاجتماع بدراسة آليات التلقي الاجتماعي عند الاستجابة للأعمال الفنية، وكذلك اهتمت التربية الفنية، بدراسة التذوق الجمالي وكيفية تنميته عند الأطفال، ووسعت من مفهوم التذوق ليشمل تدريب الطفل على تنمية قدراته ومواهبه.

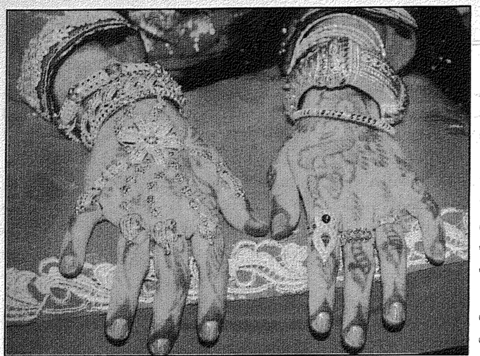
وهذه الدراسة تحاول أن تربط بين مجال التذوق الفني ومجال البيئة، ولم يلتفت كثير من باحثي علم الجمال إلى العلاقة بين هذين المجالين، اللذين يبدو كلٌّ منهما منفصلا عن الآخر، بينما هما في الحقيقة متداخلان، ذلك أن «التذوق الجمالي» هو تفاعل الإنسان مع العمل الفني بوصفه منتجاً له، أو مستقبلا له، وقد بينت بحوث الخبرة الجمالية أن الجهد المبذول في إنتاج العمل الفني أو تلقيه هو جهد واحد، السمة التي تغلب على الخبرة الجمالية في الإبداع هي الإرسال، أي توصيل رسالة جمالية من خلال وسائط مادية، بينما تغلب سمة أخرى على الخبرة الجمالية في التلقي، هي الاستقبال، حين يقوم المتلقي بإعادة بناء العمل الفني وفق خبراته وثقافته وتراثه، ليعيد إنتاج العمل الفني، وهذا التفاعل هو خبرة إنسانية، كذلك البيئة هي مجال لتفاعل الإنسان مع المحيط الذي يعيش فيه، وهذا المحيط له مستوياته المتعددة، من مستوى طبيعي، ومستوى اجتماعي، ومستوى تركيبي يجمع بين خصائص المحيط الذي يعيش فيه الإنسان، وهذا يعنى أن التفاعل سمة إنسانية في التذوق الجمالي، حيث يكشف تفاعل الإنسان مع عناصر الجمال عن عناصر متعددة تحدد مفهوم الجمال لديه مثل العنصر العقلي المعرفي، والعنصر الوجداني، والعنصر الثقافي والاجتماعي .. وبالتالي كلما ارتفع مستوى التذوق الجمالي وتثقيف الحواس وتدريبها على إدراك عناصر الجمال، ارتقت علاقة الإنسان بالبيئة، واصبح قادراً على تمييز عناصر الجمال فيها، وتنميتها والحد من العناصر التي تشوه المحيط الذي يعيش فيه.

فالتذوق الجمالي هو أحد محددات السلوك الجمالي، الذي يكتسب المعرفة عن طريق الإدراك والتخيل، وتنمية هذا السلوك تجاه البيئة يتأتى بتنمية التذوق الجمالي.

التذوق الجمالي:

التذوق هو موقف جمالي وهو «انتباه وتأمل متعاطف منزه عن الغرض»[١]، فحين نتأمل منظراً طبيعياً جميلا، أو لوحة، أو نقرأ قصيدة شعرية، فإننا لا نفكر في المنفعة التي تأتينا من وراء هذا، ويقوم الموقف الجمالي بعزل الموضوع الذي تتأمله الذات، والتركيز عليه، مثلما تركز على منظر فريد للصخور التي تعطى تكوينا ما، أو صورة السحب المتراكمة، وصوت المحيط أو البحر، وتوزيع الألوان في صورة ما، فالتذوق الجمالي لا يسعى إلى تصنيف الأشياء أو دراستها أو الحكم عليها، إنما تأمل الأشياء في ذاتها، لأنها باعثة لنوع خاص من الارتياح نطلق عليه اللذة الجمالية، ويتميز موقف الإنسان المتذوق للجمال بأنه متعاطف مع الموضوع الذي يتذوقه، ويشير هذا

بقلم: د. رمضان بسطاويسى محمد
كلية البنات جامعة عين شمس ـ القاهرة



ـ رسوم الحناء .. فن يعكس هوية التذوق الجمالي.

التعاطف إلى الطريقة التي نعد بها أنفسنا للاستجابة للموضوع، فعندما ندرك موضوعاً بطريقة جمالية، نفعل ذلك كي نتذوق طابعه الفردي، وندرك سماته المختلفة، وإذا شئنا أن نتذوق الموضوع، فلابد أن نُهيء أنفسنا لنتقبله كما هو، ونهيء أنفسنا لقبول أي شيء قد يقدمه للإدراك، ويقوم المتذوق باستبعاد أية استجابات تعوق تواصله مع الموضوع الذي يتذوقه، أو تؤدي إلى تباعد فهمه، والموقف الجمالي هو أن نستجيب للموضوع الذي نتذوقه بطريقة متوافقة معه.

والمقصود بالتعاطف في التجربة الجمالية هو أن نعطي للموضوع فرصة، لكي يبين لنا كيف يمكنه أن يكون ذا أهمية وطرافة بالنسبة إلى الإدراك ومعنى الانتباه في التذوق، هو أن التذوق ليس نشاطا سلبياً في تأمل العمل الفني أو الطبيعة، وإنما الانتباه الجمالي يكون مصحوباً بنشاط إيجابي، ولذلك فإن «كيت همفز» يعرف التذوق الجمالي بأنه «وعي وتنبه وحيوية»[٢] فالانتباه له درجات، وهو يزداد شدة أو ينقص باختلاف حالات الإدراك الجمالي، وقد يصل إلي حد الاندماج العاطفي مع الموضوع، بحيث نجد أنفسنا نكيف حركاتنا العضلية والجسمية، بحيث نندمج بأحاسيسنا في الموضوع. ولكن التركيز على الموضوع والسلوك الإيجابي إزاءه ليس كل المقصود بالانتباه في التذوق، بل لابد أن نتذوق القيمة الكاملة للموضوع، أي ننتبه إلى تفاصيله التي غالبا ما تكون معقدة وغامضة، والوعي الواضح بهذه التفاصيل يتأتى من تثقيف الحواس أي تدريبها على التقاط التفاصيل، فالعين المدربة على قراءة الأعمال الفنية، تستطيع أن تميز بين الألوان المستخدمة في اللوحة، وتدرك درجاتها.. وكذلك الأذن المدربة على سماع الموسيقى، ندرك التميز بين قطعة موسيقية وأخرى، ولا توجد بين كل القطع الموسيقية.. وبدون هذا التميز تكون تجربتنا الجمالية هزيلة، فمثلا إذا قرأ القصيدة إنسانٌ درس الشعر وعرف الإيحاءات والرموز في الشعر، فإنه سوف يهتدي إلى تفاصيل لم يكن من قبل يشعر بها، ويدرك حيوية النص الشعري، مما ينعكس على تذوقه الذي يزداد ثراء ووحدة، وبدون تثقيف الحواس، يكون التذوق هزيلا، لأن الإدراك يكون فاقداً إلى التنظيم ولا يشعر بالبناء الذي يربط بين أجزاء الصورة التي يدركها، والعنصر الرئيسي في التذوق الجمالي هو اتخاذ موقف إيجابي نحو ما هو مدرك، اي ما يصل إلينا من خلال معطيات الحواس، والتذوق الجمالي هو تجربة نجد رضا في ممارستها لذاتها، وهذا ما يعطيها قيمة في ذاتها. وهذا يقرب بين الجمال والتذوق، ذلك أن الجمال هو الشيء الذي يجلب لنا الإحساس بالسرور، ويشعر الإنسان باللذة من النظر إليه أو إدراكه ذاته، وهذا ما تؤكده التجربة في الحياة اليومية، فحين ينجذب المرء إلى لون زهرة أو رشاقتها أو تناسقها، أو يندمج في قصة، ويظل مستغرقاً فيها، تكون تلك لحظة في الحياة جديرة أن نمر بها لذاتها، وليس من اجل تحقيق منفعة مباشرة.

وهذا النشاط الجمالي في تذوق الألوان والأصوات والصور هو جزء لا يتجزأ من نسيج الحياة البشرية، وهذا نجده في اختيار الإنسان للملابس، والأدوات التي تنم عن ذوق جمالي، حتى لو كان الإنسان غير واع بذلك، فالإنسان يمارس التذوق الجمالي بشكل فطري، فهو لا يكف عن التطلع إلى العالم والاهتمام بمناظره الطبيعية وأصواته وحركاته، والإنسان يفعل ذلك بشكل

تلقائي، مثلما يفعله الطفل حين تتضح حواسه، ويتطلع للعالم دائماً، بحيث يظهر له العالم جميلا ، ومثيرا للاهتمام.

ويمكن هنا أن نتساءل هل تذوق الإنسان للجمال ثابت أم متغير؟ إن التقاء الإنسان بالموضوع الجمالي، يدخل الإنسان في تجربة، قد تغيره تغييرا عميقا أو بسيطاً، ولكنه يبدل تجاربنا المقبلة في نفس المجال، وتزداد قدرتنا على التميز واكتشاف التفاصيل التي لم نكن نراها من قبل، فإذا اعتدنا قراءة أعمال روائية أو شعرية ، فإن هذا يغير ذوقنا إلى الأحسن، لأنه يجعلنا ندرك الفروق بين هذه الرواية وتلك، وندرك استخدام الكاتب لأدوات بعينها لابراز حالة الشخصيات وطبيعة العالم الأدبي الذي يقدمه، وهذا يعنى أن الذوق الجمالي هو نشاط تراكمي، يكسب الإنسان خبرة به من خلال التكرار لفعل التذوق الجمالي، ولا يقتصر تأثير الذوق الجمالي على تنمية قدرتنا في التواصل مع العمل الفني والاستمتاع به، وإنما قد يغير شخصيتنا وتجربتنا في الحياة، فقراءة رواية قد تعمق من بصيرتنا في إدراك أشياء كثيرة في الحياة، وتجعلنا نلتفت إلى تفاصيل توسع من نطاق تعاطفنا مع البشر والأشياء من حولنا، ومن المستحيل وضع حدود للتأثيرات النفسية التي يمكن أن تكون للعمل الفني.

ولذلك فهناك فرق بين تجربة التذوق الجمالي، والتجربة العملية للإنسان في الحياة اليومية، فالأولى تجربة منزهة عن الغرض والمنفعة، بينما التجربة العملية تتجه نحو تحقيق غاية مباشرة، وإنجاز مصلحة عملية مباشرة، وتتجه للمستقبل، وفي التجربة اليومية لا يستغرق الإنسان بكل انتباهه في الموضوع الذي يدركه بحيث يعزله عن بقية الموضوعات الأخرى كما يحدث في تجربة التذوق الجمالي، ذلك لأن لكل عمل فني إطار يعطيه تنظيمه البنائي الداخلي، ويعزله عن الموضوعات الأخرى، ولذلك فإن نظرة المتذوق ذات طابع انعزالي، بينما نشاط الإنسان في الحياة اليومية ذات طابع ترابطي أي الربط بين العناصر المختلفة للموضوع وعلاقاتها بالموضوعات الأخرى فحين نقرأ رواية يتم عزل الإنسان والموضوع (الرواية) معاً عن التيار المعتاد للتجربة، وحين نعجب بالعمل الفني في ذاته، نفصله عن علاقاته المتبادلة بالأشياء الأخرى[٣].

وقد درس علماء النفس الاستجابات المختلفة للإنسان إزاء العمل الفني، فقد درس إدوارد بلوم ذلك حين اختار استجابات البشر للألوان وبين ذلك في بحثه: المشكلة الادراكية في التذوق الجمالي للألوان المنفردة في الحولية البريطانية لعلم النفس، فبين انه ليس هناك ألوان سارة يرتاح لها الناس جميعا، وإنما هناك طرق مختلفة يستجيب بها الناس للألوان، مثل الاستجابات الترابطية، التي يدرك فيها الإنسان اللون من خلال ارتباطه بفكرة معينة، أو صورة لموضوع معين مر به الإنسان في الماضي، ويقتصر تركيز المرء على اللون بوصفه مثيرا للانفعالات المرتبطة بها، وهذا النوع من الاستجابة الترابطية غير جمالي، ونجده حين يربط الإنسان بين اللون الأسود والموت في بعض الثقافات الشعبية في حضارات معينة، وهناك استجابات ترابطية أخرى، ولكنها تتصف بالبعد الجمالي، وهو ذلك النوع الذي لا ينفصل فيه الترابط عن إدراك اللون، بل يندمج المتلقي في اللون، وتقوى لديه نغمة الإحساس باللون بفضل الترابط، ويعطيه مزيدا من الحيوية والدلالة[٤].

والى جانب النمط الترابطي من الاستجابة الجمالية، توجد انماط اخرى مثل الاستجابة الفسيولوجية، وهي الاستجابة التي تتوقف عند التأثير الجسمي والعضوي للأعمال الفنية فمثلا بعض الألوان تثير الأعصاب أو تهدئها مثل الأحمر والأزرق، والبعض الآخر قد يرفع من ضغط الدم، ولعل هذا التأثير الفسيولوجي للألوان هو الذي جعل علماء التربية ينادون بتغيير لون السبورة من الأسود لألوان أخرى مثل الأخضر أو الأبيض، حيث اهتموا بأثر اللون الأسود على حواس الطفل وهو يتطلع إليه طوال اليوم الدراسي، وهذا النمط من الاستجابة الجمالية يحكم فيه الإنسان على الموضوع من خلال التأثيرات الشخصية فيهم.

وهناك استجابة أخرى وهي الاستجابة الموضوعية التي تتوقف عند الموضوع الذي ندركه ونحلل خصائصه، فحين يستجيب المرء موضوعيا للألوان، إنه يتحدث عن نقاء الألوان، وخصائص كل لون من الناحية العلمية. وهذا النمط من الاستجابة، بالإضافة إلى الاستجابة الفسيولوجية هي أنماط غير جمالية، أي لا تشكل الاستجابة موقفا جماليا، منزهاً عن الغرض، ويجلب السرور والارتياح، والنمط الجمالي للاستجابة

هو النمط الشخصي، الذي يتأمل فيه الإنسان الموضوع الجمالي دون فكرة مسبقة عنه، أو عن تأثيره، فهو يتذوق الموضوع بطريقة مفعمة بالحيوية والعمق، وهو يتميز بنغمة انفعالية قوية، وهنا لا يلتفت المتذوق للاستجابات والتأثيرات الجسمية والعضوية التي يحدثها العمل الفني، وإنما استجاباته تتخذ صورة أخرى، يمكن أن نفهمها حين يتحدث الإنسان عن أن الموضوع الجمالي له حياة مستقلة، وله طابع خاص به، فاللون الأحمر لا يوحي بالسخونة أو يرفع ضغط الدم لديه، وإنما يتحدث عن صفات اخرى مثل صريح ونشط، وذلك لان الاستجابات الشخصية يندمج فيها المرء في الموضوع الجمالي، ويتعاطف معه، ويستجيب له بشكل إيجابي. فالاستجابة الشخصية لا تصرفنا عن الاهتمام بالموضوع الجمالي للاهتمام بفكرة اللون مثلا، أو عن تأثيره على أجسامنا، وإنما تجعلنا نعطي الموضوع الجمالي مكانة مركزية في الوعي[٥]، ويستحوذ علينا بدلا من تحويل الانتباه نحو موضوعات اخرى خارج العمل الفني.

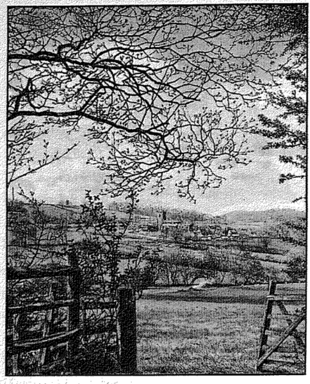
وهذا يختلف عن الاستجابة الموضوعية التي تحلل الموضوع الجمالي بطريقة مجردة، ويعوقنا عن التعاطف الجمالي مع الموضوع.

الجمال الطبيعي والجمال الفني:

ان الإنسان يتذوق الجمال في الطبيعة كما يتذوق الجمال في الفن، فهل هناك فرق بينهما؟

لابد أن نوضح في البداية، أن ما يدرك مباشرة من خلال الحواس هو الجمالي فحسب، فالأصوات والألوان، والملمس وما يتعلق بها من موضوعات الحس هي وحدها التي يمكن أن نطلق عليها موضوعات جمالية، ونحن ندرك الجمال في الطبيعة والفن من خلال الحواس، فعندما ندرك لونا في الطبيعة أو في عمل فني، فإن معناه كله ينحصر في الطريقة التي يبدو لنا عليها فحسب، فليس له معنى وراء ذاته، ولا حاجة إلى تفكير أو نشاط عقلي من اجل الاستمتاع به جماليا، بل كل ما نحتاج إليه هو أن نحس به مباشرة[٦].

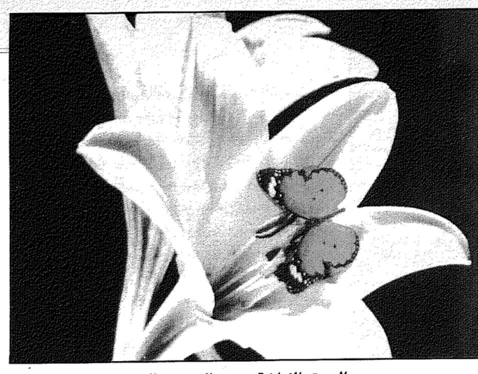
وإذا كان الجمال هو الذي يجلب للإنسان الشعور بالرضا واللذة، فإن الطبيعة زاخرة بأمثلة اللذة أو الرضا على المستوى الأول وهو المستوى الحسي



ـ الطبيعة.. وسحر الجمال.

المستمد من إدراك التركيبات المادية والألوان والأصوات، فتركيب ودقة زهرة، أو صورة شاطىء البحر، أو قطعة من الجرانيت المصقول كالزجاج، وألوان الأشياء التي لا حصر لها في الطبيعة[٦]، كل هذه الأمثلة تقف أندادا لنظائرها في الأعمال الفنية من حيث القيم الحسية، والطبيعة تحفل بالقيم الشكلية، وهي القيم الناشئة عن إدراك شتى أنواع العلاقات، والجمال هو إدراك للعلاقات المريحة التي يستجيب لها الإنسان في شتى العناصر سواء أكانت متوافرة في الطبيعة أي من صنع الخالق الأعظم سبحانه أم كان الإنسان الفنان هو الذي صاغها في قوالب مختلفة من الفن التشكيلي والعمارة والموسيقى والشعر والرقص والغناء، والجمال قد يكون صفة للشيء، وهذا ما نجده في الاتجاه الموضوعي الذي يرى أن الذي يجعل الشيء جميلا هو توافر مجموعة من الخصائص، وهناك اتجاه آخر يرى الجمال في الذات المدركة، وهو ما يتمثل في الاتجاه الذاتي أو المثالي، وهناك وجهة نظر ثالثة ترى الجمال في هذا التفاعل بين الذات والشيء المرئي.

وإذا تساءلنا ما هو الجمال؟ فإن تاريخ الفكر يعرض إجابتين، أولاهما: الاتجاه الذي يرى أن الجمال لا يمكن أن يقدم في تصورات، لأنه قيمة في ذاته، وثانيتهما: الاتجاه الذي يرى أن الجمال ليس شيئا في ذاته، وأن له طابعاً عينياً وواقعياً، ويمثل هذا الاتجاه



- الوردة والفراشة .. جمال في جمال.

هيجل الذي يرى أن الجمال نمط معين لتمثيل الحقيقة وإظهارها في طابع حسي.

تبين لنا مما سبق أن الذوق هو قدرة الإنسان على الاستجابة للجمال والجمال هو صفة نصف بها سلوك الإنسان، وبدنه، ومظهره، وحكم نطلقه على الأشياء، والجمال هو الحسن، ولذلك فإن الجمال في الإسلام مشتق من الإحسان، وهو أعلى مرتبة من مراتب الإيمان، وقد ورد لفظ الجميل في القرآن الكريم ليصف السلوك الإنساني، {فاصبر صبراً جميلا}، وهو الصبر الذي ليس فيه جزع، أو ضيق، أو حقد، والهجران الجميل هو ترك الناس وفراقهم دون أن نسبب لهم ألما أو مشاحنة.. والشخص الذى يستطيع أن يتصف بهذه الصفة هو الذي يستجيب بحساسية خاصة في تصرفاته، في علاقته بنفسه وبالأخرين، وبالأشياء من حوله، يدرك من خلالها الجمال، ويرعاه وينشره، ويتطلب التذوق الجمالي شمولية النظرة، أي قدرة على الملاحظة والتصميم الجمالي في اكثر من محيط، والذواق هو إنسان نمت حواسه، فأصبح يستجيب للأصوات والأنغام والأشكال والمعاني، يشعر بالجمال ويكره القبح، والخلاصة أن الذوق معناه الاستجابة الوجدانية لمؤثرات الجمال الخارجية، بمعنى انفعال الإنسان وتأثره بالمواقف التي تتوافر فيها العلاقات الجميلة والتي تجعل الإنسان يشعر بالمتعة والارتياح، والتذوق حركة دينامية فاعلة للتأثير والتأثر قوامها عشق الجمال ورفض القبح، والإنسان المتذوق هو الذي تتوافر لديه الحساسية للاستجابة للأعمال الفنية، ويتضمن القدرة على التمييز بين الحسن، والمتوسط في الحسن، والسيء في الأشياء التي يصنعها الإنسان، ويقوم الذوق الجمالي على ثلاثة أشياء:

أولها: تربية الفرد، ذلك أن التذوق ليس مفهوماً نظرياً وإنما مكتسباً، فالتربية تزود الفرد بمعايير الجمال التي يرتاح إليها، وهذه التربية قد تكون غير مقصودة، وذلك حين يستمد الفرد من البيئة التي يعيش فيها مفاهيمه عن الجمال.

ثانيها: الإحساس لدى الفرد، الذي يمكننا من استقبال الموضوعات الجمالية وإدراكها، وهذا الإحساس يمكن تنميته من خلال التدريب على قراءة الأعمال الفنية وسماعها وهو ما قد أوضحناه من قبل تحت مسمى تثقيف الحواس.

ثالثها: فهو منظومة القيم الخلقية التي يتبناها المرء، ذلك لأن المعتقدات والمبادىء الخلقية التي يعتنقها المرء توجه سلوك الفرد، بما في ذلك السلوك الجمالي، وهذه المبادىء هي الإطار الذي يحكم من خلاله الإنسان على الأشياء من حوله، والذوق الجمالي ليس له أهمية في ذاته، وإنما تكمن أهميته فيما يؤدى إليه من ايجاد تغيير في حياتنا.

ويبرز هنا سؤال هل التذوق الجمالي متساو لدى البشر، أم يختلف باختلاف ثقافة كل منهم؟ لا يمكن الادعاء بأن كل إنسان قادر على إدراك الأعمال الفنية وتذوقها، فإذا عرضنا عملا فنياً واحداً على عدد من المشاهدين، سنجد أن هناك استجابات مختلفة باختلاف ثقافة كل مشاهد واهتماماته، ولذلك لابد من توافر بضعة شروط يمكن من خلالها توقع مستوى استجابة المتذوق ونوعيتها، ومن أهم الشروط، خبراته السابقة في قراءة المادة الوسيطة التي يستخدمها الفنان في توصيل عمله الفني، فهل يمكن للملتقى أن يستجيب لقصيدة باللغة الإنجليزية وهو يجهل هذه

اللغة جهلا تاما، كذلك كيف يمكن للمتلقي أن يستجيب لعمل فني من فن التصوير، وهو يجهل طبيعة الألوان واستخدامها، ولا يكفى أن يكون المتلقى قادرا على قراءة لغة الوسيط الجمالي وإنما لابد أن يكون مدرباً على تذوق القطع الفنية، وهذا التدريب يكون من نوعية الخبرةالتي يعيشها الفنان، فتسمح حينئذ بمساعدة المتذوق على إدراك ما ينتجه الفنان ولا يستطيع، أن يتذوق، ويجد له صدى في تجربته في الحياة. ولذلك يؤكد «البرت بارنز» أننا ندرك فقط ما تعلمنا أن نبحث عنه، سواء في الحياة أو الفن، وسواء استخدم الفنان خامة التصوير، أو، الكلمات أو الأنغام الموسيقية، فإنه قد جسد خبرة في عمله، ولكي نتذوق صورته أو قصيدته أو سيمفونيته، لابد لنا من إعادة تشكيل خبرته في أنفسنا قدر المستطاع (محمود بسيوني: مبادىء التربية الفنية ١٩٨٩)، ولذلك فإن الذين يشكون من انهم لا يفهمون الفن، يتأتى من كونهم لا يبذلون جهدا في عملية تحصيل مماثلة للتحصيل الذي مر به الفنان، فالمتعة الجمالية تتطلب ثقافة وخبرة.

ويمكن أن نتساءل ما هي ضرورة الإحساس بالجمال، وتذوق الفنون؟ ويمكن أن نجيب على ذلك فنبين، إذا أردنا تحديد ضرورة الفن، فلابد أن نحدد مكانة الفن في حياتنا اليومية، فلو تأملنا المضمون الكامل للوجود الإنساني، سنجد انه ينطوي على عدد كبير من الاهتمامات والحاجات الإنسانية، تبدأ بالحاجات المادية مثل الطعام والشراب والمأكل والمسكن، ثم تليها القوانين التي تنظم الحاجات المادية بين الأفراد التي تُمَثَّل في الشرائع وقوانين الأسرة والدولة، ثم الحاجة الدينية في نفس كل إنسان التي تجد إشباعها في حياة التقوى[٨]، ثم النشاط العلمي الذي يمارسه الإنسان في جملة المعارف والعلوم، وفي وسط هذه الحاجات والاهتمامات الإنسانية تتم ممارسة، النشاط الفني بشكل غير منفصل نتيجة لحاجات الإنسان الروحية إلى الجمال التي لا يستطيع الإنسان إشباعها في أي اهتمام أو حاجة من الحاجات السابقة. ويمكن هنا أن نتساءل ما هي الضرورةالداخليةالتي تدفعنا إلى الاهتمام بالجمال في زمرة الحاجات السابقة؟، والإجابة على هذا التساؤل إن الحاجات الإنسانية ليست منفصلة عن بعضها، بمعنى أن الإنسان لا يعيش وفق حاجاته الماديةفحسب، وإنما يحتاج لإشباع حاجاته الاجتماعية والروحية[٩]، وهذا يعني أن كل دائرة من هذه الحاجات مكملة لبعضها بعضاً، والإنسان ـ بطبيعته ـ يسعى دوماً إلى تجاوز الحاجات التي تشغل منزلة دنيا إلى حاجات أسمى، فمثلا الإنسان اصبح لا يستخدم الطعام كما كان يستخدمه الإنسان البدائي، وإنما يطور في أشكال الطهي والتناول وذلك لكي يلبى حاجات أعمق وأوسع، وهذا يبين أن الفن يتدخل في تصميم وجود الإنسان، فلم يعد الإنسان يرتدى أي شيء، وإنما اصبح يلون ويختار أنواعاً مختلفة من الكساء، وهذا يعنى أن الفن مرتبط بدوائر حاجات الإنسان المترابطة والمتشابكة.

الهوامش:

(١) ايتين سوريو: تقابل الفنون، ترجمة بدر الدين القاسم الرفاعي مراجعة عيسى منصور، منشورات وزارةالثقافة دمشق ١٩٩٣م.

(٢) د. أميرة حلمي مطر: مقدمة في علم الجمال وفلسفة الفن دار المعارف القاهرة ١٩٨٩م.

(٣) د. محمود بسيوني: مبادىء التربيةالفنية، دار المعارف القاهرة ١٩٨٩م. تربية الذوق الجمالي دار المعارف القاهرة ١٩٨٦م.

(٤) جان مارى شيفر: الفن في العصر الحديث، الاستطيقا وفلسفةالفن من القرن الثامن عشر وحتى يومنا هذا ترجمة د. فاطمة الجيوشي، دراسات فلسفية[٢٥] منشورات وزارة الثقافة دمشق ١٩٩٦م.

(٥) د. عزت قرني: علم الجمال، محاضرات ونصوص.

(٦) د. مصري عبد الحميد حنورة: سيكولوجية التذوق الفني، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٥م.

(٧) جيروم ستولنيتز: النقد الفني، دراسة جمالية وفلسفية ترجمة د. فؤاد زكريا، مطبعة جامعة عين شمس ١٩٧٤م.

(٨) د. منصور عبد الرحمن: معايير الحكم الجمالي في النقد الأدبي، الطبعة الثانية، مكتبة المعارف القاهرة ١٩٨٤م.

**(٩) Milton C. Nahm: Aesthetic Experience and its Presuppositions Harper.
Brothers Publishers New York 1946**

مُعَلَّقَةٌ بباب العصر

د. عبدالله الفيفي
كلية الآداب - جامعة الملك سعود - الرياض

«وهذه مَألُكةٌ للحارث بن حلزة إلى بني قومه، من مخطوطة قصيدة لم يكتشفها (فريتس كرنكو) في الديوان الذي نشر»

١ - ولما أن رأيتُ سـراة قـومي
مـساكى لا يثـوبُ لهم زعـيمُ

٢ - عقرت قصائدي غرْثَى .. عطاشى
لئـلا يسـتـبـدَّ بهـا لئـيمُ

٣ - عـقلتُ بداخلي صـعـبـاً جـلالا
يقـول الصـامتُ اليـوم الحكيمُ

٤ - ورحتُ أصـورُّ التـهـلاك ركـبـاً
ببـاب العـصـر والمسـعى حطيمُ

٥ - واحـلامى سكارى لا تُبَـارى
ولـكـنَّ الاداة بـهـا نـؤومُ

٦ - بنيتُ على الرغـائب مُـرْجَـحنا
من الآتى عليـه الورق حُـومُ

٧ - ومـا بى عـيلةٌ لولا انتـسـابي
لأنواء عـيـالهُمُ (حـ ...)

٨ - يرون الخطَّة العـمـيـاء حلْمـاً
ويخـتُـون المُبـادر إذْ يرومُ

٩ - يُوارون الموَارَىَ خـوف أن لوْ
تراها الشَّـمْسُ وهناً أو تشـيْمُ

١٠ - يلُوثُون الخـبـاء غـيـاهـبـيًّا
يمورُ بعـالم أكـهـى يهـيْمُ

١١ - ويسـتـحـيـون ان يحـيى جـديدٌ
٢وهُمْ يرجُـون لو بُعث الرَّمـيْمُ

١٢ - وسـبـحـان الذى أغنى وأقنى
لنـا الأخـرى وللثـقـلين ديْمُ(*)

١٣ - وسـبحـان الذي مـا انفكَّ يُوفى
لنـا الإيمانُ والدنيـا حـرُومُ

* * *

١٤ - ألِكْنِـي - لا أبـا للـبـين داراً -
لـوادي الـسـرِّ مـألكة تدُوْمُ

١٥ - وأبلغ ظعنهم ظبـيـاً فظبـيـاً
بمومـاة مـجـاهلهـا كـتُـومُ

١٦ - كـاصـورة بهـا البـيـداء تحـدُو
وملء عـيـونهـا حَـداً ويوْم

١٧ - كـأنَّ سـواد مـا وأدت وجـاشتْ
على التـسـاَد اغـربة جـثـومُ

١٨ - وهُنَّ على الرَّجـائز واكنات
تطوفُ بهـنَّ من سـفـر هُمُـومُ

١٩ - ظهـرن بكلة وسـدلن اخـرى
وثقـبـت البـصـائرُ والحلُومُ

٢٠ ـ وهُنَّ على الظلام مُطلَّبات
ونعم الظُّلْمُ من نعم الظَّلُومُ

٢١ ـ علون رباوة وهبطن غيباً
ولم يرجعن وأتلّتْ وُهُوم

٢٢ ـ تقول الحرَّة الوطفاء ويلي
أما في القوم جسَّار حليم

٢٣ ـ يريغ البسمة العذراء يوماً
لثغر الشمس فينا أو يقيمُ

٢٤ ـ كنُون النِّسوة اجتاحت حروفي
سُكُونٌ يستبدّ ويستديمُ

٢٥ ـ وعندي بالعلى بصرٌ حديدٌ
وعندي في الدُّنى نظرٌ سليمُ

٢٦ ـ وما قالتْ غداة البين إلا
ليُنكأ فيَّ فرَّاسٌ كريمُ

٢٧ ـ يدورُ مع المكارم حيثُ دارتْ
فتحمده المكارمُ والعُلُومُ

٢٨ ـ ويستبقى التِّلاد به طريفٌ
كنصل السيف قرضابٌ صرُومُ

٢٩ ـ يعيدُ بناء ردهته إذا ما
تداعى الحيُّ واشتدَّتْ غشُوم

٣٠ ـ ويستصفي المعارج للمعاني
ولا يرضى لنخلته تئيْمْ

٣١ ـ ويبرأ من غبار الدَّهر وجهاً
بغرَّته اهتدتْ أممٌ أمومُ

٣٢ ـ ويعرفُ دَاءَهُ من غير طِبٍّ
كفى المرءَ المجرب ما يشيمُ

٣٣ ـ فأبلغ رهطهم والحيُّ شعتٌ
فقد أبرأتُ فيهم من يلومُ

٣٤ ـ إذا ما ظلَّ في طخياء قومي
فبُدِّل من بني أبويك روم(*٢)

---

١) البيت يتيم في: ملحق ديوان الحارث: ص ٣٠، (تحقيق/د. أميل بديع يعقوب. ط (١) دار الكتاب العربي ـ بيروت: ١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

٢) ب: «خبأت قصائدي بالطل تندي»، ج: «خبأت قصائدي والطل فيها»، د: «خبأت قصائدي والطل ينثو».

٣) ج: «عبأت مشاعري همًّا تذري»، د: «عقلت مشاعري صعباً جلالا».

٤) د: «... التهلاك رشداً»، ب: «والماضي حطيم».

٧) ب: «لأقوام»، د: «لآباء»، ومكان الكلمة الأخيرة في جميع النسخ: فراغ.

٨) د: «ويخشون».

١٠) ج: «يموج»، ب: «بعالم أعمى».

١٢) ج: «وللثقلين حُومُ».

*) كتب على هامشه: «قال الأصمعي في قول علقمة بن عبدة: كأس عزيز من الأعناب عتّقها، لبعض أربابها، حانية حوم

قال: الحوم: الكثيرة، وقال خالد بن كلثوم: الحُوم: التي تحوم في الرأس أي تدور» (ابن منظور: لسان العرب المحيط: (حوم).

١٤) ج: «... للبين أرضاً».

١٨) الشطر الأول من البيت، والمقابلة له في الأبيات الثلاثة التالية (١٩ ـ ٢١)، تُروى للمثقب العبدي، من مشويته المشهورة.

١٩) ب: «وما كانت مكللة حلوم».

٢١) ج: «واحزألت»، د: «واحزلَّت».

٢٣) د: «يعيد البسمة»، ج: «لعرس الشمس».

٢٤) ج: «يستمرّ ويستديم».

٢٦) ب: «ليصحو فيَّ منتفض كريمُ»، ج: «ليصحو فيَّ محتدها الكريمُ»، د: «ليصحو فيَّ فراس كريمُ».

٢٨) ب: «فرند السيف منه لا الرسوم».

٢٩) ج: «جهوم».

٣٠) ب: «تؤومُ».

٣٣) د: «جمعهم».

*٢) من الواضح أن قد دارت القصيدة على ألسنة الرواة فدخل عليها ما ليس منها.

آراء لسنك عن علم الجمال في الفن والادب

كان كتاب وشعراء القرن السابع عشر متأثرين برأي الشاعر الروماني هوراس (٦٥ ق٠م ـ ٨ ق.م) الذي وصف الشعر بأنه رسم ناطق والرسم والرسم شعر أخرس٠ وكان لسنك يطالب بأن يكمل احدهما الآخر٠

ويعد لسنك (١٧٢٩ ـ ١٧٨١) أول من وضع لبنات المسرح الواقي الالماني٠

وكان الفنانون التشكيليون يختارون صورا تجريدية لفنهم مثل الشجاعة والحب والحرب والسلم أو النحت٠ وقد دفع ذلك الشعراء الى اعتبار الأفضلية للفن التشكيلي على الادب٠

وحاول الشعراء الاكثار من الجعل والعبارات الوصفية والزخرفية حتى سرى ذلك على أدب ملتون وكلوبشتوك٠

وكان الرسامون والشعراء والنحاتون يطبقون فكرة الموضوع الفني المشترك وطريقة محاكاة البيئة انطلاقا من هدفهم المشترك وجذورهم المشتركة من بيئتهم بحدود العلم والعمل اليدوى في عصرهم٠

لقد وقف لسنك ضد هذا الاتجاه المعادى والضار للفن ونشر لهذا السبب أراءه الادبية حول الفن والمسرح في كتابه (هامبوركنة دراماتوركي)٠

ـ أي فن المسرح الهامبوركي ـ

وقد ركز لسنك دراسته

على الرسم والشعر في كتابه الآخر بعنوان «لاووكوون» *Laokoon*

لقد ظل هذان الكتابان ناقصين ولم يستطع لسنك انجازهما بصورج كاملة، وكان لسنك يريد اصدار الجزء الثاني والثالث من هذين الكتابين ليعالج فيهما الموسيقى وفن الرقص (الدانص)٠

أما كتابه لاووكوون فهو اسم التمثال الاغريقي القديم الذى قام بنحته النحاتون أكياندروس وبوليدوروس وأثينودروس وهو يصور الراهب أبولو الطروادى واسمه لاووكوون مع ولديه وقد التفت حولهما أفعى ضخمة تحاول التهامهم٠

وتروي الاسطورة أن لاووكوون حذر سكان طروادة من الحصان الخشبي الذي تركه الاثينيون أثناء انسحابهم من طروادة حيث كان يختبىء فيه الجنود، وعندما ذهب لاوكوون الى شاطيء البحر ليقم القربان الى اله البحر (بوسابدون) أرسلت أثينا وأبولو اليه ثعبانين لقتله مع ولديه عقابا له وقد تم العثور على هذا التمثال أثناء الحفريات التي جرت في عام ١٥٠٦ ولازال هذا التمثال من مجموعات الفاتيكان الثمينة٠

وقد صمم التمثال بشكل هرمي برز فيه وجه لاوكوون بشكل يلفت النظشر وقد التصق به ولداه، كما

بقلم: د٠ عدنان الرشيد
جامعة الملك سعود ـ الرياض

أن رأس لاوكوون بشكل قمة الهرم ويجذب اليه نظرات المشاهد بشكل مباشر لان وجهه يعبر عن الالم، الا أن النحاتين لم يعبروا في هذا التمثال عن الألم بكل تعابيره، فمثلا لم يفتح الراهب لاوكوون فمه من شدة الالم، فالفم مفتوح بصورة قليلة وبدلا من الصراخ بفعل الالم فقد بدا لاوكوون وهو يزفر ويعبر من أهة موجعة.

لقد استغل الكاتب فنكلمان هذه الفرضية عن «السذاجة النبيلة والعظمة الخفية» التي تتميز بها تماثيل فن النحت الاغريقي، لكي يسند بها آراءه.

فمن رأس لاوكوون نستنتج العظمة والنفس الهادئة على تحمل الالم دون أن يصرخ. وقد جعل من آرائه نقطة انطلاق لتحليلاته حول تعدد تصوير مادة ما بواسطة الرسم وفن الشعر والفنون التشكيلية الاخرى.

وقال لسنك: «ليس العظشمة والنفس الوقورة هما المبدأ الذي يميز فن الاغريق التشكيلي، بل الجمال وعدم الماس بقوانين الجمال اذ هي التي جعلت النحاتين الاغريق يلجأون إلى صياغة شخصية لاوكوون وهو يتأوه ويكتم صراخه الحقيقي رغم أن الصراخ تعبير طبيعي عن الالم الجسدي.

وأشار لسنك الى أن مجرد فتحة الفم الواسعة تعد في فن الرسم تشوبها بارزا، أما في النحت فتعد تعميقا للتأثير المتنافر عن العالم، لذلك ينبغي على الفنان أن يسير على قواعد واصول فن الشعر.

وقد أثبت لسنك صحة قوله في كثير من الامثلة لاسيما في شخصية «فيلكونت» في ترجيديا وفوكلس التي تحمل نفس الاسم حيث جعل الشاعر بطله يصرخ، كما أن الفنانين القدامى لم يترددوا من التعبير عن الالم الجسدى لابطالهم بهذه الطريقة.

ووضع لسنك للشعر والفن حدودا معينة.. فمثلا يستطيع الشاعر أن يعبر عن الحدث والموضوع بكل تفاصيله وجزئياته، في حين لا يستطيع الفنان أن يعكس سوى جانب واحد من الموضوع حيث يختار الفنان هذا الجانب ويترك لقوة التعبيرحرية التصرف.

هذه هي أهم آراء لسنك في كتابه لاوكوون التي وردت في الفصل الأول وحتى الفصل السادس. أما الفصول الأخرى فقد ناقش فيها الفرضيات التي تبناها الناقد الانجليزي (سبنس) حيث ادعى سبنس في كتابه ***(Plymatis)*** أي تعدد العلوم والمعارف، بأن الشاعر والنحات والرسام مرتبطون بفنهم ارتباطا وثيقا ويكمل أحدهما الآخر.

وقد حاول سبنس شرح أوصاف الشعراء القدامى وأعمال الفنانين التشكيليين وقام بأعداد دراسة عنها. وأشار لسنك الى أن الادب والفنون التشكيلية لها طرق وأساليب مختلفة فيما يتعلق باختيار الموضوع وصياغته.

أما الفصل السادس عشر من كتاب لاوكوون فقد أوجز فيه لسنك آراءه كما يلي:

«اذا كان صحيحا بأن الرسم يستخدم للمحاكاة وسائل ودلائل اخرى تختلف عن الشعر من مثل تلك الاشكال والالوان التي تنم عن وجود علاقة منسجمة مع المدلولة والمستخدمة في التعبير. ففي هذه الحالة يمكن أن تنشأ عن أفكار ومواضيع تتعلق بالفن لاسيما عند وضع الدلائل بعضها الى جانب البعض الاخر والتي تنسجم أجزاؤها في الخصائص وقد تعبر هذه الدلائل والسمات والملامح المعينة عن الاشياء فقط».

ان الاشياء أو أجزاء الاشياء التي تتواجد بصورة متقاربة، تسعى مجرد مواضيع.

ومعنى ذلك انها مواضيع بخصائصها البارزة والتي تعد أشياء ومواضيع لفن الرسم.

ان الاشياء التي تتواجد بعضها بجانب البعض

الآخر وأجزاء الاشياء التي تتعاقب الواحدة بعد الاخرى، تسعى مواضيع فهي اذن مواضيع للفكرة الحقيقية للشعر.

ويؤكد لسنك على أن المواضيع لا توجد فقط في المكان، بل في الزمان أيضا وينبغي على الفنان التشكيلي أن يملك اللحظة المناسبة لمحاكاة الموضوع. ويستطيع الفنان أن يشير الى هذه المواضيع من خلال الاجسام في المكان المعين ولكن ينبغي عليه أن يختار الجانب الفني للموضوع بحيث يتسنى للمشاهد أن يستنتج من الموضوع الماضي والمستقبل أي ادراك اللحظة المثمرة.

ومن ناحية أخرى فان المواضيع لا تنشأ ذاتيا لوحدها بدون فعل خارجي، بل ترتبط دائما بالاجسام والافكار، ولذلك ينبغي على الشاعر أيضا أن يصور الاجسام والاشياء، الا أنه - أي الفنان - لا يستطيع تحقيق ذلك اذا أراد أن يسخر امكانياته لوصف هذه الاجسام وصفا دقيقا.

ان وصف أي موضوع أو مشهد بالكلمات لا يقربه أبدا الى المشاهد أو المستمع ولكن كيف ينبغي للشاعر محاكاة الاجسام التي تعد ملازمة للموضوع؟ وكنموذج حول امكانية محاكاة الاجسام في المكان بواسطة الشاعر، فان لسنك يستشهد ببعض أجزاء الالياذة لهوميروس ويقول:

«اذا كان هومبروس يريد تجسيد عربة الشمس لالهة الرومان (يوتو) فانه يجعل من الهيبة أحد أبطال الالياذة ان يقوم بتركيب العربة قطعة بعد قطعة.

وعندما يريد هومبروس وضع صورة أكاممنون أمام أعيننا، فانه لا يقوم بوصف جميع تفاصيل الشيء، بل يروي لنا قصة هذا الشيء أو الموضوع ان رأي لسنك يتلخص كما يلي:

«ان على الشاعر الذي يريد تجسيد وتوضيح الموضوع والاشياء أمام أعيننا، عليه أن يفعل ذلك من خلال الموضوع والفكرة كما أن الجمال الجسدى يعتبره لسنك جزءا من الفنون التشكيلية وان العنصر الاساسي للموضوع هو الحركة، حيث أن اضفاء الحركة الى جمال الاشياء والاجسام الساكنة يتحول الى جمال مؤقت».

لقد مارس كتاب لاوكوون النقدى تأثيرا على ادباء ذلك العصر، لاسيما على شخصية كوته وهردر والناقد فيلاند، وقد أشاد كوته في كتابه «شعر وحقيقة» في الجزء الثامن منه بكتاب لسنك. أما فيلاند فقد تخلى عن وصف الاشياء والمواضيع لانه كان يشعر بأن لسنك ربما سيحذره من مغبة ذلك.

أما هردر فقد انتقد بعض آراء لسنك وطور بعض الآراء والمفاهيم الاخرى وأشار هردر: «ليس الموضوع هو الذى يحدد الجوهر الحقيقي للشعر، بل القدرة، ان القدرة ترى من خلال الاذن وتؤثر مباشرة على النفس التي تلتصق بأعماق الكلمات، كما أن القوة السحرية تؤثر على النفس من خلال الخيال والذكرى».

وقد أثرت آراء لسنك الجمالية على الفكر الالماني وعلى كثير من النقاد لاسيما على الناقد المعروف فرانس ميرنك وقد أشاد ميرنك بالتأثير الذى احدثته آراء لسنك على الطبقة البرجوازية الالمانية في القرن الثامن عشر، ان محاكاة الطبيعة في رأى لسنك ينبغي أن لا تفهم على انها مجرد وصف حسب مفهوم الطبيعة، بل العكس، فقد كافح لسنك الادب الوصفي الذى يقترب في اسلوبه من الطبيعة.

ان محاكاة الطبيعة حسب رأى لسنك يمكن أن يطبق على اسس معينة واحدى هذه الأسس الرئيسية هي أولوية الجمال على التعبير في الفن التشكيلي والتي يصعب اليوم تطبيقها بكاملها. كما أن التضييق المجحف على فن الرسم في مختلف الاجزاء أثبت اليوم عدم جدواه.

في الرسالة التاسعة عشرة الادبية أشار لسنك الى اننا لا نتعلم من المسرح ماذا يمثل أمامنا هذا

الممثل أو ذاك، بل ما يقوم به كل شخص تحت تأثير ظروف ومعطيات اجتماعية معينة. كما أن هدف التراجيديا اذا ما أراد المرء أن يجعل منها منبرا للرجال المشهورين.

وكان لسنك يعتمد في مفهومه هذا على أراء أرسطو عن الشعر حيث وضع ارسطو للشاعر مهمات ومؤليات ينبغي عليه أن يتبعها وهي ليس فقط تصوير الاحداث الواقعية، بل ما يتوقع حدوثه من خلال الحدس الاحتمالي أو المستلزمات الاجتماعية، وكان أرسطو ينظر الى المؤرخين نظرة تختلف عن نظرته الى الشاعر، فقد اعتبر أرسطو المؤرخ شخصا يؤرخ الاحداث فقط كما هي، أما الشاعر فهو يصف لنا الاحداث التي يحتمل وقوعها، ولذلك فان الشعر فلسفي وذو مضمون يختلف عن مضمون التاريخ، كما أن الشعر يصف لنا المجال العام في حين أن التاريخ يصف لنا الاحداث الخاصة والفردية، ومن الطبيعي أن كتابة التاريخ لا تصف لنا الاشياء الخاصة والفردية فقط، بل انها تنتقي أحداثا معينة من التاريخ وتعمم عليها الاحكام.

٤ - الرسالة السابعة عشرة التي تتناول الادب المتجدد:

استهدف لسنك في مسرحيته أميليا كالوتي وفي مسرحية مينا فون بارنهلم تحريك أقلام الكتاب ولفت انتباههم لسلوك نفس الطريق الذي سلكه من أجل خلق أدب وطني في ألمانيا وخدمة البرجوازية الوطنية الناهضة لمقاومة الاقطاع. وقد حاول ذلك سنوات الكاتب يوهان كريستوف كوجيت في مسرحيته «كاتو الميت»، الا أن هذه المسرحية كانت هزيلة التكوين ضامرة الجناحين وتتسم بالضعف كما في مسرحيته «أكيس» الا أنهما كانتا محاولة لبعث النهضة الادبية في ألمانيا، غير أن لسنك كان الوحيد الذى استطاع وضع اللبنات الاولى الصلبة لاساس الادب الوطني في ألمانيا في مسرحياته التي عرت الاقطاع وألهبت المشاعر الوطنية وربما لأن لسنك كان أكثر وعيا وادراكا من سواه من الكتاب الالمان حينذاك وهنا تكمن عبقريته وثورته الفكرية.

لم يستطع لسنك وكوجيت أن يتعاونا سوية حينذاك لاختلاف وجهات النظر بينهما، كما عبر لسنك عن ذلك في الرسالة السابعة عشرة.

وقد أنكر لسنك على كوجيت خدماته من أجل المسرح في ألمانيا ويعود السبب في ذلك الى اختلاف موقع كل منهما في الطبقة البرجوازية ومسار تطورها.

وينحصر الخلاف بين الكاتبين في تأييد كوجيت للمسرح الفرنسي الكلاسيكي وتأييد لسنك للمسرح الانجليزي أى مسرح شكسبير.

وكان كوجيت يترجم مسرحيات كورنيه وراسين الى فرقة نوبيرن المسرحية في لايبزك، وقد وجد لسنك أن هذه المسرحيات لا تلائم ذوق ومستوى الجمهور الالماني لانها كتبت للملوك وليس فيها أي ذكر أو اثارة للشعب.

وقد وجد لسنك في مسرح شكسبير صورة صادقة للمسرح الشعبي الذي يعكس فيه أخلاق ومشاكل جميع الفئات الاجتماعية وأخلاق البشر كما انه يتسم بالحرية في معالجة امور الحياة في كل زمان ومكان لاسيما المساوىء والشرور والجشع والغيرة والرذيلة، ومن هنا بدأ الخلاف بين الاثنين.

ان كفاح لسنك استهدف أيضا التأثيرات الدخيلة على الادب الالماني من خلال الحكم الاقطاعي المطلق الذي انعكس في الادب الفرنسي في القرن الثامن عشر.

وكانت المسرحية المأساة (التراجيديا) الفرنسية لا تعالج سوى الشخصيات الارستقراطية من الملوك والنبلاء، أما أبطال الكوميديا فكانوا من عامة الناس اذ لا يجوز أن يضحك الناس على الملوك. وجاء لسنك وقلب هذه المقاييس وغير هذه القاعدة فأدخل الملوك في الكوميديا والناس البسطاء في التراجيديا، وكان

شكسبير قد فعل ذلك من قبل في مسرحياته وهنا يكمن خلود مسرحه.

٥ ـ هامبوركنة دراماتوركي (أو فن المسرح الهامبوركي):

أحدثت حرب الفلاحين الالمانية (١٦١٨ ـ ١٦٤٨) دمارا في أغلب المدن الالمانية والقصور والقلاع والكنائس وغيرها من المنشآت العمرانية، الا أن مدينة هامبورك التي تقع في الشمال ظلت بعيدة عن هجوم الفلاحين عليها فاجتذبت اليها أنظار الادباء والتجار والحرفيين فتم تشييد دار للأوبرا لاسيما بعد النشاط التجاري الذى شهدته المدينة لوجود ميناء هام فيها.

وكانت تعرض على المسرح مسرحيات للكتاب الهولنديين والانجليز بعد أن ظلت المدن الاخرى تعيش على عرض المسرحيات الفرنسية التراجيدية، وطالب لسنك أزاء هذا الوضع تأسيس مسرح وطني في ألمانيا ينهض على أسس علمية سليمة وعرض مسرحيات ناضجة وهادفة ليس هدفها الترفيه عن الجمهور فحسب، بل أيضا تربيته وتوعيته اجتماعياً وفكرياً.

ووضع لسنك خمسة أهداف لتحقيق ذلك:

١ ـ ربط المسرح بالعمل المسرحي.

٢ ـ رفع المستوى الفكرى والاجتماعي للممثل.

٣ ـ تربية الجمهور وتوعيته.

٤ ـ وضع أسس علمية للنقد المسرحي.

٥ ـ وضع نظرية علمية للفن المسرحي.

وصل لسنك الى شامبورك في أوائل نيسان من عام ١٧٦٧، وتم في ذلك الشهر افتتاح المسرح الوطني في المدينة، وفي شهر مارس آيار من نفس العام نشر لسنك القسم الأول من كتابه النقدي (هامبوركنة دراماتوركي) في مجلة المسرح التي كانت تصدر مرتين في الاسبوع في هامبورك.

وفي الفصل الرابع بعد المئة بلغ فيه لسنك نقطة الذروة فيما يتعلق بأنشاء وتطوير المسرح الوطني في ألمانيا، وقد أثرت أراؤه على الممثلين والمخرجين والمختصين بالفن المسرحي والذي يطلق عليهم (دراماتورك).

في عام ١٧٩٩ كتب شلر الى الشاعر كوته رسالة امتدح فيها أراء لسنك حول المسرح والفن والادب، وقال شلر: «انه أجرأ كاتب ظهر في ألمانيا واستطاع أن يعبر عن أرائه بكل شجاعة وصراحة ووضوح، كما شخص في هذه الآراء الاخطاء والامراض التي يعانيها المجتمع الالماني».

وقد أثرت آراء لسنك في كتابه (هامبوركنة دراماتوركي) فيما بعد على عملية الخلق الفني والمسرحي لكل من كوته وشلر وغيرهم من الكتاب والمفكرين الالمان، حيث تعد أراء لسنك أساسا للمسرحية الالمانية ولمسار علم الجمال (أستيتك) في الفن والادب.

ان كتاب هامبوركتة دراماتوركي يتألف من قسمين ويحتوى القسم الاول منه على أراء لسنك عن حالة المسرح الالمانى وكذلك الحالة الادبية في ذلك الوقت. كما ناقش لسنك اسلوب المسرح الفرنسي الذي اتخذه المسرح الألماني نموذجا له.

أما القسم الثاني فيطرح فيه لسنك القواعد الدرامية ويعالج فيه النموذج الافضل، وكان لسنك يطالب بمسرح يقدم المسرحيات الالمانية فقط وينبذ المسرحيات الفرنسية، ورأى لسنك أن هامبورك تفتقر الى اسس انشاء مسرح وطني والى جمهور خاص يتعاطف مع هذا الاتجاه، كما طالب لسنك بتأسيس نقد مسرحي علمي وأكد على افتقار النقاد لمبادىء النقد العلمي وطالب بالوحدة الديالكتيكية بين النظرية والتطبيق للنقد الادبي عن الفن (اي الوحدة الجدلية ـ والديالكتيك يعني صراع الاضداد).

وأكد لسنك على أن عرض مسرحية فرنسية لا

تتثير نفس الاعجاب والاحاسيس مثلما تثيره في نفوس الجمهور الفرنسي، لان الكاتب جزء من المجتمع والجمهور الالماني متخلف عن الجمهور الفرنسي بأشواط بعيدة ولا يمكن أن يتجاوب الجمهور الالماني مع المسرحيات الفرنسية التي تعالج مشاكل الفرنسيين وهمومهم. **وشخص لسنك حالة المسرح حينذاك بالنقاط التالية:**

١ ـ عدم وجود مسرحيات وطنية في المانيا.

٢ ـ افتقار مسرح هامبورك الوطني الى جمهور يتجاوب مع محاولات بناء مسرح وطني.

٣ ـ افتقار النقاد الى المبادىء العلمية للنقد العلمي البناء.

٤ ـ تخلف الحالة الاجتماعية والاقتصادية للكتاب الالمان.

كان لسنك يطالب بمسرح تقدمي الاتجاه انساني المضمون كتعبير عن طموحات الطبقة البرجوازية المتنورة، وأشار لسنك الى محاولات كوجيت بهذا الصدد في الرسالة السابعة عشرة حيث قال:

«ان كوجيت لم يكن يريد تحسين مسرحنا القديم، بل أراد أن يصبح مؤسسا لمسرح جديد ولكن أي مسرح جديد؟ انه مسرح فرنسي المضمون ولم يكلف نفسه عناء البحث عما اذا كان هذا المسرح المتفرنس يلائم طريقة تفكير الالمان أم لا؟».

وكافح لسنك التقليد الاعمى للتراجيديا الفرنسية لكل من كورنيه وراسين وقال: «ان التراجيديا الكلاسيكية الفرنسية نشأت في فرنسا على أساس النموذة اليوناني وقواعد أرسطو وبأمر من الكاردينال ريشليه».

وقد نبذ لسنك نظام القواعد الصارمة للمسرحية التي تتقيد بقواعد ارسطو وهي وحدة الزمان ووحدة المكان ووحدة الموضوع. وأشار لسنك الى أن المسرحيات الفرنسية كانت تعكس المثل والقيم التي تميز بها النظام الاقطاعي الذي كان يمثله لويس الرابع عشر في فرنسا، وكافح لسنك أيضا الفن والادب الاقصاعي وقارن ذلك بمؤلفات شكسبير وديدرو واتخذهما نموذجاً له، وكتب لسنك حول ذلك في القسم الرابع عشر من كتابه هامبوركتة دراماتوركي قائلا:

«ان أسماء النبلاد التي يحملها الابطال تستطيع أن تضفي على المسرحية مسحة العظمة والسمو، الا أنها لا تستطيع أن تساهم في هز المشاعر وتحريك العواطف. ان تعاسة هؤلاء الذين تتشابه ظروف تعاستهم معنا ينبغي أن تتغلغل في أعماق نفوسنا، وإذا ما تعاطفنا مع الملوك كبشر مثل الاخرين وليس كملوك فان تعدد حالاتهم وظروفهم سوف لن تكون مهمة بالنسبة لنا بقدر ما ننظر اليهم كبشر مثلنا».

ويطرح لسنك في كتابه آراء عديدة ويتطرق في الفصل ٤٤ و ٤٥ و ٤٦ الى مسألة الوحدات الثلاث التي وضعها أرسطو، كما أشار الى موضوع ظهور الاشباح على خشبة المسرح كما في بعض مسرحيات شكسبير، كما عالج مفهوم الخوف والنفقة ومسألة استخدام الموسيقى في التعبير عن الموضوع وقد ورد ذلك في الفصل ٢٦ و ٢٧.

ويوجد في الكتاب ملحق خاص لقواعد فن التمثيل. كما امتدح في هذا الملحق فيلاند أول من ترجم أعمال شكسبير الى اللغة الالمانية وجاء ذكر ذلك في الفصل ١٥، وأشار لسنك الى فن اختيار الاسم للمسرحية وذلك في الفصل ٢١. ولم يترك لسنك مسألة أو موضوعاً يتعلق بالمسرحية أو الممثل أو فن المسرح الا وعالجه في هذا الكتاب.

٦ ـ المسرحية والتاريخ:

أكد لسنك على أن الكاتب ليس مؤرخا ولا ينبغي له أن يتقيد بالحقائق التاريخية تقيدا أعمى كما انه لا يكتب ما يخمن وقوعه، بل يجعل الاحداث تقع أمام أبصارنا مرة أخرى ليس انطلاقا من الحقيقة فحسب، بل لهدف أخر اسمى، فالحقيقة التاريخية ليست هي الهدف، بل وسيلة الى الوصول للهدف. ان الكاتب يريد أن يضللنا ومن خلال هذا التضليل يهز مشاعرنا ويشدنا الى الحقيقة.

ان الهدف النهائي اذن، كما يقول لسنك، ليس قيام الكاتب بمهمة المورخ، بل تضليل المشاهدين وهز مشاعرهم وايقاظ المشاهد وتطهير عواطفه ثم تربيته. كما ينبغي على الكاتب أن يجعل من المسرح مدرسة أخلاقية وأن يختار من التاريخ مادة معينة للوصول الى هذا الهدف وأن لا يلتزم باستخدام جميع التفاصيل التاريخية للموضوع دون حذف أو تغيير، كما لا يجوز القيام بتعديلات أو تغييرات في صفات الشخصية التاريخية أو الحدث التاريخي بصورة خاطئة أو معكوسة.

وقد خرق بعض الكتاب الالمان بعد لسنك هذه القواعد بغية المحافظة على الصدق التاريخي لاسيما في شخصية (اكمونت) أحد أبطال حركة التحرر في هولندا وكذلك في شخصية عذراء أورليانز لشلر.

وطالب لسنك الكتاب الالتزام بالحقائق التاريخية اذا كان ذلك ضروريا لتصوير أخلاق وملامح معينة، ولا يجوز التصرف بهذه الملامح والصفات كما يريد الكاتب. ان المؤرخ يصور لنا حالة خاصة، أما مهمة الكاتب فهي ادراك الشيء المميز للظواهر العامة والتعبير عنها.

ان الحقيقة التاريخية ليست هدفه النهائي، بل وسيلة للوصول الى هدفه وان يختار من التاريخ القابل (المغزى) كمادة له ويمزجها مع هدفه ثم يصورها تصويرا أدبيا.

واذا اختار الكاتب مادة من التاريخ ، فينبغي عليه اجراء تعديلات على الاحداث المهمة والضرورية لظاهرة معينة، أي ينبغي عليه ازالة وجهات النظر الاحتياطية التي تبرز في مسار الموضوع التاريخي، ولكن لا يجوز تزوير التاريخ لان الصفات والملامح والمميزات الخاصة ينبغي أن تبقى مقدسة ومصونة.

٧ـ قانون الوحدات الثلاث:

أشار لسنك في الرسالة الادبية السابعة عشرة أثناء مقارنته لمسرحيات شكسبير مع مسرحيات كورنيه «الى أن الانجليزي توصل الى هذه المأساة دائما وبصورة بارزة واختار طريقه الذاتي أما الفرنسي فانه لم يستطع التوصل الى هذا الهدف ابدا رغم انه دخل مباشرة في الطريق المعبد للقدامي».

وأشار لسنك الى قواعد المسرح اليوناني (الاغريقي) القديم الذى كان يتقيد بقانون الوحدات الثلاث تقيدا أعمى وقال: «ان وحدة الموضوع كانت أول قانون درامي للاغريق وينبغي أن يكون للمسرحية فايل وفكرة رئيسية وهدف، ومن وحدة هذا الموضوع تنشأ وحدة المكان ووحدة الزمان. وكان الكورس يقف على خشبة المسرح ويؤدى ذلك في زمن محدد ومكان معين وتدور أحداث ذلك حول موضوع معين»

وانتقد لسنك الفرنسيين لتقيدهم بهذه الوحدات الثلاث دون تعديل أو نقد كما أنهم لم يعتبروا وحدة الموضوع مبدأ مهما وضروريا ووقعوا تحت تأثير البلاط الاقطاعي والملكي وعوضوا عن وحدة الزمان بوحدة الاستمرار أي انهم تحاشوا في مسرحياتهم ذكر شروق وغروب الشمس ولكنهم حافظوا على وحدة المكان حيث اختاروا مكانا محايدا تجرى فيه أحداث الموضوع.

وأنتقد لسنك بعنف المسرح الفرنسي في جميع كتاباته واعتمد في نقده على أراء أرسطو الذي اعتبر أراءه الجمالية نموذجا شرعيا لذلك العصر وأساسا للمضمون التقدمي، للبراجوازية الالمانية.

وقال لسنك: «ان الفرنسيين فهموا الاغريق فهما خاطئا حيث اعتبروا المسألة الثانوية تأتي بالدرجة الاولى وهي مهمة وضرورية وأدركوا أن القواعد التي لم تتبلور أهميتها بوضوح ادراكا خاطئا ثم تمسكوا بالقواعد والقوانين التي كانت تعد شرعية وملائمة لمسرح الاغريق».

ينظر مجموعة مؤلفات لسنك وكذا مؤلفات هردر الكاملة

من الشعر الاسبانى الحديث

لويس غاريتا مونتيرو (*)

ترجمة : سعيد حدّاد
- سـوريا -

الحب الصعب

ربما انك لم تشاهديني
ربما ان احدا لم يشاهدني في غاية الضياع،
ميتا من البرد في تلك الزاوية، لكن الريح
اعتقدت اني كنت حجرا،
وارادت ان تحطم جسدي،
لو كنت استطيع ان التقيك ، لعرفت
انك اذا ظهرت ، سأعرف
كيف اتفاهم معك.

الى فيديويكوغارثيا لوركا

(اذكر نسمة حزينة تمر عبر شجر الزيتون) لوركا

بعد السرعة المتعبة للقطرة الاخيرة،
لا يرجع شيء. وجهك وحده،
يبقى فوق جسر برودواي،
ومن الصعب احتمال كل هذه الوحدة،
وان يغلق المرء عينيه، دون ان يرتاب
في وجودك.
غير معقول،
لسان النار هذا، الذى يقطع الافق
يمتد جامحا فوق القلوب،
متعددة الاشكال.. والجريحة،
والتي تنشق وتظهر
ضحكة متكلفة لقناع مهشم.
وحدها
المدينة تتقنع في رعشة قشعريرة،
وعيناها
افقيتان وعمياوتان،
مثل مشط اسنان يندس في الكتفين
اذ ذاك
تكون الكحول الدم الذى يبسّم الشفاه،
ولان الليل يزحف،
لان الموت يطل فوق ذراع مطويّ
ليترك وحيدا والسنين،
بينما تفتح هارلم قليلا نوافذها.

(*) غاريتا مونتيرو، شاعر أسباني ولد في غرناطة عام ١٩٥٨م، أطلق نظرية «العاصمة الجديدة» التي توجه النظر لوحدة الانسان في عالم التقدم العلمي، الذي جرّد الحياة من انسانيتها.

كاميلو
خوسيه ثيلا

قلعة من قلاع اللغة الاسبانية

كاميلو خوسيه ثيلا.. علمٌ شامخ في تاريخ اللغة الاسبانية ومسافر لا يتعب، محب للهدوء وللطبيعة وللحياة، ذو ابتسامة لطيفة مجردة من السخرية ونظرة جدية ومتعقلة. يُعد من أهم الروائيين الاسبان وأكثرهم شهرة، حصل على كثير من الجوائز، من أهمها جائزة أمير أستورياس لعام ١٩٨٧ وجائزة ثيربانتس لعام ١٩٩٥، كما اعترف العالم كله بمكانته الأدبية حين فاز بجائزة نوبل للآداب عام ١٩٨٩م تقديراً لفنه الروائي العظيم.

بداية حياته:

وُلد كاميلو خوسي ثيلا في ١١ أيار عام ١٩١٦م لأب اسباني - كاميلو ثيلا - وأم انكليزية - كاميلا ترولوك - في بادرون (مدينة لاكورونيا) التابعة لاقليم غاليثيا الواقع في الشمال الغربي من اسبانيا، بدأ دراسته الابتدائية في بلدته وانتقل مع أهله الى مدينة مدريد في التاسعة من عمره ودرس في مدارسها وحصل على الثانوية منها وكان للتربية والدراسة في هذه المدارس أثر كبير عليه فقد لقنته العلم وغذت عقله ونمت مداركه ووسعت أفق تخيلاته، وبالرغم من عيشه بعيداً عن مدينته الأصلية فقد تابع زياراته لها واهتمامه بها.

حاجته المادية:

درس الحقوق والطب والفلسفة في جامعة مدريد واضطر ليترك الدراسة خلال الحرب الأهلية الاسبانية التي بدأت عام ١٩٣٦م ودامت ثلاثة أعوام. ومن أجل متابعة حياته في تلك الفترة الزمنية التي كانت صعبة عليه من الناحية المادية فقد قام بممارسة أعمال صحفية وفنية وادارية بالرغم من أنه في الواقع لم يكن يريد أن يعمل في أية وظيفة من هذه الوظائف بل كان يريد الكتابة والتعمق في اللغة الاسبانية التي ولع بها منذ صغره كثيراً.

روايته المشهورة:

منذ بداياته الأولى في الكتابة، كان «ثيلا» متعاوناً باستمرار مع جريدة «أ ب ث» التي تصدر في العاصمة الاسبانية ولعب أدواراً كثيرة في الجريدة ولقي اعجاب ومحبة هواة مطالعي الصحف ونال شعبية كبيرة في هذا المجال- ألف أول كتاب له في عام ١٩٣٦م، ثم أمضى سنوات الحرب الأهلية بالمطالعة ودراسة اللغة الاسبانية «الكاستيَّانو كما تلفظ من قبل أهلها» وكتب باكورة رواياته في عام ١٩٤٢م - حيث كان مريضاً وبحالة خطرة - بدون توقف لأنه كان يريد الانتهاء منها بأسرع وقت ممكن وقد عنونها عائلة باسكوال دوارتي (La Familia de Pascual Duarte) التي حصلت على الرقم الثاني من بين الروايات الاسبانية الأكثر ترجمة في العالم بعد رواية الدون كيخوتي لثيربانتس. ومنذ نشر هذه الرواية التي لاقت اعجاباً كبيراً، لمع نجمه كثيرا وحصل على اعتراف فوري كمجدد في الآداب الاسبانية بعد الحرب الأهلية الاسبانية وبدأت دور النشر بالطلب والالحاح عليه لكتابة روايات وكتب اخرى ولم يتخل منذ ذلك الوقت حتى الآن عن الكتابة التي أصبحت ماءه وهواءه وكل شيء عنده، نشر في عام ١٩٤٣م كتاباً بعنوان بهو الراحة (Pabello'n de reposo) وفي العام التالي نشر كتاباً آخر تحت عنوان «هذه الغيمات التي تمضي»، ثم تلاه بكتاب آخر «مغامرات جديدة».

مسافر لا يتعب:

يعترف ثيلا بدور النساء في حياته ويرى بأن تأخذ المرأة أدواراً في الحياة الاسبانية أكثر مسؤلية مما هي عليه، ويعتبر من الرجال الذين تسحرهم الأرض ومن الذين لهم نظرة خاصة للطبيعة، محب للسفر كثيراً وخاصة مشياً على الأقدام اذا كان ممكنا، وكل سفرة له تعرفه على أمكنة وناس مختلفين. وقد تعرض للكثير من الحوادث من قطاع الطرق ومن السارقين والمجانين وخاصة عندما سافر الى منطقة الكاريا في عام ١٩٤٥م حيث تحادث مع الناس في

بقلم : د. غازي حاتم
- سوريا -

الطرق والفنادق وكوّن فكرة كتابه الذي عنونه سفرة الى الكاريا (Viage a la slcaria) واعتبر هذا الكتاب حسب النقاد بأنه أفضل كتاب له.

وبعد جهد متواصل دام سبع سنوات انجز قصته خلية النحل (La colmena) وكانت انجازاً هاماً له أيضا حيث أعتبرت ثاني عمل بارز له بعد عائلة باسكوال دوارتي، وبعد ذلك سافر الى فينزويلا بتشجيع ومساعدة حكومة تلك البلد ليكتب رواية محلية، وعندما عاد من السفر عام ١٩٥٤م زار جزيرة ميورقة الواقعة في شرق اسبانيا وعاصمة جزر البليار التي تعتبر أكثر المناطق في اسبانيا جذباً للشعراء والكتاب والرسامين وكتب فيها ما خلفته زيارته لتلك البلد في رواية سماها لا كاتيرا (La catirra) وأسس مجلة أدبية في الجزيرة المذكورة وأدارها منذ ذلك الحين حتي اغلاقها في عام ١٩٧٩م.



كاميلو خوسيه ثيلا

وبعد ثلاثة أعوام من ذلك انتخب «ثيلا» عضواً في الجمعية الملكية الاسبانية للآداب التي تضم خيرة الكتاب في اللغة الاسبانية وكان الاكاديمي الأقل عمراً، ثم نشر كتابه «سان كاميلو»، وفي عام ١٩٨٣ منحته جامعة سانتياغو دي تشيلي شهادة «الدكتوراه الفخرية» وفي شهر مايو عام ١٩٨٤، حصل على الجائزة الوطنية للآداب تقديرا لروايته رقصة لميتين.

جائزة أمير أستورياس:

واضافة الى شهادات الدكتوراه الفخرية التي استلمها من كثير من الجامعات الاسبانية والامريكية والأوروبية نتيجة أعمال قام بها، فقد قدم له ملك اسبانيا جائزة ايزابيل الكاثوليكية وتسلم كثيراً من الميداليات الذهبية قدمتها له بلديات المدن الاسبانية والامريكية اللاتينية، كان أهمها جائزة امير أستورياس لعام ١٩٨٧م التي تقدم في اقليم أستورياس الواقع في شمال اسبانيا برعاية ولي العهد الاسباني الدون فيليبي دي بوربون للمبدعين في المجلات الثقافية والاجتماعية، وقد آثارت هذه الجائزة عاطفته أكثر من غيرها كما قال في احدى المناسبات، علما بأنها ليست الأهم بين الجوائز التي حصل عليها.

جائزة النوبل:

وفي عام ١٩٨٩م، عاد الى مدريد وأقام في منطقة قريبة من مدريد - وادي الحجارة - وفي التاسع عشر من شهر تشرين الأول من نفس العام، وضع اسمه بين أفضل الأسماء في الآداب للقرن العشرين حيث قامت الأكاديمية السويدية بالاعتراف بمسيرة كاميلو خوسي ثيلا الأدبية بمنحه جائزة نوبل للآداب.

وقد تلقى الخبر في مكان اقامته صباحاً وكانت تلك اللحظة فريدة من نوعها وخاصة عندما حضر اليه وبسرعة فائقة أصدقاؤه ومراسلو الصحافة والتلفاز واحتفلت معه اسبانيا بالكامل حيث قطعت الاذاعة والتلفاز برامجها لتبث هذا الخبر المفرح وأقيمت كثير من البرامج واللقاءات لتغطية الخبر ولايضاح موهبة ثيلا في اللغة والأدب الاسباني. وقد قال ثيلا في احدى المناسبات عن تلك اللحظة بأنه كان يفكر بأن الحصول على جائزة نوبل لم يغير حياته، ولكن يرى الآن عكس ذلك، فمنذ ذلك الوقت، لم يتوقف عن الاجابة عما يطرحه الصحفيون من أسئلة عليه وأصبح وقته ليس ملكا له.

جائزة ثيربانتس:

في التسعينيات، عقد قرانه مع الصحفية مارينا كاستانيو، وحصل على عدة جوائز حيث كانت من نصيبه في العام الماضي جائزة ثيربانتس الأدبية لعام ١٩٩٥م والتي تُمنح من قبل المجمع الملكي للآداب منذ عام ١٩٧٦م في مدريد لأفضل كاتب يساهم في اغناء الأدب الاسباني بأعمال ذات نوعية بارزة وذلك تقديراً لرواياته المتميزة عن الحياة في اسبانيا وقد اعترف غالبية أعضاء المجمع المذكور بأن ثيلا كان من أبرز الذين قدموا انجازات لخدمة اللغة الاسبانية ولاثراء الحياة الثقافية في بلاده، وهكذا وصلت جائزة ثيرفانتس الى ثيلا في حينها لأن كل الأشياء تصل في وقتها كما قال ثيلا حين تلقى خبر فوزه بالجائزة حيث كان متواجداً في مؤسسته التي تحمل اسمه في مدينة لاكورونيا. وقد اعترف جميع أعضاء لجنة التحكيم بأن وصول الجائزة لثيلا كان متأخراً ولكن كانت بمثابة تكريم عادل.

أما ما قاله الكتّاب ذوو الشهرة والشعبية في اسبانيا عن الكاتب ثيلا فكثير وعظيم. قالوا عنه بأنه الروائي الجوهري في الآداب الاسبانية الحديثة، هو الكاتب المبدع الأكثر تمثيلا في اسبانيا، هو أكبر كاتب نثر وقاص في اللغة الاسبانية خلال النصف الأخير من هذا القرن، الى ما هنالك من الأوصاف التي تؤكد براعته في الأدب الاسباني الذي ترك بصمات واضحة في سجلاته.

الحيـــاة (قصة من القفقاس)

قصة (الحياة) للكاتب الشركسي بوريس بيسلانوفيتش مزيخوف.

وُلد الكاتب في قرية بالقرب من مدينة نالتشيك عاصمة جمهورية كبردينا ـ بلكاريا ذات الحكم الذاتي ضمن جمهورية روسيا الاتحادية، وهو عضو في اتحاد الكتاب الروس واتحاد الصحفيين ورئيس تحرير الجريدة الوحيدة الناطقة بالروسية في الجمهورية المذكورة وعضو في برلمان تلك الجمهورية.

وهذه القصة نشرت في موسكو عام ١٩٨٨ ضمن مجموعة قصصية بعنوان «آن أوان سقوط الأوراق».

تنفس زولتشيف الصعداء بعدما أنهى عملا بدا وكأنه لا طائل منه.

لقد حطمت البقرة سياج مخزن العلف وعملت فيه كما يحلو لها.

نظر العجوز مرة أخرى بتمعن إلى كومة العلف المرتبة ومضى إلى البيت مرتاح البال.

وكان العجوز قد غرس في العام الماضي، وعلى امتداد سور البيت، أشجار الصفصاف وهو يهتم بها الآن بكثير من الحرص.

كان الشتاء بارداً وهذا ما شغل فكر العجوز على غرائسه الصغيرة وما تحملته من البرد. لذلك ذهب إلى الشتلات يتفحص الأغصان الغضة. وكم كانت دهشته عندما شاهد براعم الصفصاف وقد انتفخت وانبثقت تماماً كالزغب الأصفر لصوص خرج لتوه من البيضة. «ها قد حل الربيع، تفتحت البراعم وفقد الشتاء قوته»، هكذا اعتقد زولتشيف.

في الطرف الآخر من البيت وعلى بقعة جافة من الأرض بجانب السور، كانت زوجته تطعم الدجاجات.

ـ إي، يا امرأة، ألم تجد مكاناً آخر لاطعامهن، لقد شغلت دجاجاتك كل البيت، وهل بقي مكان لم تشغله؟ اذبحي ولو واحدة ـ قال زولتشيف ذلك وهو يقترب من زوجته.

ـ هذا ما كان ينقصنا! من في هذا الربيع يذبح دجاجة، عندما لا يستطيع أن يلحق جمع البيض من تحتها. أجابت الزوجة بشدة، لكنها لم تكن غاضبة.

ـ تقولين الربيع؟. هذا جيد، فقد بدأ العلف عندي بالنفاد.

ـ لا بأس، يكفي، فهناك كميات كبيرة من الأعشاب من السنة الماضية وعلى امتداد مجرى النهر.

دخل زولتشيف إلى الغرفة. الربيع ربيع، لكن الطقس بارد، لقد تجمدت الأيدي، جلس بجوار الموقد فتت قطع الخشب وأخذ ينظر إليها: واحدة احترقت بدون لهب وببطء وأخريات اشتعلن بنار زرقاء بارقة.

لقد أهملوا الساعة الجدارية، لذلك فقد أخرج زولتشيف ساعته من جيب الصدر وضبطها.

تحرك بسرعة، لقد حان وقت الصلاة ...

وضعت الكنة ـ التي كانت تتحرك بصعوبة ـ أمام العجوز طستاً وابريقاً قصديرياً، ومضت إلى غرفة أخرى، ودعها زولتشيف بنظراته وفكر «إذا لم يكن اليوم، فغداً سوف تضع كنتنا طفلا ـ ليتها تلد صبياً، فعشيرتنا ليست بالكبيرة».

ترجمة : د. فيصل المصطفى الحسن
ـ ســوريا ـ

فرش السجادة على الأرض ووقف على رجليه، مصلباً يديه على بطنه. وهنا تغيرت ملامح وجهه، لمعت عيناه ولامست شفتاه ابتسامة. لقد آمن زولتشيف في تلك اللحظات، بأن العلي يصغي اليه وأن مكاناً أعد له في الجنة. إذ لا يمكن أن يحدث غير ذلك، فخلال كل حياته الطويلة لم يرتكب زولتشيف أية حماقة.

لكن، فجأة تجهم وجهه وتقطبت حواجبه الكثة وزم شفتاه بشدة، شهق وأفرد كتفيه العريضتين، ناظراً إلى الأعلى، ضارعاً وشاكياً، وغير مصدق بأن من كان يصلي له سوف يأخذه إلى جواره.

لقد طلب العجوز اليوم المغفرة لابنه الوحيد كونه لا يطبق شعائر الصوم ولم يصل في حياته ولا مرة واحدة.

وبعد الصلاة، جلس طويلا على السجادة، يسبح وبيده مسبحة.. وأخيراً نهض زولتشيف، لكنه لم يتحرك خطوة واحدة حتى انزلق وسقط على الأرض.

لم تستطع الكنة المذعورة فهم ما حدث فصرخت وتجمدت في مكانها.

ـ ماما، ماما! أسرعي! أسرعي، ماما! ـ صاحت الكنة بصوت ليس كصوتها.

دخلت الزوجة، التي أفزعها الصراخ، مسرعةإلى الغرفة وما إن رأت زوجها ممداً على الأرض حتى شحب لونها.

ـ ماذا به؟ ماذا به؟ أعادت بهدوء نفس العبارة، وهي لا تجرؤ على تصديق ما رأت.

بعد ذلك، فجأة وما أن عاد إليها وعيها حتى صاحت بصوت عال على كنتها ـ لماذا تقفين هكذا! يجب أن نضعه على السرير، أسرعي إلى الجيران، استدعي الطبيب؟.

كان زولتشيف فاقداً الوعي.

بدأ الناس بالتجمهر واحتشدوا حول السرير الخشبي، الذي كان العجوز ممدداً عليه، غير عارفين ماذا يصنعون، فمنهم من ركض لاستدعاء الطبيب



بوريس مزيخوف

ومنهم من وقف بجانب السرير لا يعرف بماذا يساعد.

مرت الدقائق ببطء، حتى خيّل وكأن الزمن أوقف حركته. وأخيراً وصل الطبيب، حيث لم يبق له عمل شيء إلا الاخبار بأن زولتشيف مات بسبب نزيف دموي في الدماغ.

القرية ليست كالمدينة، وأي خبر وخاصة المحزن ينتشر فيها بسرعة فلم تمض ساعة حتى غص الفناء بالناس، ووصلت صيحات وعويل النسوة، من النوافذ المفتوحة، الى البيت.

كنة زولتشيف، التي لم تلحظ أحداً، وقفت عند الباب تبكي بكاءاً مراً.

ـ اهتمي بنفسك يا عزيزتي ـ ماذا بامكانك أن تفعلي الآن، إن الحزن ممنوع بالنسبة لك، يجب أن تفكري بالطفل، هكذا حاولت النسوة اقناع الكنة .

...орова прорвала огр...
...своe удовольствие: нe стол...
...азбросала по сторонам и потопта...
...ик еще раз оглядел аккуратно подпр...
...ена и, довольный, пошел к дому. Вдоль и...
...шлом году он высадил ивовые деревья и тепер...
...ельно осмотрел их — зима была холодной, ...
...покоился, как перенесли ее молодые саженцы.
Он потянулся к ветке и приятно удивился — по...
...вы уже набухли, проклюнулись, словно пушистые ж...
...ые цыплята из яйца. «Это уже весна. Почки трон...
...ись — зима силу потеряла»,— подумал Зулчиф.
У стены дома на пятачке сухой земли жена корми...
...ур.
— Эй, старуха, другого места для кормушки...
...шла? Твои куры весь двор заняли, а что толку? З...
...бы хоть одну,— сказал Зулчиф, подходя к ж...
— Еще этого не хватало! Кто же это весной...
..., когда из-под нее успевай только яйц...
...строго, но беззлобно отвечала она.
...на, говоришь? Это хорошо, а то ...
...тит. Вон в долине ...

شريحة من القصة المترجمة

لكن المرأة الشابة لم تسمع أحداً، فروحها وقلبها انفجرا من الحزن، ولم تستطع فكرياً تقبل ما حدث.

وفي المساء، ساءت حالة كنة زولتشيف، ولم يبق شك عند أحد بأن الولادة قد بدأت، لكن العجوز التي أفقدتها المصيبة صوابها، لم ترغب بسماع شيء عن ذلك.

ـ أية ولادة، وعندنا في البيت متوفى!.

ولم يستطع أحد اقناعها بأن هذه الحياة الجديدة لا يمكن ايقافها، كما لا يمكن اعادة الحياة للذي مضى لتوه من هذه الحياة.

من : «برناردشو» الاستاذ الى : «جولدنج برايت» التلميذ

حدث أن جمهور النظارة كان يصفق لمسرحية من مسرحيات «برناردشو» تصفيقا بالاجماع، اللهم الا صفير شديد، كان ينبعث وسط القاعة نشازا؛ ثم ألحّ النظارة في طلب المؤلف فظهر «شو» على المسرح وقوبل بعاصفة من التصفيق؛ لكن صاحب الصفير هذا انتظر حتى هدأت الضجة، واتجه نحو «شو» صائحا ساخرا بما يشبه العواء!!

فلم يتردد «شو»، واتجه إلى مصدر الصوت مرددا في لهجة مرحة لا اثر فيها للسخط: يا صاحبي أنت على حق وأنا معك في السخرية؛ ولكن ما عساي أن أصنع ـ أنا وأنت ـ أمام هذا الإجماع الجارف من هؤلاء؟!

فضحك النظارة على المشاغب كثيرا .. وكان هذا المشاغب هو: «جولدنج برايت» ذلك التلميذ الذى بدأت معرفته بأستاذه في تلك الليلة وكتب اليه ـ بعد ذلك ـ يسأله النصيحة لتسديد خطاه في الصناعة الأدبية، التى اختارها لنفسه، وهى صناعة الكتابة المسرحية والنقد المسرحى، واتصلت الرسائل بين الأديبين:

«جولدنج» التلميذ.

«وبرناردشو» الأستاذ.

حتى أصبحت رسائل «شو» إليه:

* من أندر رسائل الوصايا والنصائح في الآداب العالمية..

* وأندر من ذلك أن تكون مكتوبة إلى تلميذ واحد..

* وأندر من هذا وذاك أن يفلح هذا التلميذ، بفضل ما استفاده من أستاذه، وبفضل كفايته الشخصية، ومثابرته على التعليم والتعلم.

لقد أكدت هذه الرسائل:

* انه لابد للنجاح من الملكة والرغبة والمثابرة إذ لا فائدة من الملكة المستعدة بغير رغبة ومثابرة ولا فائدة من الرغبة والمثابرة بغير ملكة مستعدة للعمل، ولابد من الجمع بين هذه «المؤهلات» لكل نجاح، ولابد للناقد من بعض القدرة على الإنتاج والتأليف، فلا يكفى أن يتعلم النقد بالثناء أو القدْح في إنتاج الآخرين، بل عليه أن يتعلم النقد في نفسه قبل ان يتعلمه في سواه.

وأهم «المؤهلات» اللازمة للناقد اطلاع واف وقدرة على التحليل والمقارنة والموازنه، ثم يصيب أو يخطىء حتى يستقيم له الصواب ويتجنبه الخطأ جهد المستطاع في أعمال الإنسان.

نصح «شو» تلميذه بالإقدام على التأليف فتردد، خوفا من النقد، فكتب اليه يقول: «لو أنني نصحت لك

بقلم : د. أحمد الحفناوي
- مصــر -

بالتدريب على ركوب العجلات فوق الجليد لما خطر لك أن تعتذر بالخوف من الوقوع؛ لأنك بالوقوع مرة بعد مرة تتدرب على اجتناب الوقوع!!

وفهم التلميذ من هذه النصيحة أنه يستطيع أن يؤلف الكتاب ويرسله إلى المطابع والمكتبات، وهو ينوى أن يحرقه بعد حين؛ ولكن «شو» عاد ونصحه قائلا: «لا تؤلف كتابا وأنت على نية إحراقه؛ بل اكتبه وأنت تعتقد أنه جدير بالطبع والنشر وانه ناجح وأنه مفيد، ولعلك تؤلفه ولا تجد الناشر الذى يطبعه، فأنت اذن خليق أن تستفيد شيئا من مزاولة التأليف وأن تعاود الكرَّة على أمل في النجاح أكبر واقوى، وحذار أن تحرقه وإن خجلت منه؛ بل تحفظه في مكان ثم تعود إليه؛ فربما خجلت في الثلاثين مما كنت تكتبه في العشرين، ولكنك متى بلغت الأربعين كسبت شيئا من احترام الأحلام في سن الشباب وقد تتمكن يومئذ من نشره فترى: أنه جدير بالاقبال.. من يدرى؟ ان الشيء الوحيد الذى أنت على ثقة من درايته: انك تكتب كل يوم وتكتب عاما بعد عام، إلى أن تملك زمام الأستاذية والإتقان».

ثم استطرد «شو» إلى شيء من سيرته فقال: «أما اعتقادك اننى كنت أقدر منك على تطبيق هذه النصائح فكل ما أقوله:

ان الفرق بينى وبينك على ما يظهر - أن أباك أيسر حالا من أبى وادنى إلى المعيشة المنتظمة.

لقد تطرقت هذه الرسائل إلى موضوعات الأسرة، فقد شكا التلميذ إلى أستاذه: أن أباه قد تزوج من غير أمه، وأنه ينفر من زوجة أبيه، ويتهمها بتعمد الإساءة إليه، فكتب إليه أستاذه يقول: «هذه إحدى الحالات التى يقسو فيها الأبناء على الآباء، وأول ما ينبغي لك، أن تخلى ذهنك من كل اعتراض علي مركز هذه الزوجة في البيت، ولتكن كيف كانت من قبل، وكيف تكون الآن وليكن شعورك نحوها وشعور اخوتك ما يكون، فان حق أبيك في الحياة السعيدة مع المرأة التى أحبها وتزوج منها، أو حقه في إسعادها، ورعاية مصالحها أمر لا نزاع فيه؛ وإنها ولا ريب دورة من دورات الحوادث التى يؤسف لها ولكنها ليست بإساءة ولا خيانة، وكلما نظرت إليها بعين السخط لم يكن من جرَّاء ذلك إلا أن تتورط في الأضرار التي لا تنفع ولا تحسن عقباها إذ لا سبيل إلى الغاء هذا الزواج، ولو كان من المطلوب أو المستحب أن يُلغى، وإنك لا تجنى من تكدير العلاقة بين أبيك وأبنائه الا أن تلجئه إلى طلب العطف من تلك الزوجة، وقد تلجئه إلى تمييزها في شيء أو اكثر بنصيب أكبر.

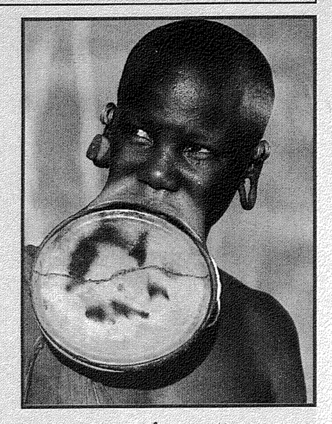
وهذه النصيحة حسنة في مثل هذه القضية، ولكنى - وأعتقد أن معى كثيرين - أحسب: أن حق الأب في السعادة لا يعفيه من إسعاد أبنائه الصغار ما دام مسئولا عنهم، وما داموا عاجزين عن حماية أنفسهم ومن أهم ما نذكره من هذه النصائح: ما أشار اليه «برناردوشو» من ضرورة التفرقة بين الكتابة الصحفية الحسنة وبين الكتابة الأدبية المختارة ، حيث ذكر:

ان الكتابة الصحفية أنجح ما تكون إذا ارتبطت بساعتها ومناسبتها وإن موضوعات الادب أنجح ما تكون إذا بقيت فيها بقية صالحة بعد المناسبات الموقوته بحوادثها وشخوصها وقد تجمع الكتابة بين المزيتين في الأحوال النادرة، فتنجح في حينها وتنجح في كل حين؟ الا أنها أحوال نادرة لا يقاس عليها.

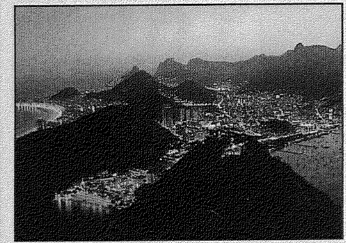
لقد رفض «شو» أن ينشر الفصول التي كتبها في النقد قبل وفاته وكان تلميذه قد اقترح عليه ذلك؛ ولكنها - أي هذه الفصول - نشرت بعد وفاته فاقبل عليها قراؤه لقيمته وقيمتها.

فهل يا ترى كان الصواب في جانب التلميذ الذى اقترح نشرها؛ أم كان بجانب الأستاذ حين أبى أن ينشرها في حياته؟!.

هنا يتضح أن الصواب مرهون بأوقاته ودواعيه.



في البلدان والعمران ..
في التقاليد والأعراف
في تقاطيع وجوه الناس
السائح يستقريء
الملامح ويرسم اللوحة



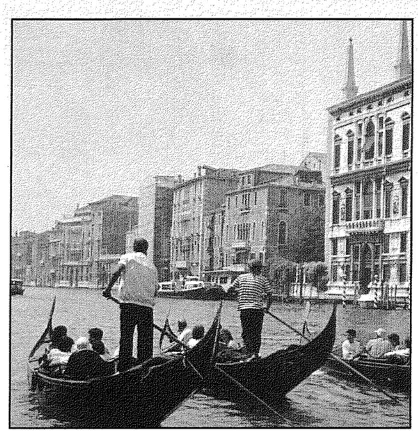
السرُما
قبائل الشفاه المطوطة

مشاهد برازيلية

السائح



البندقية المدينة الطيبة

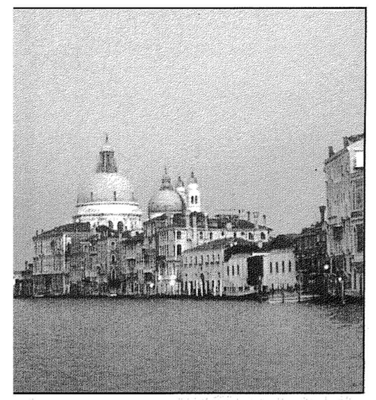


الجندول والبحر احد المعالم الاثرية في البندقية

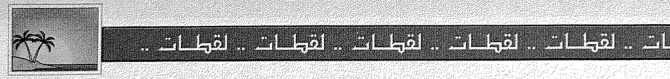
البندقية مدينة الاساطير بحق .. مدينة الدهشة والغرابة، قصورها تبدو وكأنها تنبلج من قلب الماء .. بيوتها تطفو على الادرياتيك، وسكانها كما البرمائيات ، يعيشون في البحر من دون أن يكونوا في البحر معجزة المدينة انها مبنية على ١١٨ جزيرة طينية رخوة.

ولربط هذه الجزر اقيمت الجسور الخشبية لتخلق من البقع الطينية العائمة واحدة من أدهش المدن التى عرفها الانسان.

هذه المدينة أجمل مكان تقضي فيه شهر العسل ، فقد رفضت السكك الحديدية وضجيج المطارات وصخب السيارات وبقيت قدر المستطاع امينة لماضيها محافظة على حاضرها.



ليل البندقية وشاح يلف المدينة في نسيج الحلم



البندقية كرنفال البحر

جسر الريالتو الشهير



ساحة سان ماركو في البندقية

مشاهد برازيلية

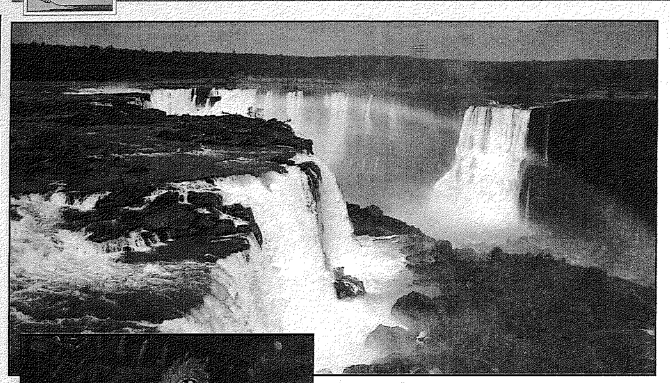
تعد البرازيل، بمناظرها وثقافاتها المتعددة، من اكبر دول امريكا اللاتينية، فمساحتها التي تقدر بـ ٩٦٥ ٥١١ ٨ كلم٢ تعادل مساحة قارة باكملها، وتعج هذه البلاد الفريدة بموارد طبيعية لا حصر لها وبملايين البشر المنتمين الى اعراق شتى يتعايشون بسلام ووئام: فالسود ذوو الاصول الافريقية يتساكنون مع الهنود الاصليين وكذا حال الاوروبيين مع الآسيويين، ويبلغ طول الساحل البرازيلي ٧٣١٠ كلم تصب فيه شبكة كثيفة من الانهار منها خمسون الف كيلومتر من المجارى المائية الصالحة للملاحة واهمها حوض الامازون الاسطوري وحوض توكانتين اراغوايا، ويتبعها في الاهمية حوضا ساو فرانسيسكو ونهر بارانا.

تعد البرازيل، بمناظرها وثقافاتها المتعددة، من اكبر دول امريكا اللاتينية، فمساحتها التي تقدر بـ ٩٦٥ ٥١١ ٨ كلم٢ تعادل مساحة قارة باكملها، وتعج هذه البلاد الفريدة بموارد طبيعية لا حصر لها وبملايين البشر المنتمين الى اعراق شتى يتعايشون بسلام ووئام: فالسود ذوو الاصول الافريقية يتساكنون مع الهنود الاصليين وكذا حال الاوروبيين مع الآسيويين، ويبلغ طول الساحل البرازيلي ٧٣١٠ كلم تصب فيه شبكة كثيفة من الانهار منها خمسون الف كيلومتر من المجارى المائية الصالحة للملاحة واهمها حوض الامازون الاسطوري وحوض توكانتين اراغوايا، ويتبعها في الاهمية حوضا ساو فرانسيسكو ونهر بارانا.

تقع نسبة اكثر من ٩٠ في المائة من اراضي البرازيل في نصف الكرة الجنوبي، وباستطاعة المرء ان يتصور مدى اتساع البلاد عند ادراكه ان الحدود الشمالية تمتد حتي خط العرض الخامس، بينما يمر مدار الجدي الاستوائي عبر مدينة ساو باولو، ورغم ان معظم اراضي البلاد تقع في المناطق الاستوائية، فان البلاد تتسم بمناخات شديدة الاختلاف تتراوح بين الحار الرطب في منطقة الامازون والحار الجاف في المنطقة الشمالية الشرقية والدافىء باستمرار في معظم المناطق الساحلية.

تتوزع البرازيل من الناحية الادارية الى ٢٦ ولاية اضافة الى منطقة برازيليا الاتحادية حيث تقع عاصمة البلاد، وتختلف كل ولاية عن غيرها بخصائصها وتناقضاتها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية ويمكن اعتبار أي منها عالما قائما بذاته، ويشكل الشباب الاغلبية الساحقة من سكان البرازيل الذين يبلغ عددهم ١٥٦ مليون نسمة ويعتمد نصف السكان في معيشتهم على الزراعة وخاصة منها الزراعات المخصصة للتصدير كالبن والسكر والكاكاو والقطن، لكن البنية الادارية المعقدة تعرقل تطور الانتاج الى حد كبير، والى جانب الثروات الزراعية الهائلة تتمتع البلاد كذلك بثروات معدنية هائلة كالحديد والماس والمنغنيز والرصاص اضافة الى البوكسيت والبترول ساهمت الى جانب جلب العملة الصعبة في ازدهار الحركة الصناعية التى نشأت اساسا باموال المستثمرين

اعداد : الحسان الرزاقي
- المغرب -



- شلالات ايغواسو.

الاجانب، وهكذا ظهرت صناعة النسيج والصناعة الغذائية والتعدين ورغم كل ذلك فمازالت البرازيل تعتبر دولة نامية بسبب عدم توفر رؤوس الاموال والتكنولوجيا وبسبب الفوارق الشاسعة بين الاغنياء والفقراء.

اصبحت البرازيل مستعمرة برتغالية منذ القرن السادس عشر رغم المنافسة الفرنسية الشرسة، وبسبب كونها مصدرا مهما للسكر احتل الهولنديون سواحل البلاد ما بين عامي ١٦٢٤ و ١٦٤٤، ومما يلاحظ ان البرتغاليين كانوا خلال فترة الاحتلال مندمجين بشكل سريع في النسيج الاجتماعي والثقافي البرازيلي خلافا لما حدث في استراليا والولايات المتحدة، مما ولد ثقافة محلية متعددة الاعراق، غير ان المستوطنين سرعان ما شعروا بثقل الحكم البرتغال الجاثم على صدورهم، فقد كانت الضرائب ثقيلة مما اثار سخطا عاما توج بما يسمى بمؤامرة ميناس

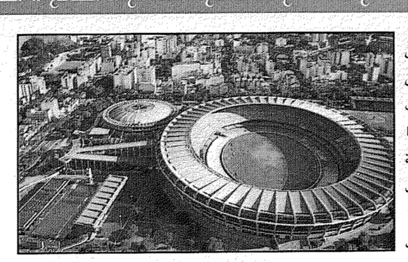


- احتفال باحد مدارس السامبا.

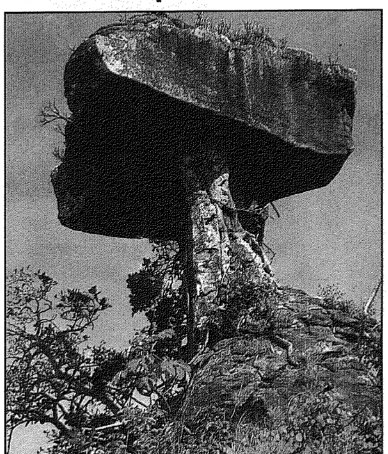
المستوحاة من مباديء الثورة الفرنسية وحرب الاستقلال الامريكية والتي قادها يواكيم خوسي داسيلفا كزافييه، غير ان البلاد لم تحظ بالاستقلال الا بعد نفي العائلة المالكة في البرتغال بعد غزو نابليون لها سنة ١٨٠٨م وبعد أن رضخ الأمير بدرو وريث العرش البرتغالي الذي كان يحكم البرازيل بصفته نائبا للملك للضغوط القومية المتصاعدة آنذاك فأعلن البرازيل امبراطورية مستقلة، لكن ابنه «دون بدرو الثاني» عزل سنة ١٨٨٩ عندما تحولت البلاد الى جمهورية.

الغابة الامازونية الكثيفة تمثل الجزء الاهم من المنطقة الشمالية البرازيلية ، وهنا تفرض الطبيعة قوانينها الصارمة على النبات والحيوان بل وحتى الانسان مكونة بذلك عالما من التنوع لا مثيل له، وتشكل هذه الغابة اربعين بالمائة من مساحة البلد وتوفر نصف اكسجين الكرة الارضية، ويعيش فيها ١٨٠٠ نوع من الطيور و٢٥٠ نوعا من الحيوانات و١٥٠٠ نوع من الاسماك كما يوجد بها حوض كبير يضم ١٠ أنهر كبرى وشبكة هائلة من المجاري المائية الصغيرة تنتشر بها جزر فائقة الجمال، واشهرها جزيرة ماراجو التي تقع على مصب النهر وهي مهد حضارة الماراجوارا المزدهرة في المنطقة قبل اكتشاف امريكا ومازالت آثارها بادية في فن السيراميك والصناعات التقليدية المحلية ويستمتع الزائرون كثيرا بقطعان الجواميس وهي تسبح على سطح الماء وكذلك الطيور المختلفة الاشكال والالوان وبيوض السلاحف العملاقة اضافة الى الرقصات القبلية التقليدية.

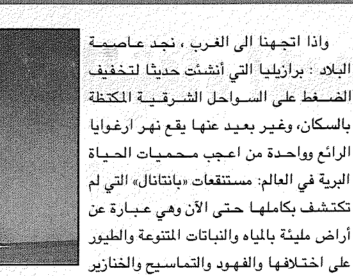
اما المنطقة الشمالية الشرقية فتعتبر مهد الاستعمار الاجنبي للبرازيل خاصة منها ولاية باهيا وقد جلب اليها ملايين العبيد الافارقة للعمل في مزارع قصب السكر في ظروف صعبة وشاقة، والثروة الرئيسية للمنطقة هي الخشب الاحمر أو ما يعرف بخشب البرازيل، والى جانب ذلك تتميز المنطقة بفولكلورها المتنوع وثقافاتها المتعددة من برتغالية وافريقية وهولندية وفرنسية تنعكس بدورها على الفنون والهندسة المعمارية والتقاليد الشعبية، واشهر الظواهر الثقافية والدينية في المنطقة ديانة الكوندومبلي وهي مزيج من الطقوس الافريقية والرموز الكاثوليكية ويحظى كهنة هذه الملة باحترام كبير من الاهالي، ومما يلاحظ في هذا الصدد مشاركة معتنقي الكوندومبلي في قداس الكنسية الكاثوليكية.



- ملعب ماراكانا في ريو.



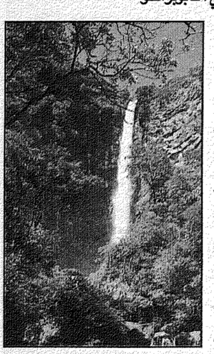
- تكوين صخري عجيب.


- شاطيء كابوبرانكو.

واذا اتجهنا الى الغرب ، نجد عاصمة البلاد : برازيليا التي أنشئت حديثا لتخفيف الضغط على السواحل الشرقية المكتظة بالسكان، وغير بعيد عنها يقع نهر ارغوايا الرائع وواحدة من اعجب محميات الحياة البرية في العالم: مستنقعات «بانتانال» التي لم تكتشف بكاملها حتى الآن وهي عبارة عن أراض مليئة بالمياه والنباتات المتنوعة والطيور على اختلافها والفهود والتماسيح والخنازير على سبيل المثال لا الحصر.

اما المنطقة التي يقصدها الكثير من السياح فهي المنطقة الجنوبية الشرقية وذلك بسبب حركة الحياة الدائبة فيها وتطورها المستمر مقارنة مع باقي مناطق البرازيل، وتقع في هذه الناحية اكبر مدينتين في البلاد: ساو باولو مدينةالصناعة والاعمال وريودي جانيرو المشهورة عالميا بشواطئها الفاتنة وموقعها الجغرافي المتميز فهي تقع بين الجبل والبحر بملايينها الثمانية من البشر الذين لا تخلو منهم الشوارع والشواطئ ليلا أو نهارا، غير ان المعلمة الطبيعية الرئيسية في ريو هي جبل قصب السكر الذي يرتفع ٣٩٦ مترا الى السماء وسط خليج غوانابارا، غير ان ما يجذب الزوار اكثر هو الكرنفال اي كرنفال (ريو) الذي يقام كل سنة في شهر فبراير (شباط) وفي هذا الاحتفال الضخم تتبارى مدارس السامبا المتنافسة في تقديم اكثر العروض غرابة وتميزا وبالطبع لا ينبغي تجاهل رياضة كرة القدم التي تعتبر زادا يوميا للبرازيليين، وتخليدا لهوسهم الشديد بهذه الرياضة الشعبية اقام البرازيليون اكبر ملعب لكرة القدم في العالم وهو استاد ماركانا الذي يتسع لـ ١٨٠ الف متفرج.

والى اقصى الجنوب، وعلى الحدود بين كل من البرازيل والباراغواي والارجنتين تقع شلالات ايغواسو عند التقاء نهري بارانا وايغواسو ويمكن سماع صوت خرير المياه على بعد كيلومترات عديدة، وتكون سحب البخار المنبعثة من الشلال اقواس قزح جميلة تضفي على المكان طابعا رومانسيا لا ينسى.


- منظر طبيعي اخاذ.


- زي فولكلوري متميز.

السُرما قبائل الشفاه المط

على طول حدود أثيوبيا مع السودان، تحيا العديد من القبائل البدائية التى اتخذت من الفطرة شعاراً ومن البساطة عنواناً .. غير أن المتأمل في تقاطيع الوجوه، وفي العادات المتوارثة يستطيع أن يستقرىء ملامح الوسامة والغرابة، وذلك من خلال فنونهم البسيطة والرائعة بل والمؤلمة أحيانا، والتى نراها مجسدة ببراعة وإتقان عند أحد أشهر القبائل في تلك المنطقة وهى قبائل السرما.

معاندة الواقع:

وقبائل السُرما تسكن منطقة المستنقعات غرب نهر أومو الذى ينبع من جبال أثيوبيا ويتجه نحو الجنوب لمسافة ٩٠٠ كم حتى مصبه في بحيرة رودولف على الحدود الكينية. وفي هذه المنطقة تبدو الطبيعة وعرة في العديد من صورها، حيث الجبال والصخور، وسرعة جريان النهر وحيواناته المفترسة، والأفاعى الضخمة التى يتراوح طولها في بعض الأحيان ثلاثة أمتار، فضلا عن تلك الحشرة السامة المعروفة بـ «التسى - تسى» فهى وحدها الأصغر والأخطر والأكثر انتشاراً، ولا شك أن كل هذه الأخطار جعلت السرما في عزلة عن أعين العالم المتحضر، ولا يقصدهم الزوار أو الباحثون إلا في النادر، لذلك فهم في الوقت الحاضر من أنقى القبائل البدائية فى تنظيماتها وعاداتها الاجتماعية. كما أن حياتهم تتميز بالهدوء والسكينة فهم مسالمون لا يستخدمون العنف إلا للدفاع عن بقائهم، خاصة إذا تعرضت حياتهم لهزات نتيجة نشوب مصادمات بينهم وبين جيرانهم من قبائل البومي التي تجاورهم من الجنوب، وقبائل «الديزى» التى تجاورهم من الشمال.

وطبقا لآخر إحصاءات المستكشفين يبلغ عدد السُرما بين ثلاثين ألفاً وخمسة وثلاثين ألفاً غير أنه لا تربطهم جميعا أية وحدة سياسية فلا يشار إليهم كشعب أو مملكة بل هم عدد من القبائل المتشابهة من حيث اللغة والنمط المعيشى فقد ذكرت المغامرتان الأمريكيتان «كارول بيكويث» و«أنجيلا فيشر» في تقريرهما الذى اعدتاه بعد آخر جولاتهن الاستكشافية في منطقة السُرما عن هذه القبائل «أنهم مجموعة من المترحلين مديدى القامة، ذوى رؤوس ضيقة، إذ يمثلون نتاجاً سلالياً متنوعاً بين سلالة البحر المتوسط، وزنوج غابات أفريقيا. يتنقل رجالهم بسيقانهم الطويلة حفاةعراة، وتلتف حول أذرعهم أساور عاجية، في حين تتزين نساؤهم بقلائد حول اعناقهن ويسترن عوراتهن برقع جلدية صغيرة ممسكة بخيط رفيع يعقد حول الخصر ومطعمة بحبات اللؤلؤ أو خراطيش الأعيرة الناريةالفارغة».

وفي الغالب تتكون منازل السُرما من كوخ أو مجموعة صغيرة من الأكواخ وحظيرة للماشية بنيت جميعها من البوص والطوب اللبن فوق الأراضي المرتفعة البعيدة عن غائلة الفيضان. وفي الوقت الذى تقوم فيه الفتيات الصغيرات بالمساعدة في الأعمال الخفيفة في المنزل مثل طحن الحبوب ونخل الدقيق أو رعاية النباتات في الحقل، يقوم الأولاد الصغار برعي الأغنام والعمل في مجال الدفاع عن القبيلة حيث

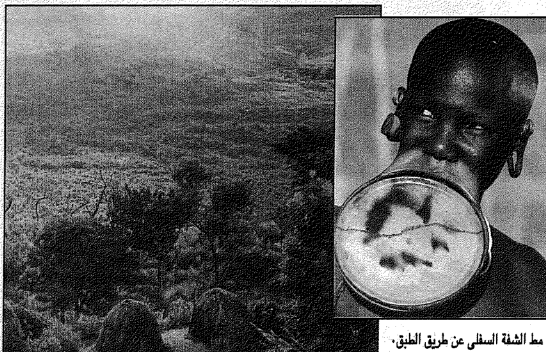
اعداد : خالد خلف زيدان
- مصر -

وطة والرسم على الأجسام

يحرصون كآبائهم على إقامة مباريات المبارزة بالعصى.

خداع الأرواح الشريرة:

وكعادة القبائل البدائية تمارس قبائل السرما العديد من الفنون المتوارثة التى تنفرد بها عن غيرها، لعل من أشهرها فن الرسم على الجسد الذى يمثل لهم نوعا من الاستمرارية لبعض العادات والتقاليد التى تشير الى الوسامة والشجاعة فهم بفطرتهم ودون أي دراسة فنية تحولوا إلى فنانين مبدعين يخطون على جلودهم السمراء العارية أجمل الخطوط والزخارف التى يغيرون بها من هيئتم حتى لا تعرفهم الأرواح الشريرة وهى أشد ما يرهبون، فهم يؤمنون بأن هذه الأرواح خالدة، وأن الروح إذا فارقت صاحبها اختارت بقعة موحشة ولبثت تنتظر إلى أن تحل في الأجنة حتى تولد من جديد، فإذا طال انتظارها غضبت وإذا غضبت الروح الخفية فليس طريق النجاة من أذاها إلا خداعها عن طريق هذه الزخارف، فباستخدام مادتى الطباشير

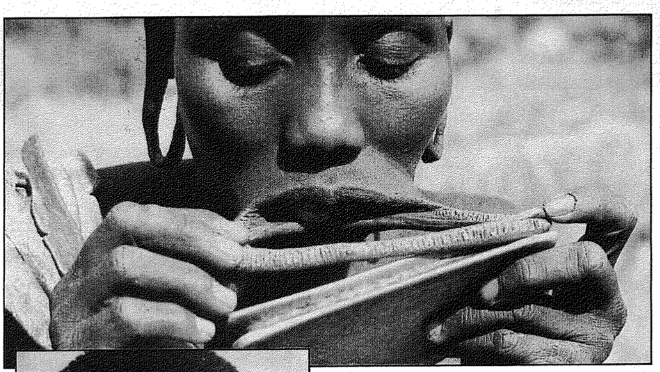


ـ مط الشفة السفلى عن طريق الطبق.

ـ اكواخ السرما.

الحجري والطين المحروق تنساب على الجسد أروع لوحات التنكر والخداع.

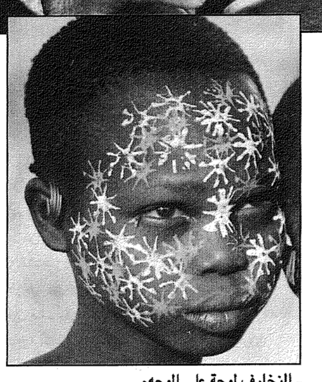
وبخلاف خداع الأرواح الشريرة فإن رجال السرما يرون في ممارسة هذا الفن رمزا لرجولتهم ورهبة لأعدائهم. أما النساء فيجدن فيه نوعا من الإغراء فهذه الزخارف تترك في أنفسهن تأثيرا طيبا



ـ ثقب الشفة السفلى وشدها بالطبق.

يستمدن منه وسامتهن وجمالهن حيث تقوم المرأة برسم وجهها، كما أن الأطفال الصغار يرون في هذا الفن تقليدا لآبائهم واعتزازا بطقوس وشعائر قبيلتهم. ولا يختلف جوهر هذه الزخارف كثيرا في الرجال عنه في النساء أو الأطفال وإن كانت اللوحة تبدو أكثر روعة واكتمالا على أجساد الرجال لشمولها معظم أجزاء الجسم. غير أن هذه اللوحات مهما بلغت من روعة ومهما كان الجهد المبذول فيها، فهى لا تصمد طويلا أمام حمام مائى في نهر أومو أو أحد روافده الجارية.

وتكرس قبائل السرما جل وقتها للرسم على الأجسام بعد حصد المحاصيل الزراعية في شهر أكتوبر، حيث يزداد وقت الفراغ وتتوافر مصادر الرزق. ومن أبرز فنانى السرما المتخصصين في الرسم على الأجسام: «كولى هولى» الذى تمتاز زخارفه بدقة بالغة في اختيار الخطوط وتناسق الألوان، وصديقه «موراديت» الذى يمتاز بفنه ذى الزخارف التى تشكل خطوطا عرضية أو مائلة، كما يستخدم «شنوا» في فنه الأشكال العنكبوتية أو التى على شكل نجوم



ـ الزخارف لوحة على الوجه.

متداخلة، أما «أوول ريجابى» فيلجأ إلى الزخرفة المتعرجة التى تتخذ شكل حركة الثعبان الملتوية.

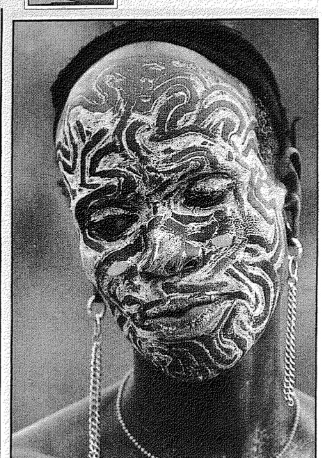
مط الشفاه:

ومن التقاليد الأخرى التى تسترعى الانتباه عن

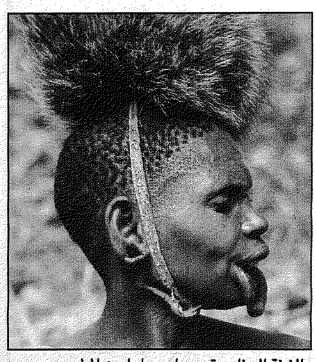
قبائل السرما تقليد «مط الشفاه» الذى تمارسه النساء حيث يشوهن شفاههن بشكل يدعو للإشمئزاز والفضول في آن واحد، إذ على الفتاة عندما تبلغ العشرين من عمرها أن تثقب شفتها السفلى وتتبارى في تمديدها مع قريناتها بوضع طبق صغير للغاية في هذا الثقب، وبالتدريج يتم تغيير الطبق من وقت لآخر بطبق أكبر وهكذا حتى يأخذ الطبق في النهاية أكبر مساحة يمكن لشفاة المرأة تحملها. والحقيقة ان هذا التقليد الغريب المثير للألم قد يؤدى إلى بعض المضاعفات نتيجة التلوث الذى قد يحدث للجرح، غير أنه عندما يندمل ذلك التمزق تكون الشفة السفلى قد مطت وتدلت لأكثر من خمسة وعشرين سنتيمترا.

وتقليد أطباق الشفاه قد يكون عنوانا لجمال المرأة في نظر رجال السرما ومصدرا لثراء أهلها، فهو يعتبر وسيلة لجمع المال لعائلة العروس إذا كلما زاد حجم الطبق أعطى ذلك فرصة لأهلها لمطالبة من يطلب يدها بدفع مهر أكبر وهو ما يتمثل في خمسين رأسا من الماشية، وإذا ما صغر حجم الطبق نسبيا فإن المهر المطلوب يكون أكثر تواضعا، إذ يمكن في هذه الحالة الاكتفاء بنحو ثلاثين أو عشرين رأسا فقط. ويستخدم نساء السرما في صناعة هذه الأطباق الطين المحروق أو الخشب. وفي الغالب لا يلجأن إلى خلعها من شفاههن إلا عند الذهاب إلى النوم، وعند تناول الطعام، وعند تبادل الحديث مع الآخرين.

ويعلل علماء السلالات البشرية هذه التشوهات التى تمارسها نساء السرما لمط شفاههن بأنها «رغبة في عدم مشابهة الحيوانات من حيث منظر الشفاه» أما سكان القبائل أنفسهم فيعللون ذلك بقولهم «إن على الفتاة حين تبلغ سن الزواج أن تمط شفتها السفلى بشكل ظاهر للعيان لكى تبدو قبيحة في نظر الأعداء من القبائل الأخرى التى قد تغير بغتة لسرقتها». وبالتالى فكلما ساهمت هذه التشوهات في تقبيح منظر الفتاة، عزف عنها سارقوها وسما شأنها في نظر خطابها.



- لوحة أخرى على الوجه.



- الشفة السفلى وقد وصلت مداها من المط.

أحوج الحاج

الأحماض من الجذر الثلاثي (مض) يقال: أحمض القوم: أفاضوا فيما يؤنسهم من الحديث والكلام، فهي مفاكهة ومؤانسة!

وهي لون فكاهيّ فنيّ ساخر، يتناول مظاهر الحياة العاصرة كالمخترعات والمعاني الحديثة، ويصوغها على ألسنة أدباء العربية القدامى في عصورها الأولى الزاهرة بأسلوب حواري قصصي.

* موضوع الأحماض:

تتناول عدداً من مظاهر الثورة المعرفية والتقنية في العصر الحديث كالمخترعات والمعاني العصرية مثل: الكهرباء، والثلاجة، والتلفاز، والهاتف، والسيارة، والطائرة، والحاسوب، والمشروبات الغازية، والعولمة، والدكتوراة، والانترنت!

* أسلوب الأحماض:

يقوم على الحوار، ويفيد من أسلوب المقامات والقصة المعاصرة، ويتسم بالإيجاز والوضوح والرصانة، ويتجاوز حدود الزمان والمكان.

* أهداف الأحماض:

تهدف إلى إمتاع فؤاد المتلقي، وإدخال السرور على نفسه، وإمداد عقله بشحنات من المعرفة الأدبية من خلال الخطوط التالية:

١ ـ تخيّل مواقف الأدباء القدامى من المخترعات الحديثة وردود أفعالهم لو كانت في زمانهم والتعريض بأدباء هذا العصر الذين لم يحتفوا كثيرا بهذه المخترعات المثيرة في أعمالهم الأدبية.

٢ ـ توجيه النقد السّاخر للمظاهر الزائفة في الحياة المعاصرة.

٣ ـ مناقشة بعض القضايا اللغوية المتعلقة بتعريب هذه المخترعات وأوزانها الصرفية، ومثناها وجموعها.

٤ ـ إثراء لغة الناشئين من المتلقين بالمفردات والتراكيب وأساليب البيان العالية.

٥ ـ تقدير الأدباء الأوائل، واستذكار أعمالهم وجهودهم في نهضة العربية والحفاظ عليها.

٦ ـ ربط الواقع المعاصر بالماضي الأصيل الزاهر للإسهام في البناء الحضاري الشامخ للأمة.

إضاءة شخصية:

ـ د. احمد عطية ضيف الله السعودي ـ دكتوراة أدب ونقد.

ـ من مواليد الأردن ١٩٦٠م.

ـ له عدّة مقالات وبحوث منشورة في عدد من الصحف والمجلات المحلية والعربية منها:

* الرأي ـ الدستور ـ اللواء ـ النماء (الأردنية)
* منار الإسلام (الإمارات).
* الأدب الاسلامي (رابطة الأدب الاسلامي)

أخبرنا أبو عثمان الجاحظ[١] قال: سألت ثمامة بن أشرس[٢] عن طبائع أهل «مرو» في البخل لمَ خصّوا به دون سائر الأنام؟ قال: تلك جبلّة مستحكمة فيهم، فلم أرَ الديك في بلدة قط إلا وهو لافظ يأخذُ الحبَّ بمنقاره ثمّ يلفظها قدّام الدجاجة إلا ديكة مرو، فإنها تسلبُ الدجاج ما في مناقيرها من الحبّ! فعلمتُ أن بخلهم شيء في طبع البلاد، وفي جواهر الماء، فمن ثمَّ عمّ جميع حيوانهم، لأنهم اتصلوا بالروم الذين ابتدعوا «الحيلة الجليلة» لخزن الطعام وحفظه أياماً معدودات، فصاروا أبخل الأمم، فلا تجدُ للجود في لغتهم اسماً!

قال الجاحظ: فقلتُ وكيف يحفظون الأطعمة أياماً معدودات والفساد إليها أسرع؟

قال: يحفظونها في «الثلاجة» مُبَرّدة لا يمسها سوء، وينعمون بها في كلّ آن!

قلت: صنفتُ أكثر من مائة وخمسين كتاباً، وأحطتُ بطبائع الخلق والحيوان، ودوّنت مؤلفات في الزرع والنخل والطب وغش الصناعات، ولكنني لم أسمع بهذه «الثلاجة» من قبلُ، فما الأمر يا ثمامة؟

قال: على رسلك يا أبا عثمان، حفظت شيئاً وغابتْ عنك أشياء!

لقد رأيتُ حيلة العجم بعيني، فإذا هي صندوق طويل مستطيل، تنتج الثلج، وتُقر عين العلج[٣] وماؤها أبرد من الفلج[٤].

قلتُ: وماذا يضعون فيها؟

قال: يجمعون فيها مؤونة الأسبوع مما لذّ وطاب، وحضر وغاب من الفاكهة والخضروات والمشروبات، وربما حفظوا فيها الأدوية و«السندوتشات» و«السلطات»!



بقلم: د. احمد عطية السعودي
ـ الاردن ـ

ـة إلى اقتنـاء الثلاجة!

قلت: كدرت فـهمي، وعكرت ذهني بكلمتين غريبتين، فما السندوتشات؟ وما السلطات؟

قـال: تزعمُ أن لك كـتبـاً في طعـام الخلق ولا تعـرف السندوتشات! إنها شطائر خبز توضع بينها الكوامخ كـ «الفـلافل» و«البندورة» و«اللحمـة»، ولا أحسب أن عشـراً منها تسدُّ جوعتك، وأنت كما قال الشاعر:

تبـارك الله مـا أمـضـى أسنتـه
كـأنمـا كلُّ فك منه طاحـون[٥]!

قـال الجـاحظ: فـخـجلت أن أسـأله عن «الفـلافل» و«البندورة» لما أعرف من حدّة مزاجه، وكثرة لجاجه، فقلتُ: حسناً، فطيب معدتي بالسلطات؟!

قال: السلطات جمع سلطة أكلة شهية شعبية تشتمل على «البندروة» أو «الطمـاطم» المقطعة والخيـار والبصل والزيت والليمون، وربما أضيف إليهما البقدونس واللبن!

قـال الجـاحظ فقلت في نفسي: لمَ لا أسـأله عن كلّ شيء فلعلي لا ألقاه إلى يوم القيامة! فقلت: ومـا الفلافل وما البندورة يا أبا أشرس؟

قـال: سـبحـان الله، يا أبا عـثـمـان، تعرف اللوزينج والجوزينج ولا تعرف الفلافل والبندورة؟!

لقد ولى زمن المضيرة[٦] والقديد[٧] والسَّويق[٨] والثريد الذي تتغنى به مع الشاعر:

إذا مـا الخـبـزُ تأدمـه بلحم
فـذاك أمـانة الله الثـريد

وجـاء زمن «المنسف»[٩] و«الكبـسـة»[١٠] و«الكشري»[١١]! اذهبْ فسلْ عن دنيا الطعام أصحابك «البخلاء» اللئام!

قـال الجاحظ: فـعلمتُ أنّه قد ضـاق ذرعـا بأسئلتي، وواسيت نفسي أنني محقّ في إبداء دهشتي واستغرابي، فـانطلقتُ الى «سـهل بن هارون»[١٣] وسـألتـه عن حـيلة العجم لأنه إن علمَ بها فكأنما حيزتْ له الدنيا بحذافيرها!

قال سهل: يا أبا عثمان، أخبرك ولا تفشي سرّاً؟

قلت: نعم، فـأدخلني إلى المطبخ فـرأيتـهـا رأي العين، وقلت له: ومن ملكها غيرك؟

قـال: الكندي، وزُبَيْدة بن حـمـيـد، وأحـمـد بن خلف، وأسد بن جاني ونفرٌ من أهل البصرة المسجديين[١٤].

قلت: وكيف وصلتْ إليكم؟! قـال: حملها إلينا تجار «مرو» بوساطة «المبرد»[١٥]، فهو وكيلها العام!

قال الجاحظ فقلت: ويلٌ للعرب من شرّ قد اقترب، إنّ الكرم يحـتـضـر، والسـخـاء يندثر! ثم صح عـزمي على تصنيف كـتـاب «البخلاء» فألفته، وذكرت في أوله رسـالة سهل بن هارون في البخل:

«أحوج الحاجة إلى اقتناء الثلاجة»!!

هوامش:

(١) الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر، أديب عباسي كبير، من أشهر كتبه: البيان والتبيين، والحيوان، والبخلاء، توفي (٢٥٥هـ).

(٢) ثمامة بن أشرس: من علماء العصر العباسي، واسع العلم، جالس الرشيد والمأمون.

(٣) العلج: الجافي الشديد من الرجال، والواحد من غير العرب.

(٤) الفلج: النهر الصغير.

(٥) البـيت لابن هانيء الأندلسي، مـتنبيء المغـرب، ولد بأشبيلية، وتوفي (٩٧٣م).

(٦) المضيرة: طبخ اللحم باللبن البحت الصريح.

(٧) القديد: اللحم المجفف المملح.

(٨) السويق: طعام يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير.

(٩) المنسف أكلة شعبية أردنية.

(١٠) الكبسة أكلة سعودية.

(١١) الكشري: شعبية مصرية.

(١٢) العصيدة: أكلة شعبية في السودان وتشاد وغيرها!

(١٣) سـهل بن هارون: كـاتب فـارسي الأصل، كتب ليحي البرمكي، وله رسالة مشهورة في البخل ذكرها الجاحظ في «البخلاء» قيل إنها تدل على شعوبيته لازدرائه الكرم الذي هو مفخرة العرب، توفي ببغداد (٨٣٠م).

(١٤) هؤلاء مجموعة من البخلاء الذين ذكرهم الجاحظ في «البخلاء».

(١٥) المُبرّد: أبو العباس، محمد بن يزيد، إمام في النحو واللغـة، له «المقـتـضب» و«الكامل في اللغـة والأدب» توفي (٢٨٥هـ - ٨٩٨م).

حوار مع الأديب والمفكر الكبير أنيس منصـ

المفكر والاديب والفيلسوف، أستاذنا الكبير أنيس منصور.. دائم البحث والتأمل، يطارد السؤال، يلاحق به أفكاره، فتأتى كتاباته متوهجة دائماً وابداً.

* مفكرنا الكبير عشق العلم والادب منذ نعومة أظفاره؛ فقد نشأ في احضان بيت مثقف واصبح له أسلوبه المميز الفريد، الذى جذب إليه عشاق ومحبى القراءة والتطلع للمعرفة من شتى بقاع الأرض.

أنيس منصور:

أديب وفيلسوف أعطته الصحافة كل ما يتمناه كاتب.. وأعطاه الأدب كل ما يحلم به أديب .. وأعطته الفلسفة كل الاعماق والآفاق والقدرة على النفاذ والفهم والاستيعاب.

ثم انه اتخذ لنفسه شعارا: «أنه لا يكفى أن يكون مفهوما ولا أن يكون مثيرا، وانما ان يكون محبوباً» جميل العبارة، لطيف الألفة، جذاب المودة، وهذا الحب ضرورة لكل مثقف في العالم العربي.

مثلا: كتابه (لأول مرة) عن مدن العالم.. كيف رآها في اول مرة.. كيف كان الانطباع القوى.. والحب من اول نظرة، انه يريد ان يرى وان يعرف وان يفهم.. يبدأ من حب كل شيء، الالفة والتعطش الى المعرفة والقدرة على تدوين كل جميل لابد ان تبدأ من الحب.

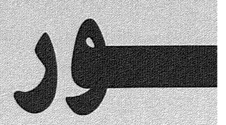
كتابه (لأول مرة) فاز بجائزة احسن كتاب عام ١٩٩٥م في الترجمة الذاتية لانه يتحدث عن وجدانه في مواجهة الجديد.. فيرى ان الادب ترجمة ذاتية للكاتب.

واهم كتبه التى تتحدث عن ترجمته الذاتية لعالمية الادب الفلسفي.. ولجيله من الادباء والمفكرين في مواجهة عباقرة الفكر والادب والفن والسياسة والدين في مصر فقد جاءت في كتابه (في صالون العقاد ـ كانت لنا ايام) وهو بشهادة النقاد يُعَدّ من احسن ما ظهر في الخمسين عاما الماضية.. ففى صالون العقاد كانت الفلسفة والادب وتاريخ الحضارة.. وفي ضوء العقاد رأى أن هناك عظماء اخرين، تأخر في معرفتهم والالتقاء بهم امثال طه حسين والحكيم والمازنى ولطفى السيد وغيرهم.

وكتب كتابه (هؤلاء العظماء ولدوا معا) العقاد وطه حسين والمازنى وعبد الرحمن الرافعي والفلاسفة ـ الوجوديون ـ هيدجر ومارسيل وفتجنشين ـ والمؤرخ توينبى والاديب كوكتو.. وهتلر ونهرو وشارلى شابلن.. ولدوا معا في عام ١٨٨٩م.

وتجربته النفسية الوجدانية الفريدة العميقة





الاستاذ الأديب أنيس منصور أثناء الحوار مع الزميل مصطفي محمد

الدافئة جاءت في كتاب (طلع البدر علينا) ففي رحلته لأداء العمرة لأول مرة استحضر كل مخاوفه وقلقه الفلسفي وفتح نفسه للفيض الالهي، فعرفت عيناه الدموع، وقلبه فاض حبا وحنانا، وامتلأ قلبه بالخشوع طائفا وساعيا.

وكتابه (حول العالم في ٢٠٠ يوم) الذي حصل على جائزة الدولةالتشجيعية عام ١٩٦٢م كان ولا يزال من اهم وأعظم كتبه عن الرحلات.. فقد كان هاديا ومرشدا لملايين الشباب ان ينظروا حولهم.. ويتساءلوا لماذا لا نسافر.. لا نهاجر؟ وبشهادة اليونسكو كان هذا الكتاب الاكثر انتشارا من اى كتاب عربي، يعاد طبعه كل تسعة اشهر.

هذا الكتاب (حول العالم في ٢٠٠ يوم) هو امتع وابدع واعمق واشمل ما عرف الادب العربى من حكايات ونوادر وحقائق في كثير من دول العالم. واللجنة التي منحته جائزة الدولة التشجيعية عن هذا الكتاب قالت: لأول مرة في تاريخ أدب الرحلات نجد فنا جديدا في الرواية والعرض والاداء.. فعبارته جميلة قوية. ونظرته نافذة عميقة، واحتضانه لموضوعاته رقيق دافيء ساخر. وكان من القلائل في الادب العربي، حديثه وقديمه، الذي توفرت له الدراية الواسعة بالفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع والادب والتشويق والاثارة في اسرع عبارة وادق وصف، فهو يبهرك، وفي النهاية لا تملك الا ان تعجب وتتعجب لهذه القدرات الفريدة.

- تولّى عشر مرات رئاسة التحرير لعشر مجلات خلال الفترة من ١٩٦٠ الى ١٩٩٨م.

- حققت مبيعات كتبه ما يقارب المليوني كتاب.

- حصل على جائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٦٢م.

أجراه : مصطفى محمد مصطفى - جدة

المدينة المنورة.. تغمر الزائر لها براحة هائلة لا توصف

ازمة الثقافة نقص في المعلومات الأدبية والفكرية والفنية

ليس من الانصاف ان نصف القنوات الفضائية بأنها شريرة وتافهة

لماذا نخاف من الفضائيات؟

استاذي الكبير:

المملكة العربية السعودية الآن تحتفى وتعيش افراح الذكرى المئوية على تأسيسها.. وطوال هذا الزمن استطاعت المملكة العربية ان تعتلي قمة المجد بازدهارها في كل المجالات والعطاءات.. وقد أضحت بحق معلما يحتذى به في عالمنا العربي والإسلامى الكبير.

وبهذه المناسبة يسعد دارة مجلتكم المنهل أن تحظى بهذا اللقاء.

** أولا اسجل اعجابى بمجلة المنهل، فأنا دائما اتابع ما تنشره، فهى مجلة جادة وتقوم بعملية تنوير هائلة فيما يتعلق بدراسة التاريخ والأدب والنقد الادبي وهي من المجلات القليلة التى اذا اقبل القارىء عليها فإنه لا يتركها دون ان يكملها فأنا أجدد اعجابي الشديد بهذه المجلة عظيمة الاحترام، والى اخى الأستاذ نبيه الأنصاري الذى حمل لواء رسالة المنهل بعد والده المغفور له الشيخ عبد القدوس الأنصاري أجمل الاكبار والتقدير، فظلت المنهل ضياء ينير الأدب والفكر في جزيرتنا العربية ومعه ساعده الابن الأستاذ زهير الانصاري.

اما فيما يتعلق بالملكة وازدهارها.. فأنا عندى تجربة بسيطة جدا، ففى الستينيات جئت الى المملكة لكى أؤدى العمرة واذكر كيف كانت مدينة جدة في ذلك الوقت.. كانت اصغر من ذلك بكثير، وكانت محدودة، وكان بها مطعم واحد على البحر صغير.

فلم تكن بها هذه العمائر الضخمة ولا الشوارع المرصوفة ولا الكورنيش الذى يعتبر متحفا مفتوحا مزدانا بالاعمال الفنية السيريالية والتكعيبية والتعبيرية بما ليس له نظير، لا في العالم العربى ولا في كثير من دول العالم.

هذا هو الجانب الشكلى، لكن هناك جوانب اخرى كثيرة.. المملكة كبرت وامتلأت وارتفعت وازدهرت بالمؤسسات والدوائر الحكومية والجامعات والمعاهد العلمية المتخصصة والمستشفيات والحدائق، واضحت بها نهضة عمرانية فريدة بكل المقاييس من حيث التخطيط والبناء والنظرة المستقبلية والاهتمام بالمواطن تعليميا في الداخل والخارج والاعتناء به صحيا واجتماعيا وثقافيا وفكريا.

واهم من هذا كله، ان كل شيء مخصص لخدمة



حققت المملكة العربية السعودية إنجازات عظيمة القدر بالنسبة لمواطنيها.. وعظيمة الاحترام بالنسبة لاشقائها العرب

المواطن السعودى.. فالمواطن آمن تماما على صحته واسرته وسكنه وعلى طعامه.. وكل ما تملكه الدولة في خدمة المواطن.. مما جعل المملكة العربية السعودية ـ بما حققته من انجازات ـ عظيمة القدر بالنسبة لمواطنيها وعظيمة الاحترام بالنسبة لاشقائها العرب.. ملكا بعد ملك وولي عهد بعد ولي عهد كلهم أفلحوا أن يجعلوا للمملكة العربية السعودية شأنا عظيما بين الأمم. ونذكر هنا مواقف المملكة العربية السعودية الكريمة مع مصر، ونجدد تقديرنا لهذه المواقف النبيلة للمملكة العربية السعودية تجاه مصر في ازماتها اقتصاديا وسياسيا.

والسعوديون بطبيعتهم لا يحبون ان يذكروا انهم قدموا يد المساعدة أو العون الى أحد.. وهم كذلك بتقاليدهم العربية النبيلة لا يقول أحد ماذا قدم وكيف اعان شقيقه.

إننى اهنىء المملكة العربية السعودية بما انجزت وأهنىء الشعب السعودي بالحكومة الرشيدة القائمة على خدمته وعلى خدمة المسلمين.. ويكفى ان نرى أو نعيد النظر الى ما تحقق من توسعة الحرمين الشريفين الحرم المكى الشريف والحرم النبوي الشريف .. وقد رأيت الإنجازات العظيمة بالنسبة للحرم المكي، فقد جاء وقت كنت أؤدى السعي خارج المسجد والباعة يعترضون الذين يسعون بين الصفا والمروة، والآن نرى ما حدث من توسعة رائعة للحرمين الشريفين، انه اعجاز بكل

المقاييس.. والمدينة المنورة تزيد المعتمر والحاج دفئا، ففيها روحانية لا توصف، تصيب المعتمر والحاج بالراحة الهائلة.. وانا اذكر عندما كنت أزور الكعبة أهتز.. وعندما ازور المدينة أهتز اكثر لأنني امام سيدنا رسول الله [صلى الله عليه وسلم] شخصية عظيمة باهرة، معروف جهادها من اجل الخير والسلام ورفع قدر الإسلام.. فالمدينة المنورة ادخلت عليها التوسعات الجميلة الضخمة حتى اصبح المسجد النبوى الشريف في حجم المدينة المنورة على ايام الرسول [صلى الله عليه وسلم].. كما أسعدني الاهتمام برفعة شأن الإسلام متمثلا في طبع المصحف الشريف وطبع الكتب الإسلامية وبناء المساجد.. والمملكة في اقل من مائة عام استطاعت ان تجعل لها مكانا مهيبا رفيعا بين الأمم.

استاذي الكبير:

خادم الحرمين الشريفين ودوره الريادى في اعمار الحرمين الشريفين. ماذا يقول انيس منصور عن هذا الدور؟

** الملك فهد يحفظه الله وُفِّق في اختيار التسميه، إنه خادم الحرمين الشريفين، وخدمة

الاستاذ أنيس منصور يتسلم درع المنهل

الحرمين الشريفين تشريف عظيم هو أحق به.. وهو أهل له.. وهذا ما يشهد به الجميع.

استاذي الكريم ماذا يعنى لكم مرور مائة عام على فتح مدينة الرياض؟

** سمو الأمير عبد العزيز بن فهد في يوم من الايام اصطحبني لرؤية الرياض القديمة ورأيت الأماكن التى اقام فيها (جده) الملك عبد العزيز رحمه الله.. والبيوت كيف كانت؟ وصعوبة الحياة آنذاك.. مدينة الرياض الآن تختلف تماماً عن مدينة الرياض التى دخلها الملك عبد العزيز، فأصبحت مدينة الرياض من الضخامة والاتساع بحيث انك لو (حذفت) أو (حجبت) الكلمات والاسماء العربية فانك لن تعرف ان كانت هذه الرياض أو اي مدينة عالمية اخرى.. من الاتساع والنظام والدقة والاضاءة والنظافة والاناقة.. فقد اختلفت الرياض كثيرا،

والسعوديون بما اتاهم الله من خير كثير أفلحوا في ان يجعلوا مدنهم في مصاف المدن العالمية.. مما جعلها تضاهى كبريات المدن العالمية.

استاذي الكريم:

لقد حضرت كثيرا مهرجان التراث للثقافة والفنون (الجنادرية).. ما هي انطباعاتكم الخاصة عن هذا المهرجان؟.

** لقد تحدثت كثيرا عن هذا المهرجان لكن من المؤكد انه اضافة للثقافة السعودية، والحرص في نفس الوقت على ان يكون هناك لقاء بين الادباء والمفكرين العرب وقد نجحت هذه التجربة.. فنحن في مهرجان الجنادرية نلتقى بعدد كبير جدا من الادباء لا نلتقى بهم على مدار السنة.. ومن هذه اللقاءات تولد صداقات وتتلاقح العقول حول كثير من القضايا.

وفي نفس الوقت .. المملكة العربية السعودية لانها تقفز قفزات عالية فهى تخشى ان الاجيال الجديدة لا تعرف كيف كانت صعوبة الحياة في الماضي.. لذا فهم حريصون على تأكيد كيف كان الماضى، ليعرف الشبان الآن كيف استطاعت الدولة ان تحقق حاضرا ومستقبلا باهرا لهم.

سيدى : الثقافة اصبحت وسيلة من وسائل الحياة.. واداة من ادوات التقدم والحضارة.. وليست ترفا.. ولأن علينا ان نحقق الأمن الثقافى - إن صحت هذه التسمية -.

كيف يرى سعادتكم ذلك في عالمنا العربي الكبير؟

** نصيب الدول العربية من الثقافة مختلف كما وكيفا .. والفضائيات عملت على توثيق عرى الثقافة العربية ونشر الثقافة العالمية ولقد أفلحنا في ان نلتقى في الفضاء في القنوات، ولكن لم نفلح بَعْدُ في أن نلتقي على الارض.. وعلى الاجيال القادمة ان تعالج وتصحح هذا الخطأ.

المفكر الكبير الأستاذ/ انيس منصور:

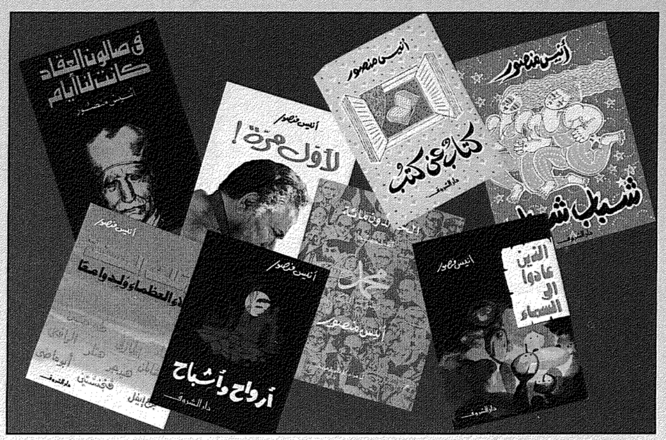
في وطننا العربى الكبير يوجد الالاف من المثقفين ولدينا من المبدعين الكثير وعلى الرغم من هذا لم نصل بعد للعالمية.. كما يقال؟.

انا ضد توحيد الفضائيات.. وضد توحيد الثقافة العربية

العرب ليسو قصرا

اتركني وانا حر ومعي.. ضميري ووطنيتي وقوميتي

ليس هناك مطلقة نعمة ونقمة.. هناك قدر من الضرر والنفع البراعة ان نحقق قدرا اكبر مما هو انفع وارفع



بعض أعمال الاستاذ الأديب أنيس منصور

ولم تستطع ثقافتنا اختراق ثقافة الغرب.. لماذا؟!!

** وصلنا للعالمية، نعم وصلنا بقدر محدود، فبعض الاعمال الأدبية الحديثة ترجمت الى اللغات الأوربية، مثل بعض اعمال توفيق الحكيم وطه حسين وبعض كتب العقاد، ثم ان يفوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل، معناه ان هذا الأدب الذى كتبه نجيب محفوظ عن القاهرة وعن شعب القاهرة وهو في نفس الوقت يتكلم عن الشعب المصرى قد لقى عظيم الاحترام من هيئات دولية كبرى وهى مؤسسة نوبل للآداب أو نوبل العالمية للنابغين من ابناء البشرية.

وهذا يعنى ان من أدبائنا من استطاع ويستطيع اختراق جدار العالمية هذا.

استاذي الكريم:

الثورة التقنية التى حدثت في العالم، قلبت جميع المقاييس.. وهى من اهم التحديات التى تواجهها أمتنا.. مما يستوجب الاسراع الى اقصى درجة للحاق بما يحدث في العالم، امتلاكا للتقنية، ومقدرة على استخدامها والافادة منها.

كيف يرى استاذنا انيس منصور هذا؟!.

ولدت والكتاب في يدي

لم يخطر على بالي قط ان اصبح كاتبا ولي اسلوبي المختلف

** العبرة ليست بما نشتريه، أو نقدر على شرائه أو ما نمتلكه من أدوات ومعطيات التقنية الحديثة، ولكن الفائدة المرجوه تكمن في تطبيق هذه الوسائل الحديثة في العلاقات بين الناس ، والافادة منها لصالح الفرد والمجتمع.

استاذي:

العولمة.. نسمع كثيرا عن ذلك.. ما مدى تأثيرها وتأثرنا بها؟!!

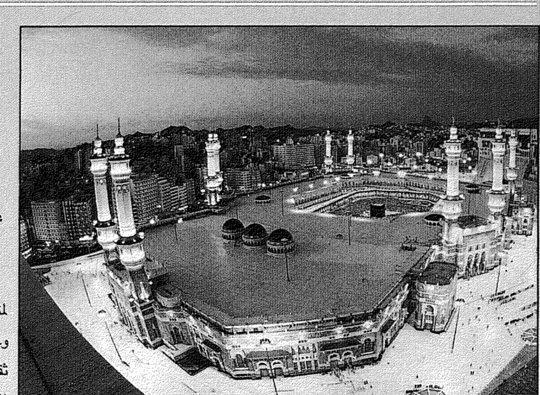
** إن كل الاصوات والاذاعات الموجودة في الدنيا كلها هنا في هذا المكان، وأنت جالس معي الآن، هي في متناول ايدينا من تلفزيون وفضائيات، فالعالم كله اصبح قريبا، فنحن نرى رائد الفضاء وهو يمشى على القمر ويتناثر التراب من حذائه.. البشرية دفعت الوف الملايين من اجل التراب الذى في حذاء رجل الفضاء لاننا لم نكن نعلم ان القمر عليه تراب.. عرفنا الآن ان عليه تراباً، ولكى تصل لهذه الحقيقة دفعت البشرية عشرات السنين من جهود العلماء والوف الملايين من الدولارات.. وتقدر وانت جالس في بيتك ان ترى «العرق» قطرات العرق على جبهة رائد الفضاء.. وبهذا اصبح العالم قرية صغيرة، فعن طريق التكنولوجيا اصبح كل شيء سهلا ميسرا انت عن طريق الكمبيوتر والانترنت تقدر التعرف على أى شيء في اي مكان، لقد أصبحت الكرة الارضية كأنها اسرة، كل هذا نتيجة التكنولوجيا.. ما الذى يعود على الانسان من هذا كله؟.. اصبح العالم الحديث في خدمتك.. انت الآن تسجل من (ركوردر) يابانى أو المانى أو انجليزى.. فالتكنولوجيا الحديثة كلها في خدمة الانسان.. أو بعبارة أخرى ان كل التكنولوجيا ليست الا اطرافا صناعية «بمعنى، انا بعينى المجردة أرى من هنا الى آخر الشارع ولكن بالنظارة أرى الشارع الذى بعده اما بالتلسكوب فإنى أرى القمر.. واذا كان التلسكوب موجوداً في سفينة تدور حول الكرة الارضية فاني أرى الكواكب التى تبعد عنى الوف ملايين السنين الضوئية.. المعنى اذاً ان العلم الحديث ركب ليّ اطرافا صناعية لعينى، أصبحت أرى بها.. بدل أن امشى على رجلى اركب السيارة.. بدل السيارة اركب الطائرة، بدل ان اركب الطائرة اركب سفينة فضاء.. فالسيارات والسفن ليست الا اطرافا صناعية بديلة عن قدمى .. أصبح التليفون عضواً بدل الفم أو الحنجرة وهكذا..

فالتكنولوجيا هى صناعة الاطراف الصناعية

> **السعيد من كان محترفا وفي تكوينه أنه أحد الهواه**

المهرجانات الثقافية.. تولد الصداقات وتعمل على تلاقح العقول حول قضايا تهمنا

وقارىء؟ مصطلح أصبح يتردد كثيرا هذه الأيام.. واسمح لي بوضع السؤال بنفس قوة تردده هذه.. فهل عندنا أزمة كتاب أم أزمة مثقف؟!.



** انا تعرضت لمثل هذا الموضوع.. وعندما تحدثت عن ثقافة الازمة وأزمة الثقافة، اذا قلت بأزمة الثقافة فهذا يعنى أنه يوجد ثقافة لكنها أقل مما يجب. الكتب قليلة والكتّاب قليلون. تنوع قليل - وذلك يعنى ان المثقف عنده ازمة لا يجد وسيلة لحلها.. هذه أزمة الثقافة.. اى نقص المعلومات الادبية والفكرية والفنية ونقص وسائل نشر هذه المعلومات، لكن ثقافة الازمة.. تعنى .. عندما نكون في أزمة يكون هناك أدب يعبر عن هذه الازمة.. مثلا المشكلة الفلسطينية لابد ان يتجه الشعر والمسرح للتعبير عنها، مشكلة احتلال الارض، كل هذه المشاكل اذا عبر عنها الأديب أو الفنان يوصف ادبه وفنه بثقافة الازمة وليست ازمة الثقافة.

التكنولوجيا ليست الا اطرافا صناعية توسع مجال الرؤية والسمع والحركة للانسان

العولمة.. ان تصبح الكرة الارضية كأنها اسرة

التى توسع مجال الرؤية والسماع والحركة للانسان فكلها في خدمة الانسان.. العلم الحديث يمكن أن يكون خادماً مطيعاً لصالح الانسان ويمكن ان يكون سيدا شريرا ايضا. لان السكين التى اقطع بها الطماطم مثلا اقدر أقتل بها.. فهو نفس السلاح.. العبرة في انك كيف تستطيع استخدام هذا السلاح.. فكل هذه الاطراف الصناعية في خدمتى اذا حسنت وصدقت النوايا.

اديبنا الكبير أنيس منصور:

ازمة كتاب أم أزمة مثقف

أديبنا القدير:

هل هناك أدب عربي عام وادب إسلامي؟.

** أدب اسلامي، يعنى أن قضيته الاولى هى الاسلام، نشره أو توضيحه، قرآنا وسنة.. وتاريخا (ادب اسلامي) في خدمة الاسلام أو للتعبير عن المقاصد النبيلة للديانة الاسلامية.

اما الادب العربي فهو كل ما يكتبه العرب، يستوى في ذلك ان يكون عن الاسلام أو غيره.. أو موقف المستشرقين عن الاسلام في الأطر الادبية المعروفة سواء المقالة أو القصة والمسرحية والرواية والقصيدة والملحمة.. وهى الأطر المعروفة للأدب وكل هذا يسمى الادب العربي، الحديث أو القديم.

المفكر الكبير الاستاذ انيس منصور:

خيبة أمل كبيرة اصابت المثقفين العرب في القنوات الفضائية العربية، البعض يسميها اعلام هاتف! والبعض يطلق عليها ثقافة المقاولات!.

الفضائيات الآن، أصبحت من أخطر أدوات تشكيل العقل الجمعي ـ ايجابا أو سلبا ـ ونحن الآن على اعتاب القرن (٢١) لا نرى بوادر استراتيجية اعلامية هادفة توجه هذه الفضائيات.. والمنهل إذ تطرح هذه القضية، فإنها تمثل واحدة من هواجسها الفكرية والثقافية والاجتماعية.. وعليه، يسعدنا ان نجد رؤيتكم في:

اولا: التقييم الصحيح للشوط الذى قطعته الفضائيات العربية حتى الآن؟.

ثانيا: ما هي الاهداف التي سعت هذه القنوات لتحقيقها؟.

** حسب رؤيتي، ان النتيجة ممتازة جدا.. ويدخل في الاعتبار ان كل قناة تحاول ان تلفت إليها العيون والآذان.. وانا لا أخاف من انفتاح القنوات الفضائية وليس من الإنصاف ان تصف القنوات الفضائية بانها تافهة. وقد رأيت في بعض البرامج في القنوات الفضائية برامج جادة وهادفة.. وادخلت الى جانب هذا أشياء تافهة.. لكن في نفس الوقت ليس كل المشاهدين أو القراء حريصين على القضايا أو النواحى الادبية، فهناك من يريد ان يتسلى مع الاغانى مع الرقص فالتنوع باهتمامات المشاهدين أمر لازم، يجب ان تتنوع موضوعات القنوات وفي نفس الوقت كلما نجحت القناه واصبح لها جمهور اكبر اقبل

افلحنا في ان نلتقي في الفضاء ولم نفلح في الالتقاء على الارض

وصلنا للعالمية بقدر محدود هاجمه الكثير.. ومدحته الغالبية.. خاض معارك عديدة، وكان دائما صاحب القلم والكلمة التى لا يعرف اليأس الى عقله وقلبه طريقا

الصعوبة ليست في أن تكتب أدب الرحلات ولكن الصعوبة ان تجعل الكتابة عن الرحلات ادبا

ما حققه خادم الحرمين الشريفين للحرمين الشريفين يعجز المرء عن وصفه فهو بكل المقاييس.. إعجاز حضاري فريد لا مثيل له

عليها المعلنون، لان المعلن لا يعلن في قناه لا يسمعها ولا يقبل عليها المشاهد، ولا يعلن في مجلة ليست لها قراء.. فهي حريصة على ان تنجح ونجاحها الادبى يؤدى الى نجاحها المادى ويؤدى الى تطويرها.. وصحيح ان هناك بعض التجاوزات.. ولا يوجد إنسان بلا خطيئة سواء الصحف أو المجلات أو التليفزيون لكن المضمون العام انها كلها تتسابق لامتاع وتنوير المشاهد.

ثالثا: استاذي:

هل تحتاج الفضائيات العربية الى اعادة هيكلة تؤمن قدرا من التكاملية والتنسيق لخدمة اهداف اعلامية جادة.. لمصلحة القضايا والثقافة العربية، وكيف يمكن تحقيق ذلك ان كان ضروريا؟.

** أنا ضد توحيد القنوات الفضائية.. وضد توحيد الثقافة العربية.. لابد ان يكون هناك تنوع.. لابد ان يكون هناك استقلال.. وان تكون هناك حرية.. لا أقدر ان اقول ان كل العرب قصَّر.. أو يجب ان تكون هناك دولة تقوم بدور الوصاية عليهم.. ارفض الوصاية.. وأرفض ان يفرض علينا اي شكل من اشكال الوصاية.. اتركني وانا حر ومعى ضميرى ووطنيتى وانا وقوميتى.. وارجو ان لا نفكر في توحيد القنوات العربية.. وإنما كل قناة تستقل بشخصيتها.. أنا وانت مثلا من بلد واحد لكن مختلفين ،انت عربى وانا عربى وانت مسلم وانا مسلم ولكن مختلفين. والاختلاف في صالح الشعوب.. أما ان نكون قالبا واحدا أو زيا موحدا فكريا وادبيا فهذا عودة وانتكاسة الى النظام الشيوعى أو الماركسية البغيضة التى تخلصت منها حتى الشعوب الشيوعية.

سيدى وأخيرا يبقى السؤال:

هل الفضائيات العربية نعمة ام نقمة وما هو مستقبلها؟

** لا تستطيع وصف الفضائيات بهذا التحديد (نعمة ام نقمة) لانه يوجد اشياء كثيرة جدا يمكن أن تكون (نعمة ونقمة) في آن واحد مثلا اذا شرب احد الناس اكثر من عشرين كأسا من المياه مرة واحدة فانه قد يموت، هذا على الرغم من أن المياه سر الحياة، فالعبرة أن (كل ما هو نعمة يمكن ان يكون

نقمة) إذا لم يحسن استعماله، لكن البراعة هى ان تحقق قدرا اكبر مما هو انفع وما هو ارفع.

استاذي:

الامتداد والانتشار الكتابي هل هو تصعيد للوعى الاجتماعي؟.. ام احتراف مهني؟..

** لا عيب في ان يحترف الكاتب، مادامت هذه صنعته التى يجيدها وعندنا من الادباء من لم يعملوا بغير الكتابة، منهم الأستاذ/ العقاد ولا يوجد عنده اي شيء الا الكتابة فهو كاتب محترف ولا عيب في هذا، فهو متفرغ للكتابة في الفن والفكر والادب، والكاتب يجب ان يحترف، ورغم احترافه يجب ان يشعر بمتعة الكتابة كما لو كان هاويا، فالسعيد من كان محترفا وفي تكوينه أنه أحد الهواة.

إني أرى ان الكتابة احتراف.. فكل كاتب حريص على النجاح.. فكُرَةُ القَدَم مثلا كل اللاعبين يلهثون وراء الاحتراف لكي يكسبوا اكثر.. وما يحققه من موارد يدفعه الى النجاح أكثر فأكثر، وطالما انه يعيش من قدمه لابد ان يحسن الاداء، واعتقد ان الاحتراف لا ضرر منه.. وكل الذين اتجهوا للفن هواية لم يحققوا ما حققه المحترفون.

استاذي الكريم:

خلال هذا المشوار الثقافي والفكري الطويل المؤثر والفعال للاستاذ انيس منصور والذي بلغ (١٧٠) كتابا. بمن تأثر؟.. وماذا انجز؟..

الحضارة: شباب .. رجولة.. كهولة ثم موت الحضارات ينظر إليها نظرة عضوية والبقاء للأقوى

** انا مثلى مثل اي كاتب لابد ان يتأثر بعدد كبير من المفكرين والفلاسفة والادباء في طريق طويل، بعضهم عربى وبعضهم اجنبي.. ولكن بمن تأثرت تحديدا فهذا ما لم اصل إليه.

ويمكن ان اقول عن نفسى أننى ولدت والكتاب في يدي، سواء قرأته أم لم اقرأه، لكن اعتدت على ان أجده، وقد وجدت في بيتنا كتبا كثيرة ومتنوعة «فقهية، صوفية، فلسفية ، أدبية ، تاريخية .. وغيرها» ووجدت كتبا بلغات لا اعرفها ولكن قلبت الصفحات والصور.. المهم انى اعتدت على ان اجد الكتاب في يدى ولم يخطر على بالى اننى في نهاية هذا كله اصبح مؤلفا وله كتب عديدة.. ولابد ان كثيرين ساهموا في تنشئتى وتكوينى، مثلما ان هناك اطعمة كثيرة ساهمت في تكوينى من خضروات وفواكه ومعادن واملاح، كلها ساهمت في التكوين ولكن ايها كان اكثر اثرا فيَّ، لا اعرف.. كلها تعاونت معا على خلق كاتب له اسلوب مختلف.

يقول ادبينا الكبير/ نجيب محفوظ (الادب الحداثى مُشَوَّش وغير واضح.. وأن على النقاد أن يشرحوا الناس كيف يتعاملون مع القصيدة الحديثة).

ويقول الشاعر الكبير الجواهري: إن شعراء الحداثة اختاروا السهل!

ما رأى أستاذنا أنيس منصور؟.

** انا متفق مع الاثنين.. لان فيه استسهالا، ولا يتوفر لهذا العمل الحداثي مجهود كبير يبذل في الدراسة، ولا وقت طويل يبذل في التأليف. وانا من انصار ان الكاتب عليه ان يأخذ وقته.. والعمل الابداعي لا مبرر للاستعجال فيه ابدا.

وكان ادباء الاغريق والشاعر اللاتيني بالذات (فيرجيل) كان له نظريته في الكتابة اذ يقول «اكتب القصيدة واتركها في مكان ثلاثة أو اربعة شهور وعد اليها وغير وبدل، لكن اهم شيء ان تختصر».. والمعنى ان تؤلف على مهل، وتأخذ وقتاً في التأمل ثانية، ومرة في المراجعة وبعد ذلك في النشر.. لكن الملاحظ الآن ان الكل مستعجل على النشر، مستعجل على الظهور ولذلك معظم الاعمال الادبية للشبان اعمال مبتسرة لانها ولدت قبل موعدها.

وهذا يفسر لماذا بعضها ضئيل وبعضها صغير وبعضها غامض وبعضها مشوش.

مفكرنا الكبير:

في ظل المتغيرات الدولية والإقليمية.. كيف يرى أستاذنا مستقبل المثقف العربي؟. وعلاقته بالسلطة؟.

** علاقة المثقف بالسلطة علاقة ازلية والخلاف ازلي.. مثقف يريد ان ينطلق، وان يقفز فوق الحدود والسدود ولكن مهمة السلطة انها ترعى الحدود بين الناس، وتمسك من يخرج عليها أو من يتجاوزها.. فهذه العلاقة ازلية لكن في نفس الوقت هناك خلاف مستمر بين صاحب السلطة وصاحب القلم. في الازمنة السابقة كان صاحب السلطة فيلسوفا.. وكل رئيس أو ملك يريد ان يكون في نفس الوقت فيلسوفا.. ولقد اخبرنا افلاطون عن الفيلسوف الملك أى الذى تتجمع في يديه الحكمة والسلطة، وكل صاحب حكمة يريد أن يكون ملكا من أجل أن يحقق ويطبق الأفكار التى في رأسه، ولم تجتمع فلسفة وسلطة الا في فترات قليلة.. لا بأن يكون الملك هو نفسه الفيلسوف ولكن بأن يكون الملك أو الحاكم الى جوار الفيلسوف.. فمثلا الاسكندر الاكبر كان الى جواره أرسطو لكن في فترات قليلة، ووجدنا مثلا موسيليني كان الى جواره الشاعر دمونس، وديجول كان الى جواره الاديب بلروه، هتلر كان الى جواره روزن برج وهكذا.. ففى مصر مثلا في اول قيام الثورة عرضوا رئاسة الجمهورية على لطفى السيد وهو فيلسوف وأحد اساتذة الفلسفة ايمانا منهم بأن من الممكن ان يكون الرجل حكيما فيلسوفا وحاكما عادلا ايضا.. ولما قامت اسرائيل عرضوا على انيشتاين ان يكون اول رئيس للدولة وفي ظنهم ان العالم الكبير يمكن ان يكون حاكما ناجحا.. وهكذا ولكن ليس بالضرورة ان يكون صاحب النظرية أو صاحب الرأى افضل من يطبقها والدليل على ذلك افلاطون له كتاب الجمهورية وفي كتاب الجمهورية يرى ان الفيلسوف الملك أو ان الملك يجب ان يكون فيلسوفا.. كلما طلبوا اليه ان يطبق فلسفته هذه على إحدى الجزر لم يفلح.. اذا ليس بالضرورة ان يكون صاحب الرأي هو صاحب القدرة على تطبيقه.. ولكن هناك حلم مستمر ان يكون الملك فيلسوفا وان يكون الفيلسوف ملكا وبالصدفة لم يجتمع هذا الا في عملة ذهبية كان يحملها الاديب الفرنسي «جوفتاه» كان يضع على العملة صورة الاسكندر الاكبر من ناحية ومن الناحية الاخرى

يضع صورة ارسطو.. وهما لمْ يلتقيا الا في هذا العمل.

اديبنا الكبير:

نسمع كثيرا عن نظرية صراع الحضارات.. نرجو ان نجد رأيكم..؟.

** الكلام عن صراع الحضارات وسيطرة حضارة على بقية الحضارات كلام قديم لكن تجدد هذا الكلام أخيرا حينما ظهر كتاب في امريكا عن صراع الحضارات وقيل في هذا الكتاب ان حضارة من الحضارات سوف تبتلع الحضارات الاخرى.. نحن عندما نرجع للفيلسوف الالمانى (شبنجلر) في كتاب له اسمه «انحلال الغرب» كان من رأيه ان الحضارة الصينية هى التى ستسود العالم، والمستقبل للرجل الاصفر على اساس ان الحضارات الاوربية استهلكت وتعبت ونفقت.. ولابد ان حضارة شابة تنهض وتستوعب كل الحضارات الاخرى.. والصراع قديم بين الحضارات الاسيوية والحضارات الاوربية وبين الافريقية وبين الاوربية وهكذا.. وغاية هذا ان الحضارة أو مجموعة الأفكار أو المشروع الفكرى أو النسق الناجح الذى يملك مبررات النجاح سوف يستقطب بقية الحضارات تماما كما سيطرت الحضارة الامريكية أو الحياة الامريكية على كل الفكر في الدنيا فانتقل البنطلون الجينز والهمبورجر في كل مكان وهذا اسلوب من الزى والاكل والشرب امريكى.. الآن الحضارات الاوربية تحاول ان تسترد قوتها وقدرتها لان عمر الحضارة الامريكية ٢٠٠ سنة لكن الحضارات الاوربية والعربية والفرعونية والبابلية والهندية والاشورية حضارات عريقة.. اما فكرة ان تسيطر حضارة على حضارة أو تأكلها أو تبتلعها فهذا يتوقف على ما اذا كانت حضارة من الحضارات قد اعطت كل ما لديها ووصلت الى مرحلة الشيخوخة وهذا في حد ذاته ايذان بحضارة جديدة.

الفيلسوف الالماني «شبنجلر» تحدث عن الحضارات بان لها ربيعا وخريفا وشتاء وصيفا مثل تطورات «الوليد» طفولة وشباب ورجولة وكهولة ثم يموت، فالحضارات ينظر اليها نظرة عضوية والبقاء للأقوى.

المفكر الكبير:

هناك مقولة تدَّعي.. أن جزءاً من البلاء الذى يتعرض له العالم الاسلامى اليوم مرده الى سلوكيات بعض المسلمين انفسهم مما يؤلب القلوب ضدهم.. ويحرك نزعة المؤامرة عليهم.. ما رأيكم؟.

** هذا يمكن ان يوضع تحت التفسير الدينى للتاريخ.. أى أن كل شيء يحصل لاسباب دينية، الخير أو الشر، وأن الشرور التى تعم البشرية ادت الى كذا وكذا وهذا أحد التفسيرات لكن هناك التفسير السياسى والتاريخى والتفسير الاقتصادى والتفسير النفسي والتفسير الجدلي.

وبعدُ.. وفي نهاية حديثنا الشيق والمبدع.. الذى أضاء لنا بعض الجوانب الثقافية في حياة مفكرنا الكبير انيس منصور.

لا يسعنا الا تقديم جزيل الشكر والعرفان له على سعة صدره وحسن استقباله وحفاوته وعطفه الذى شملنا.

محمود محمد شاكر

محمود محمد شاكر، خليفة مصطفى صادق الرافعي في اتجاهه الفكري، ومنحاه الأسلوبي، على فوارق دقيقة بين التلميذ والأستاذ، إذ ما خلا مكان الرافعي رحمه الله على غير انتظار حتى تنفس خصومه تنفس الراحة المطمئنة لاحتجاب قلم جبار ينسف الصخر بشباة سنّه، ولكنّ الانتظار لم يطل إذ برز محمود شاكر فارساً يحمل الراية عن كفاءة، ويتقدم الى الميدان في بسالة وقد هابه خصومه هيبة راعبة، لأن نظره البعيد كان يتغلغل إلى الخوافى المستترة في الحوالك، فيكشف عنها النقاب في جلجلة صاخبة لا في هدوء وادع، وكم غصّت به حلوق.

على أن محمود شاكر لم يصطف في يفاعته أستاذاً من المشاهير، غير الرافعي، فقد أحسَّ بما يربطهما من وشائج الإخلاص المحتوم للعروبةوالإسلام فمدَّ حبال الود إليه، وتراسل الأستاذ والتلميذ في مسائل شتى أشار إلى بعضها الأستاذ محمد سعيد العريان في كتابه عن الرافعي، وحين أظهر محمود الطبعة الأولى من كتابه عن المتنبي، كان الرافعي أول من تحدث عنه مكبرا، وقد ذكر شاكر أن ثناء الرافعي قد شدّ من أزره، وسدّد من خطاه.

(أول لقاء):

وكنت حريصا على متابعة ما يكتب الأستاذ محمود شاكر في مجلة الرسالة، وقد حدث أنى كتبت مقالا تحت عنوان (انجلترا في مرآة حافظ) بالرسالة، وكتب الأستاذ محمود شاكر مقالا بمجلة الكتاب عن حافظ وشوقى نظر فيه الى الشاعرين نظرة غاضبة ساخطة، فكتب كاتب بالرسالة ـ يقول إن ما كتبه شاكر بالكتاب يناقض ما كتبه رجب البيومى، كتب ذلك بالرسالة (٢٧/١٠/١٩٤٧م) ثم طلب منى ومن الأستاذ شاكر أن نكرر القول ثانية ليردّ كل منا وجهة نظر صاحبه، وقد دفعنى تحمس شديد الى الرد، وكتبت مقالا ساخن اللهجة، حارّ العبارة، ودفعته للرسالة، وقد قرأه الأستاذ الزيات، وابتسم، ثم قال لي: دع هذا الموضوع يا رجب: أفأنت لا تدرى تهجم شاكر وصياله، دعه واسترح، ولم يكن لى أن أعقب على اقتراح صاحب الرسالة.

وبعد قرابة شهر، كنت بإدارة مجلة الرسالة، فرأيت الأستاذ شاكر يجلس في حجرة الزيات وهو غائب، فسارعت إلى التسليم عليه، وأخذ يتكلم مع جار له عن الحركة الإسلامية في العالم العربى فأفزعنى كل الفزع أن يسلق في حديثه زعماء ممتازين مثل محمد عبده والأفغانى بلسان حاد، وأن يراهم بمنظار أسود لا يظهر ضوءا ما من محاسنهم، وأخذت أستمع دون أن أعترض، ولكن الانفعال هاج بي أخيرا فقلت إن ما يعرفه الناس غير ما تقول، فصاح بحدّة: ومن الناس؟ الشباب مضلّل !

فآثرت السكوت.

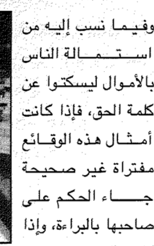
بقلم : أ. د. محمد رجب البيومي
عضو مجمع البحوث الإسلامية ـ الأزهر ـ

(معركة ساخنة):

مـضت ثلاث سنوات، وقـرأت في مـجلة «المسلمون» هجـومـاً حـادا على كـتـاب «العـدالة الاجتماعية في الاسلام» للأستاذ سيد قطب بقلم الأستاذ محمود شاكر، ووجدت روح الإنصاف في رأيي بعيدة كل البعد فيما كتب الأستاذ شاكر، فرأيت أن أجمع قواى وأردّ عليه، وتذكرت ما قاله الأستاذ الزيات من قبل فترددت أولا، ثم قلت لابدّ من المواجهة، وأخذتُ على نفسى أن أجامل الأستاذ شاكر قدر ما أستطيع ليكون النقد خفيف الوقع لديه، فبدأت المقال بقولى بالعدد (٩٧٣) من الرسالة، الصادرة في ١٩٥٢/٢/٢٥م)

«للأستاذ محمود محمد شاكر منزلة كبيرة لديّ، فأنا أعهده كاتبا قوي الأسلوب، رصين العبارة وأعرفه أبيا مخلصا يتدفق غيرة على الإسلام، وتعصبا لأفذاذه الأبطال، لذلك أقبل على قراءة ما يدبجه يراعه المؤمن في شوق واهتمام، وقد طالعت أخيرا ما كتبه بمجلة المسلمون (العدد الثالث ص ٣٨ جمادى الأولى سنة ١٣٧١هـ) تحت عنوان «لا تسبوا أصحابى» فوجدت المجال واسعاً للخلاف بينى وبينه، ولم أشأ أن أطوي ما دار بخلدى عن القراء، فرأيت أن أناقش الكاتب الكبير فيما سطّره، راجيا أن يحقق الله الحق بكلمته، فالحق وحده هدف الكرام الكاتبين، وفي طليعتهم الأستاذ الجليل .

ثم مضيت أعلن جوهر الخلاف فأحدّد منزلة الصحابي، وأخالف اتجاه الأستاذ فيما ذهب إليه من عدم النقد لمعاوية، فذكرت أن الصحابة رضوان الله عليهم قد نقد بعضهم بعضا، أفيكونون قد خالفوا الحديث النبوي! ثم اننا يجب أن نتجه إلى الحادث المنقود لا إلى صاحب الحدث، فنحقق فيما نسب الى معاوية من العدول عن الشورى في اختيار يزيد، وفيما نسب إليه من استمالة الناس بالأموال ليسكتوا عن كلمة الحق، فإذا كانت أمثال هذه الوقائع مفتراة غير صحيحة جاء الحكم على صاحبها بالبراءة، وإذا كانت ثابتة مؤكدة كان كلام صاحب العدالة الاجتماعية حقا لا مرية فيه. على هذا النحو من الحديث دار المقال في ستة أعمدة حافلة بالأدلة الكاشفة، في أسلوب عف نُقدِّر وقوع الخطأ من صاحبه، ويلتمس الصواب».



محمود شاكر

ولم يكد المقال يطالع القراء حتى جاء العدد التالى من الرسالة[١] حافلا برد عاصف جعل الأستاذ عنوانه (ذو العقل يشقى) والعنوان وحده يعطى القارىء مبدئيا ما يُنْبىء عن اتجاه شاكر نحو هذا الذى فقد العقل فأشقى العقلاء! وقد استغرق رد الأستاذ عشرة أعمدة ختمها الأستاذ شاكر بقوله (ونصيحتى للأستاذ أن يضع عن يده عبء القلم فانه ثقيل، ولولا الحياء من أن أترك كلامه ومنطقه بلا مجيب لخففت عنه ثقل الكتابة، وثقل الفكر، وثقل القلم جميعا (وأنا لا أدرى ما الفرق بين ثقل الكتابة، وثقل القلم) بالصمت عما جاء به وتدهوره في أمور قلَّت معرفته بها ويعجز فكره عن معاناتها».

وفي عنوان الرد وختامه مالا يحتاج القارىء معهما إلى مزيد من القول، ولم أطق صبرا على هذا الهجاء القاذف دون جريرة، فكتبت ردا تحت عنوان (أجل ذو العقل يشقى)[٢] قلت فيه «لقد حاولت أن أجد لدى الأستاذ في ردّه الطويل العريض شيئا

يقنع المنصفين فما وجدت غير التنقص والسباب، وقد دعوته في مقالى السابق الى هجر الوعظ والإرشاد في الجدل فصاح يقول من العسير أن أكتب في هذا الموضــوع دون أن أتوشح بذيول الوعظ والإرشــاد، واندفع مع ذيوله الضافية إلى أبعد مدى وأقصاه، وهكذا ضاعت الحقائق التاريخية لدى كاتب يُرهَى بنفسه فيقول انه يعرف حق الكلام ويلتزم مقاطعه ومطالعه وحدوده وأن للعقل شرفا لا يرضى معه بالتدهور في مواطيء الغفلة.

وبعد أن نقضت كل ما قال ختمت مقالى بقولى (وقد نصحنى الأستاذ أن أضع من يدى عبء القلم، فإنه ثقيل ثقيل، وذكر أن الحياء يمنعه أن يترك كلامى بلا مجيب! وأنا أعجب للحياء الذى يمنع صاحبه من الصمت المريح ثم يدفعه الى السب الجارح والطعن المقذع في كاتب كبير مثل سيد قطب فضلا عما وجهه اليّ من قذائف ظالمة، ثم ما الفرق بينى وبينه حتى يطلب اليّ أن أكف عن الكتابة وما هى مؤلفاته التى تبيح له أن يتقدم اليّ بمثل هذا الأمر؟ لأحفظ له حقه في الارشاد والتوجيه».

وقد كان الاستاذ شاكر لهذا الوقت لم يصدر غير كتاب واحد عن المتنبي! فكان سؤالي إياه عن مؤلفاته؟ سؤالا موضوعيا لا إجابة عنه إلا بالسكوت!.

(تراجع)

لم أكن أظن الأستاذ الكبير سيرفع الراية سريعا، إذ فوجئت بمقال في العدد التالى تحت عنوان (أعتذر إليك)[٣] يقول فيه بعد مقدمة هادفة:

«كنت أوشك ألا أحمل القلم مرة أخرى للرد على الكاتب في مقاله «أجل ذو العقل يشقى» ولكنى وجدت السبيل قد تيسر لي أن أعتذر عن سيئة اكتسبتها في الإساءة إلى رجل بظهر الغيب لنفس الداء الذى نهيتُ الأستاذ عنه وهو العجلة، وأنا لمْ أقصد نهيته إلا لما فيه الخير لي وله إن شاء الله، وقد تبين لي بعد قراءة كلمته أنى أخطأت أيضا في الذي كتبت به إليه، فوقعت بما كتبت في نفسى ما نهيته عنه، وما كان أغنانى عن هذه الخصلة السيئة التى تجلب عليّ غضب أستاذ فاضل، لم أسمع به ولم أعرفه، ولا أظنه يعرفنى، والأستاذ الفاضل بلا ريب هو عندى أكبر مما ظن في نفسه، وإذا كان هو قادرا على أن يضنّ بكرامته (كما قلت في ردي) فالواجب عليّ أنا من قبله أن أضنّ بكرامته، وإذا كانت كرامته تأبى أن تنزل منزلة يُوجّه إليه من أجلها شيء يقدح فيها، فأنا أيضا أنزهه عما ظن في كلامى من الشتائم والتنقص والسباب (لم يكن ذلك ظنا بل يقينا) وإذا كنت عنده لست مؤرخا، ولم أخط كتابا في التاريخ، وأنى أدخلت نفسي في قوم لست منهم، فأظن أن واجبه على الأقل أن يلغى كلّ ما أقوله بالمرة فإن من الشقاء له أن يتعقب كلام كاتب هذا شأنه.

وختم مقاله بقوله (تقبل إن تفضلت عذرى وشكرى واحترامي وتقديري، وعجزى عن مخالفتك وحبى لرضاك، وقد بلغت منى في مقالك ما شئت، وناصيتى بيدك وفي المثل «ملكت فأسجح» فافعل مؤيدا منصورا والسلام).

ظهر هذا التراجع فلم أغفل عما يحمل من تهكم مستتر، ولكنى وجدت الأستاذ قد قطع عليّ سبيل القول، فلا أعود الى أمر أعلن اعتذاره عن الخوض فيه، وقد قال أستاذى الشيخ أحمد شفيع السيد الأستاذ بكلية اللغة العربية في خطاب أرسله إليّ حيث أقيم، إنّ الرجل قد اعتذر علنا فعليك أن تنتهي الجدل.

(تعقيب آخر)

أدلى الأستاذ الكبير على الطنطاوي بدلوه في الدلاء، فذكر في مقال تال[٤] أن الحق ليس في جانب الأستاذ شاكر ولكنه في جانب الأستاذ سيد قطب، فكان ذلك داعيا الى الأستاذ شاكر أن يترك ما فهمته من التهكم المستتر إلى الصراحة الصريحة، فكتب كلمة بدأها بقول أبي تمام[٥]:

أبا جعفر إن الجهالة أمها

ولود وأم العلم جذاء حائل

ثم قال: وأنت تعلم أنّ من أنصب النصب، أن تتصدّى لإفهام من لا يفهم عنك، فإذا بلغ الأمر أن تراه يتصعب لجدالك فاذكر قول من قال «إذا أردت أن تفحم عالما فأحضره جاهلا، وقد لقيت أنا من شر ذلك ما لقيت، فآثرت أن أسلك سبيلى لا يشغلنى عنه متعلق بأذيالي، إرادة أن يصرفني عن الوجه الذى أردت».

(كتاب خاص)

قرأت ما وجهه الأستاذ شاكر بشأنى إلى الأستاذ الطنطاوى، وكان المنطق يقضى أن أرد عليه بالرسالة لأسأله عن تذبذبه بين التوبة عن السباب والرمي بالجهل ثم العودة إليه ولكن الأستاذ سيد قطب كان قد وجه اليّ خطابا[٦] بالرسالة يشير عليّ ألا أعود إلى نقاش لا يهدف إلى تجلية الحقائق بل يكشف عن مرارة الموجدة وسوء الغرض، فقرّ رأيي على أن اكتفى بإرسال خطاب خاص إلى الأستاذ شاكر أقول فيه ما خلاصته.

سيدي الأديب العظيم:

لا تفترض أنّ الذى كتب إليك هذا الخطاب هو من رميته بالجهل والتصدى إلى العلماء ليفحمهم بجهله، ولكن افترض أن الذى كتب إليك قارىء على الشاطىء من قراء الرسالة يعجب لتناقضك لا في المسائل العلمية، فما أهون أن تتسع فيها أبواب الخلاف والتناقض أحيانا، ولكن في مسألة خلقية تتعلق بسلوكك النفسي حين أعلنت في مقالك الأول أنك تعتذر عن السباب والشتائم وأنك تستغفر الله من السرعة التي دفعتك إلى هذه النقيصة، وأنك بذلك أسأت إلى إنسان لم يسلف لك جريرة! وتعاود الاستغفار والتوبة، وما يمر أسبوعان حتى تنسى توبتك التى ارتفعت بها إلى فاطر السموات والأرض لتملأ صفحة من صفحات أدبك بالسبّ ودعوى الجهالة، والتكبر على من تظنه يتطاول الى مقامك العالى، وتلجأ كعادتك الى الاستشهاد بأمثال العرب وأبيات أبى تمام وكأنهما حرز يقيك،

لست أناقشك في العلم والتاريخ! ولكنى بينى وبينك أعرض عليك نمطا من سلوك متناقض لا يرتضيه من يملأ مقالاته بآيات الكتاب وأحاديث الرسول.

هذا آخر المطاف بينى وبين الرجل الكبير، على أنه ظل عظيما في عينى بموقفه من الدخلاء وأعداء العروبة وأذناب الاستشراق، فهو موقف بطولى خطير.

الهوامش:

(١) الرسالة ١٩٥٢/٣/٣م.
(٢) الرسالة ١٩٥٢/٣/١٠م.
(٣) الرسالة ١٩٥٢/٣/١٧م.
(٤) الرسالة ١٩٥٢/٣/٣١م.
(٥) الرسالة ١٩٥٢/٤/٧م.
(٦) الرسالة ١٩٥٢/٣/٢٤م.



الأسس التي قامت عليها الوحدة في المملكة العربية السعودية

تُعدّ فكرة الوحدة من الأفكار السياسية التي تحظى بتأييد كثير من أبناء الأمة العربية والإسلامية، وتطمح إلى تحقيقها الشعوب والمجتمعات الإنسانية؛ لتحقق بها قوتها وعزتها.

والوحدة في منظور الإسلام تبلغ مرتبة التعبد والتدين بها لله تعالى. فقد أمر - سبحانه - بالاجتماع ونهى عن التفرق؛ لأن في الاجتماع قوة وسعادة، وفي التفرق والشتات ضعف وشقاء.

قال الله تعالى: {واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا}[١]، ويقول الرسول {صلى الله عليه وسلم} «والتحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر، والجماعة رحمة والفرقة عذاب»[٢].

ومن نعم الله العظيمة على بلادنا العزيزة - المملكة العربية السعودية - مهبط الوحي ومهد الرسالة الإسلامية، وأرض الحرمين الشريفين، وقلب العروبة أن منّ الله عليها بوحدة وطنية حديثة، تحققت على ثراها الطاهر - بعون الله وتوفيقه - منذ قرن من الزمان على يد صقر الجزيرة، وجامع شملها الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود (١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م - ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م)[٣]، فانطلاقا من التوجيهات الإسلامية السامية الداعية إلى الوحدة والائتلاف والاعتصام بحبل الله المتين، وبدافع من إحساسه العميق - رحمه الله - بوجوب إعادة وحدة هذه البلاد التي رآها وقد تفرق شملها، وتمزقت صفوفها، وتزعزع أمنها وعم الانقسام والاضطراب والفوضى أجزاءها - بدافع من ذلك انطلق في الخامس من شوال سنة ١٣١٩هـ، مجاهداً في سبيل الله، ساعياً إلى توحيد أجزاء متفرقة من شبه الجزيرة العربية تحت راية التوحيد. وبعد جهاد استغرق ما يربو على ربع قرن تكلل بنصر الله، فأسس المملكة العربيةالسعودية، ووحد أجزاءها، وقاد سفينتها نحو الأمن والاستقرار والعلم والبناء.



خادم الحرمين الشريفين

وتوحيد المملكة في عهد الملك عبد العزيز يعد تتويجاً لمسيرة الجهاد التي قادها - رحمه الله - في سبيل تأسيس هذا الكيان الكبير.

فبعد فتح الرياض الذي يعده «أكثر المؤرخين بداية التاريخ الحقيقي للدولة»[٤] ومنطلق مسيرة البناء - اتجهت أعلام التوحيد شرقاً وغرباً وشمالا وجنوباً ترسي دعائم الوحدة وتبسط الأمن في ربوع البلاد، وعندما «تهيأت المناطق والأقاليم للتوحيد والاندماج صدر المرسوم الملكي رقم ٢٧١٦ في ١٣٥١/٥/١٧هـ بتوحيد أجزاء المملكة، وصارت مملكة واحدة باسم «المملكة العربية السعودية» وصار اللقب الرسمي لعبد العزيز هو «ملك المملكة العربية السعودية»، ونص في المادة (٢) منه على أن يسري مفعول هذا

بقلم: د. يحيى بن محمد العطيف
كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية - أبها



مؤسس المملكة الملك عبدالعزيز

التحويل ابتداء من تاريخ إعلانه، ونص في المادة (٨) على أن يوم ٢١ جمادى الأولى ١٣٥١هـ الموافق اليوم الأول من الميزان هو يوم اختيار هذا التوحيد وقد ترتب على هذا التعديل اتخاذ العديد من الإجراءات وكان من بينها: تعديل النظام الأساسي للبلاد في ضوء الوحدة الجديدة، وإحداث تشكيلات إدارية جديدة، تكون اكثر انطباقاً على الحالة الراهنة، واتساقاً مع الأوضاع التي تحتاجها البلاد. وكان أهم ما تضمنته التعليمات الأساسية البنود الآتية:

- المملكة مرتبط بعضها ببعض، ارتباطاً لا يقبل التجزئة ولا الانفصال بوجه من الوجوه.
- الدولة، دولة ملكية شورية، إسلامية، مستقلة في داخليتها وخارجيتها.
- إدارة المملكة بيد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل، وهو مقيد بأحكام الشرع.
- جميع أحكام المملكة، تكون منطبقة على كتاب الله، وسنة رسوله وما كان عليه الصحابة والسلف الصالح[٥].

فهذه التعليمات تجمل الأسس والقواعد التي أقام عليها الملك عبد العزيز دولته ووحد أجزاءها، فهي تقوم على الالتزام بمنهج الإسلام عقيدة وشريعة، فترتكز على عقيدة التوحيد، وتجعل من الشريعة الإسلامية اساساً وإطاراً لجميع احكامها ونظمها. ومما يؤكد هذه الحقيقة قوله - رحمه الله - مخاطبا أعضاء مجلس الشورى في جلسته الافتتاحية في السابع من ربيع الأول سنة ١٣٤٩هـ، راسماً لهم المنهج الصحيح الذي يسيرون عليه: «وإنكم تعلمون أن أساس أحكامنا ونظمنا هو الشرع الإسلامي وأنتم في تلك الدائرة أحرار في سنّ كل نظام وإقرار العمل الذي ترونه موافقاً لصالح البلاد على شرط ألا يكون مخالفاً للشريعة الإسلامية، لأن العمل الذي يخالف الشرع لن يكون مفيداً لأحد، والضرر كل الضرر هو السير على



غير الأساس الذي جاء به نبينا محمد {صلى الله عليه وسلم}[٦].

لقد أدرك الملك عبد العزيز أهم خصائص هذه البلاد المتمثلة في منزلتها الدينية باعتبارها مهد الإسلام وأرض الحرمين ومحط أنظار العالم الإسلامي، فعمل على إرساء تلك المكانة، فربط المنزلة السياسية للدولة بمنزلتها الدينية، فأقام الحكم فيها على شريعة الإسلام.

وبهذا استطاع الملك عبد العزيز - بعون الله وتوفيقه - أن يجدد وحدة هذه البلاد، ويعيد مجدها المبني على دعائم الإسلام ومبادئه منذ وحدتها الأولى في فجر الإسلام، ومنذ تأسيس الدولة السعودية الأولى سنة ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م إثر ذلك الاتفاق واللقاء التاريخي الذي تم بمقتضاه تأييد الإمام محمد بن سعود (١١٣٩ - ١١٧٩هـ/ ١٧٢٦ - ١٧٦٥م) دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ونصرتها والذب عنها ونشرها.

ولا غرابة أن يؤسس الملك عبد العزيز دولته ويوحدها تحت راية الإسلام وعلى أساس منه، فقد كان التدين وقوة الإيمان من أهم مميزات شخصيته «فقد كان منذ صباه ملتزماً بالتعاليم والآداب الشرعية، متمسكاً بكتاب الله، وسنة رسوله {صلى الله عليه وسلم} محكماً كتاب الله في أموره»[٧].

ويتحدث الملك فيصل - رحمه الله - عن قوة إيمانه، فيقول: «أول المزايا التي يتصف بها والدي قوة الإيمان، فما رأيته منذ نشأت قد ضعف إيمانه بالله أو تخلى عن ثقته بنصر الله»[٨].

وكان الملك عبد العزيز - رحمه الله - شديد الحرص على تطبيق الشريعة الإسلامية. يؤكد هذه الحقيقة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حيث يقول بعد أن أشار الى قوة إيمانه وصلته بالله تعالى: «ويشهد التاريخ أن تطبيق الشريعة الإسلامية كان مبدأ اساسياً في حياته - رحمه الله - وكانت كلمة شرع الله تهزه عندما يطلبها خصم من خصم أو يقولها شاك في شكواه أو يطرحها أي شخص للاحتكام في أمر من الأمور، وبذلك عرفت هذه البلاد تحكيم الشريعة الإسلامية الخالدة في الدقيق والجليل، وأصبحت مثالا صادقاً في استتباب الأمن والاستقرار، فأمن الإنسان على نفسه وماله وعرضه، وأصبح المواطنون وغيرهم سواسية أمام شرع الله وحكمه، فالقوي هو الضعيف حتى يؤخذ الحق منه والضعيف هو القوي حتى يؤخذ الحق له.. وبهذه النية الصادقة والالتزام المطلق بمنهاج الشريعة نظرية وتطبيقاً، توحدت المشاعر وسادت الطمأنينة وتحققت آمال هذه البلاد في كيان حقيقي صلب، قام على وحدة القلوب والمشاعر بكل ما تحمله هذه الكلمة من قيم ومعان»[٩].

فالملك فهد - يحفظه الله - يشير في هذا النص إلى عناية الملك عبد العزيز بتطبيق أحكام الشريعة ومبادئها السامية كالعدل والمساواة، وأثر ذلك في وحدة هذه البلاد سياسياً ووجدانياً، وفي أمنها واستقرارها وازدهارها.

وتتمثل الأسس الكبرى التي قامت عليها الدولة السعودية ووحدتها السياسية في ثمانية أصول هي: عقيدة التوحيد، وشريعة الإسلام، وحمل الدعوة الإسلامية ونشرها، وإيجاد بيئة عامة صحيحة صالحة تعين على الاستقامة والصلاح، وتحقيق الوحدة الإيمانية التي هي أساس الوحدة السياسية والاجتماعية والجغرافية، والأخذ بأسباب التقدم والنهضة الشاملة، وتحقيق الشورى، والدفاع عن الدين والمقدسات والوطن والمواطنين والدولة[١٠].

ولا ريب في أن تأسيس المملكة وقيامها على تلك الأسس والأصول قد حقق لها «كل مقومات الوحدة وركائزها التى ينشدها أبناء هذه البلاد من استقرار اجتماعي وفكري وسياسي وتحقيق العدل والنظام وتأمين السبل وتطبيق شريعة الله فكان لذلك أثره في استقرار الأوضاع في شبه الجزيرة العربية»[١١].

وإذا كانت وحدة الدين عاملا رئيساً في تأسيس المملكة وتوحيدها وصفة مشتركة تجمع بين أبناء هذه

البلاد، فإن هناك صفات مشتركة أخرى تجمع بين أجزاء هذا الوطن أسهمت في تعميق وترسيخ الوحدة الوطنية تتمثل في وحدة اللغة والأرض والتاريخ والعادات والتقاليد.

هذا ولم يقف الملك عبد العزيز - رحمه الله - عند تأسيس دولته وتوحيد أجزائها فحسب بل تجاوز ذلك إلى ميادين واسعة وآفاق رحبة من التنمية والبناء. فبعد أن أرسى دعائم الوحدة والأمن والاستقرار في ربوع البلاد اتجه لبناء الوطن وتنميته وتطويره في الميادين العلمية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية[١٢]، فوضع بذلك أسس نهضة حضارية شاملة تستهدف خير المواطن السعودي وسعادته. وخلفه أبناؤه الكرام المخلصون فساروا على نهج المؤسس القائد فشادوا فوق ذلك الأساس حضارة شامخة البنيان تواصلت جهودهم في وضع لبناتها في كافة الميادين حتى بلغت ذروتها في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز وهي نهضة حضارية متميزة تجمع بين الأصالة والمعاصرة بين المادة والروح في مزيج متفاعل متناغم، محققة التوازن بين التطور الحضاري وبين الالتزام بمنهج الإسلام وقيمه السامية، وتتمثل في المنجزات الوطنية والمكتسبات الحضارية ، ومظاهر الرقي العلمي والفني والاجتماعي .. التي تنعم بها بلادنا وتتفيأ ظلالها.

وبعد: فإذا كنا نحتفي اليوم بمرور مائة عام على تأسيس المملكة ، وإذا كان ما تشهده بلادنا اليوم من نهضة وتطور[١٣] يعد ثمرة مرحلة التأسيس والتوحيد ونتيجة التخطيط العلمي المتواصل، فما موقفنا اليوم من هذه المنجزات والمكتسبات الوطنية والحضارية؟.

أقول بإيجاز: إذا كان الرعيل الأول من الآباء والأجداد المعاصرين لحركة التأسيس والتوحيد قد التفوا حول المؤسس القائد، في سبيل تأسيس هذا الكيان الكبير وتوحيده ونهضته؛ فإن مسئولية الأبناء والأحفاد في اليوم وفي الغد مسئولية كبيرة، تتلخص في المحافظة على هذه المنجزات والمكتسبات وتنميتها وتطويرها والإضافة إليها، وهذا إنما يتأتى بالعلم وبالعمل الجاد المثمر، وأبناء هذا الوطن العزيز جديرون بحمل هذه الأمانة، وأداء هذه الرسالة:

وهل ينبت الخطيّ إلا وشيجه
وتغرس إلا في منابتها النخل

الهوامش:

(١) سورة آل عمران: ١٠٣.

(٢) المسند: أحمد بن حنبل، تركيا ١٩٨٨، المكتب الإسلامي، بيروت، جـ ٤ /٢٧٨.

(٣) انظر: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز: خير الدين الزركلي، جـ ١/ ٥٨، جـ ٤/ ١٤٣٧، والوجيز في سيرة الملك عبد العزيز: الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط (٢)، (١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م)، ص ٩، ١٠؛ والدعوة في عهد الملك عبد العزيز: د. محمد بن ناصر الشثري، الرياض، ط (١)، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)، جـ ٥٤/١، ٩٤.

(٤، ٥) الدعوة في عهد الملك عبد العزيز: جـ ٧٨/١، ٨٩، ٩٠، وانظر: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز؛ جـ ١/ ٣٥٤.

(٦) توحيد المملكة العربية السعودية وأثره في النهضة العلمية والاجتماعية: عبد الله بن حمد الحقيل، الرياض، ط (١)، (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م) ص ١٢٣.

(٧) الدعوة في عهد الملك عبد العزيز: جـ/٦٤.

(٨) من حياة الملك عبد العزيز: عبد العزيز الأحيدب، الرياض، ط (١) ، (١٣٩٩هـ)، ص ٣٧، ٤٣.

(٩) مجلة الدارة، الرياض، العدد (٤) سنة ١٤٠٦هـ.

(١٠) انظر: الدعوة في عهد الملك عبد العزيز: جـ ١١٢/١، ١١٣.

(١١) توحيد المملكة وأثره في النهضة العلمية والاجتماعية: ص ٢٤٥.

(١٢) انظر: المرجع السابق، ص ٦٣ وما بعدها.

(١٣) راجع في مظاهر النهضة الحديثة: الفصل الرابع من المرجع السابق ص ١٨٣ وما بعدها.



المكتبات .. في عهد الملك عبد العزيز

منذ أن دخل الملك عبد العزيز الرياض في الخامس من شوال سنة ١٣١٩هـ الموافق ١٩٠٢/١/١٥م وحتى وفاته رحمه الله سنة ١٣٧٣هـ والمملكة العربية السعودية تحت رعايته وحكمه تشهد تطورا هائلا مذهلا في شتى المجالات الإدارية والعلمية والأدبية والطبية وغيرها. وبعد أن أرسى الملك عبد العزيز طيب الله ثراه دعائم الوحدة السياسية للبلاد وجه رحمه الله همه لتنمية البلاد وتطوير الموارد وراحة المواطن والمقيم حتى صار شخصية عالمية تناولها الكثير من الكتاب والمؤلفين بالاطراء والتمجيد والاعجاب.

ويطيب لنا في هذا المقام أن نتحدث عن صورة حضارية مشرفة عن الحياة العلمية والفكرية في عهد الملك عبد العزيز وهي التى تتمثل في المكتبات فى عهده، التى كانت من أهم روافد الحركة العلمية والأدبية التى تطورت بعد ذلك تطورا مذهلا أذهل الباحثين والمؤرخين.

ففي مكة المكرمة عدة مكتبات منها:

١ ـ مكتبة الحرم المكى ويرجع إنشاء هذه المكتبة إلى عهد السلطان العثمانى عبد المجيد رحمه الله الذى أرسل مجموعة نفيسة من مكتبته تحتوى على ٣٦٥٣ كتابا. وفي السيل الكبير الذى وقع بمكة سنة ١٢٧٨هـ دخل السيل إلى المكتبة وأتلف عددا من هذه الكتب فما كان من السلطان عبد المجيد إلا أمر ببناء مكتبة لهذه الكتب ومات رحمه الله قبل أن يرى المشروع النور.

وفي سنة ١٢٩٩هـ خصصت القبة الواقعة قرب باب الدريبة لحفظ الكتب. وفي سنة ١٣٤٦هـ نقلت مكتبة كان قد وقفها والى الحجاز محمد رشدى باشا الشروانى المتوفى سنة ١٢٩٢هـ وعدد كتبها ١٣٦٢ كتابا من المدرسة الواقعة عن يمين الخارج من باب أم هانىء إلى المكتبة التى أصبح اسمها سنة ١٣٥٧هـ مكتبة الحرم المكى.

وفي سنة ١٣٧٢هـ أهدى الشيخ عبد الوهاب الدهلوى مكتبة والده المرحوم الشيخ عبد الستار الدهلوى المتوفى سنة ١٣٥٥هـ التى تحتوى على ١٧١٤ كتابا منها تواريخ مكة المكرمة.

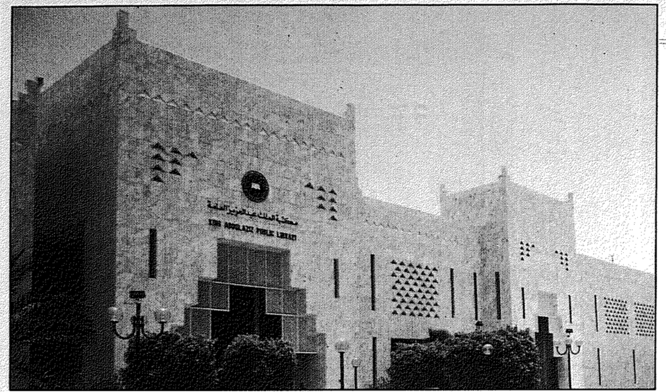
٢ ـ مكتبة الاستاذ أحمد عبد الغفور عطار وقد زرتها كثيرا عندما كنت أزور صديقى المرحوم أحمد عبد الغفور عطار وقد أفنى حياته وجهده وماله في جمعها وتقديري الخاص لها أنها تحتوى على حوالى عشرين ألف كتاب من أجود ما أخرجته المكتبة العربية. وكان كثير العناية بها حريصا كل الحرص ألا يفوته مرجع أو مصدر هام.

٣ ـ مكتبة مدرسة الفلاح بمكة المكرمة: وقد اطلعت عندما كنت طالبا على معظم محتوياتها وأهم مقتنياتها النثر والشعر السعوديان في عصر الملك عبد العزيز وتحتوى على عدة آلاف كتاب.

٤ ـ مكتبة المدرسة الصولتية وقد زرتها في الثمانينيات الهجرية من القرن الماضى.. ومن المكتبات في جدة مكتبة الشيخ محمد حسين



بقلم : د. طاهر تونسي
جامعة الملك عبد العزيز ـ جدة



مكتبة الملك عبد العزيز

نصيف التى آلت إلى مكتبة جامعة الملك عبد العزيز.

والمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم تحتوى على عدد هائل من المكتبات أهمها:

١ ـ مكتبة عارف حكمة (أو حكمت على طريقة الأتراك في الرسم) وقد تأسست سنة ١٢٧٠هـ وقد وقف عليها من الكتب العربية والتركية والفارسية ٥١٣٥ مجلدا وقد أشار محمد لبيب البتنوى في رحلته التى طبعها سنة ١٣٢٧هـ أى من حوالى أربعين عاما من تأسيس المكتبة وقال عنها «إنها آية في نظافة مكانها وحسن تنسيقها وترتيب كتبها».

وقد آلت هذه الأيام مكتبة عارف حكمة الى مكتبة الملك عبد العزيز.

٢ ـ مكتبة عالم الاسلام العظيم الشيخ عمر حمدان رحمه الله: وهو عالم الاسلام ومحدث الحرمين الشريفين الشيخ عمر بن حمدان المحرسى رحمه الله الذى تخرج على يديه مئات العلماء ومنهم الشيخ محمد نور سيف والسيد أمين كتبى والسيد علوى مالكى والشيخ يحي أمان المكى والشيخ حسن شاط والشيخ عبد الفتاح راوه. والشيخ عمر بن حمدان آية في الذكاء والحافظة والاطلاع وقد توفى في عهد الملك المؤسس سنة ١٣٦٩هـ وقد كان يدرس رحمه الله في الحرم الشريف بمكة. وبالحرم النبوى وقد كانت مكتبته من أعظم المكتبات في عهد الملك عبد العزيز طيب الله ثراه وكانت بمدينة الرسول [صلى الله عليه وسلم].

وفي مدينة الرياض عدة مكتبات اشتهرت في عهد الملك عبد العزيز:

١ ـ مكتبة القصر الملكى يقول الاستاذ خير الدين الزركلى «فكان من المكتبات الخاصة بها مكتبة القصر الملكى بما جمعه آل سعود الأولون وما أضيف اليها في عهد الملك عبد العزيز طيب الله ثراه.

٢ ـ مكتبة الأمير عبد الله بن عبد الرحمن الفيصل.

٣ ـ المكتبة السعودية العامة: يقول الاستاذ خير الدين الزركلى.. وفي أوائل سنة ١٣٧٢هـ افتتحت في الرياض «المكتبة السعودية العامة»، وقد بنيت لها دار أثثت تأثيثا حسنا ونقل اليها بعض ما في المكتبات الخاصة وظفرت فيما صورته عنها، بخطوط عدد من المؤلفين النجديين وغيرهم.

وفي نهاية هذه الكلمة عن المكتبات في عهد الملك عبد العزيز لا يفوتنا أن نذكر أن هذه المكتبات في معظمها قد نمت، وزاد عدد المكتبات في المملكة العربية السعودية بعد ذلك حتى عُدَّتْ المملكة العربية السعودية الآن وبحمد الله وتوفيقه من أعظم البلدان ثراء بالكتاب والمخطوطة.

زيت الزيتون

استعمالاته .. وفوائده الطبية

تعتبر شجرة الزيتون من أقدم النباتات التي عرفها الانسان منذ فجر التاريخ، وغرسها، واستفاد من ثمارها، واستوقد حطبها، واستخرج زيتها، واستضاء به، واستعمله في الأكل والدواء.

ورد ذكرها في كتابات صينية قبل (٥٠٠٠) سنة، وذكرت كثيراً في التوراة وفي الانجيل، وفي المخطوطات الفرعونية والاغريقية والرومانية، وفي سفر القضاة، ويعتقد البعض أن الفينيقيين هم أول من عمل على نشر هذه الشجرة في العالم، وتؤكد المصادر أن فلسطين كانت تصدر الزيتون الى مصر القديمة.

وذكرت شجرة الزيتون في الشعر العربي، وفي السُّنة النبوية، كما جاء ذكره في القرآن الكريم في موضع تكريم واحتفاء.. إنَّ هذه الشواهد تدلل على مدى أهمية هذه الشجرة، وتكريم الرسالات السماوية لها، ادراكاً لأهميتها التغذوية والبايولوجية بالنسبة للانسان.

فما هي شجرة الزيتون؟ وما هو موقعها في كتاب الله وفي السُّنة النبوية؟ وعلى ماذا تحتوي؟ وما هي استعمالاتها وفوائدها الطبية قديماً وحديثاً؟.

«الزيتون» شجر مثمر زيتي من الفصيلة الزيتونية، وثمرة الزيتون وحيدة البذرة، وجلدتها لامعة خضراء، وتتحول الى أسود أرجواني عند النضج، ولا يوجد أي اختلاف بين الزيتون الأخضر والأسود، فكل أنواع الزيتون تكون خضراء أولا ثم تتحول الى سوداء حينما يكتمل نضجها، ويستخرج من هذه الثمار، الزيت الذى يستعمل في الأكل، كما يستفاد من الثمار الخضر في الأكل بعد نقعها في الماء مع الملح والليمون والفلفل الحار، حتى تزول منها المادة المرّة وتصبح طرية قابلة للأكل.

وتمتاز شجرة الزيتون بطول عمرها، ولهذا فليس من العجب أبداً أن نجد اشجار زيتون عمرها يزيد على (٦٠٠) سنة في فلسطين، ويمكن للشجرة الواحدة أن تعطي من ١٥ ـ ٢٠ كيلو جرام من الزيتون في العام الواحد، وتعتبر أهم البلدان المنتجة للزيتون هي:

اسبانيا، ايطاليا، اليونان، تركيا، تونس، البرتغال، المغرب، سوريا، الجزائر، الأرجنتين، فرنسا، أمريكا، فلسطين.

محتويات الزيتون:

يحتوي الزيتون على ٨٥٪ من الأملاح المعدنية: (الفسفور، الكبريت، البوتاسيوم، المغنيزيوم، الكالسيوم، الحديد، النحاس، الكلور). وقليل من البروتين، ومعظم الفيتامينات (أ، ب، جـ، د) وتعطي المئة جرام منه (٢٢٤) حرورياً.

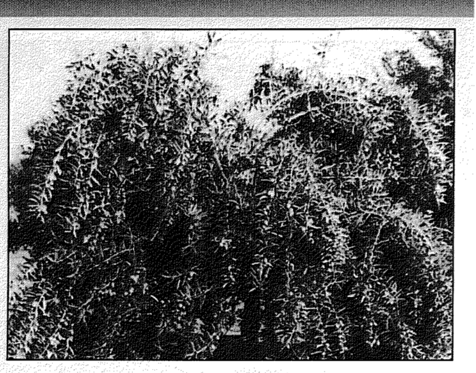
مواصفات زيت الزيتون:

«الزيت من الزيتون المعدود من أفضل الأغذية، وله

بقلم: نائلة عثمان العيم

ـ الاردن ـ





* كرمته الرسالات السماوية.. ادراكاً لأهميته التغذوية

* قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} «ائتدموا بالزيت وادهنوا به، فإنه من شجرة مباركة»

فوائد طبية أكثرها في زيته، ويستخرج الزيت من لحمة الزيتون».

أما الزيت الذي يستخرج من بذره فيستعمل في المعامل، مع العلم أن الزيتون الناضج يعطي زيتاً أصفر اللون، حلو المذاق، قليل الحدة، والزيتون غير الناضج يعطي زيتاً أخضر اللون، مشرباً بالحموضة، ان أشعل الزيت فنوره وضّاح منير، وإن وضع بقوارير محكمة الاغلاق ـ حفظ عدة سنين دون أن يتغير لونه.

رأي ابن قيم الجوزية في الزيتون:

قال الطبيب العربي ابن قيم الجوزية: الزيت حار رطب والزيت بحسب زيتونه، فالمعتصر من النضيج أعدله وأجوده، ومن الفج فيه برودة ويبوسة، ومن الزيتون الأحمر متوسط الزيت بين الزيتين، ومن الأسود يسخن ويرطب باعتدال، وينفع من السموم، ويطلق البطن، ويخرج الدود، والعتيق منه أشد تسخيناً وتحليلا، وما استخرج منه بالماء فهو أقل حرارة وألطف، وأبلغ في النفع، وجميع أصنافه ملينة للبشرة وتبطىء الشيب».

الزيتون في السُّنة النبوية المباركة:

في الترمذي وابن ماجة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي {صلى الله عليه وسلم}، أنه قال: «كلوا الزيت وادهنوا به، فإنه من شجرة مباركة».

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} «ائتدموا بالزيت وادهنوا به، فإنه من شجرة مباركة».

الزيتون في القرآن الكريم:

جاء ذكر الزيتون في القرآن الكريم في ستة مواضع هي:

* في قوله تعالى: {فأنبتنا فيها حباً، وعنباً وقضباً، وزيتوناً ونخلا}.

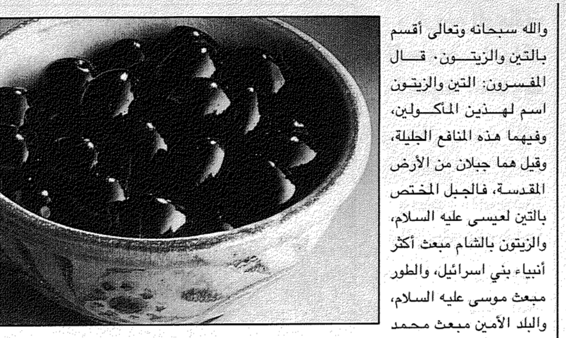
* وقوله تعالى: {ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات}.

* وقوله تعالى: {وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه}.

* وقوله تعالى: {والنخل والزرع مختلفاً أكله والزيتون والرمال متشابهاً وغير متشابه}.

* وقوله تعالى: {يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار}.

* وقوله تعالى: {والتين والزيتون وطور سينين}.



والله سبحانه وتعالى أقسم بالتين والزيتون. قال المفسرون: التين والزيتون اسم لهذين المأكولين، وفيهما هذه المنافع الجليلة، وقيل هما جبلان من الأرض المقدسة، فالجبل المختص بالتين لعيسى عليه السلام، والزيتون بالشام مبعث أكثر أنبياء بني اسرائيل، والطور مبعث موسى عليه السلام، والبلد الأمين مبعث محمد {صلى الله عليه وسلم} فيكون المراد من القسم في الحقيقة تعظيم الأنبياء واعلاء درجاتهم.

الزيتون في الطب القديم:

«أثنى الأطباء القدماء كثيراً على الزيتون وزيته وورقه وأجزائه الأخرى ومما جاء في أقوالهم:

- زيت الزيتون يجوِّد الشهوة للطعام، ويقوي المعدة، ويفتح السدد، ويحسن الألوان.

- زيت الزيتون المحلَّى بالكلس هاضم ويسمِّن ويقوي الأعضاء، وهو صالح للبلغميين والمرطوبين.

- الاكثار منه يولد السوداء ويهزل البدن، وربما ولَّد الحكَّة والجرب.

- يوقف السعال ويقطع الربو إذا حرق نوى الزيتون وبُخِّر به بعد ذلك الشخص المصاب.

- اذا ضُمِّدت الاظفار البرصة بلب النوى، قطع برصها وأصلحها اصلاحاً قوياً.

- اذا حرقت قضبان الزيتون، فانه ينتج عنها سائل نتيجة الرطوبة. هذا السائل يعتبر كحل جيد للدمعة والسيل ورخاوة الأجفان.

- ينفع الصداع المزمن والشقيقة والدوار. وذلك بطبخ أي جزء منه، وطلي الرأس به.

- تستخدم الأوراق في علاج ضغط الدم المرتفع وعلاج الاسهال وذلك بوضع ٣٠ جراماً من أوراق الزيتون في نصف لتر ماء، وتُغلى لمدة ١٠ دقائق ثم تصفَّى ويشرب المريض منها ستة أكواب في اليوم.

- ورق الزيتون اذا مضغ أذهب فساد اللثة والقلاع وأورام الحلق.

- اذا دُقَّ وضُمِّد بمائه أو بعصارته منع الحمرة والنملة والقروح والأورام، وختم الجرح.

- اذا دُقت الأوراق والأطراق الغضة ووضعت فوق العُرقوب بأربعة أصابع - من الجانب الوحشي - حتى يقرح جذب ما في عرق النَّسَا وأبرأه.

- ان طبخ ورق الزيتون بالشراب حتى يتهرى سكن النقرس والمفاصل طلاء.

- ان طبخ ورق الزيتون بماء الحصرم حتى يصبح كالمرهم قلع الأسنان طلاء بلا آلة.

- اذا حقن بعصارته أذهب قروح الأمعاء والمعدة.

- ان طبخت أجزاؤه كلها بماء الصَّبر والكُرَّات حتى تمتزج كانت دواء مجرباً لأمراض الباسور.

- اذا مزج رماد ورق الزيتون بالعسل يذهب الثعلبة والحبَّة والسقعة.

- كما يستعمل الصمغ الذي يخرج من شجرة



الزيتون في معالجة الجراح والأسنان المتآكلة ويعمل على قطع السعال المزمن والخُراج البلغمي.

الزيتون واستعمالاته في الطب:

- له دور كبير في رفع مناعة الجسم للأمراض، لاحتوائه على فيتامين (أ) الذي يقوي المناعة.

- يساهم في وقاية الأطفال من الكساح ولين العظام بسبب احتوائه على فيتامين (د).

- يساهم في نمو الدماغ بالنسبة للأطفال الذين يحتاجون الى توفر حامض (اللينولييك واللينولينيك)، وهما من الأحماض الدهنية الأساسية في غذاء وجبة الأم الحامل سواء في طور الحمل أو بعد الولادة بنسبة ١/٦، وهي نسبة مثالية متوفرة في زيت الزيتون، كما أن هذه النسبة يجب أن توضع في نظر الاعتبار حتى بالنسبة للرجل الناضج.

- يحتوي على فيتامين (أ) الفيتامين المخصب والمقوي للنسل.

- لا يرسب المواد الدهنية على جدر الشرايين والتي تسمى بالكولسترول.

- ينظف الكبد وينشط افراز الصفراء التي تلعب دوراً مهماً في هضم الدهون.

- مفتت للحصى. ويستعمل في هذه الحالة - من الداخل - بتناول ملعقة الى ملعقتين من الزيت مرة في الصباح ومرة قبل النوم، ويمكن اضافة عصير الليمون إليه.

- يكسب الجلد ليونة ومرونة من خلال استخدام الصابون الذي يدخل في تركيبته الزيت، وهذا الصابون يعتبر من أفضل أنواع الصابون للجسم.

- يفيد في الوقاية من السموم، فاذا أخذ فنجان زيت يحدث في المعدة طبقة تحول دون امتصاص السموم.

- يفيد في وقف سقوط الشعر، بحيث تفرك جلدة الرأس بزيت الزيتون مساء، لمدة عشرة أيام وتعطى ليلا، وتغسل في الصباح.

- يفيد في معالجة النقرس وذلك بنقع كمية من زهور البابونج اليابسة في زيت الزيتون وتنشر في الشمس أربعة أيام. بعد ذلك تفرك بها مواضع الألم.

- يقي من الاصابة بالامساك ويمنع تكاثر الحموضة في المعدة ولا يسبب أضراراً للدورة الدموية.

- لعلاج تشقيق الأيدي والأرجل من البرد، بحيث تدهن بمزيج من زيت الزيتون والغليسيرين (مقدارين متساويين).

- طارد للديدان، فإذا جاع الشخص ثلاثة أيام ثم شرب الزيت، فإنه يعمل على طرد البكتيريا والجراثيم والديدان.

- للعناية بجلد الوجه والجسم والخراجات والدمامل والبثور، بحيث توضع عليها كمادات من الزيتون الناضج المهروس.

*** يحتوي على معظم الفيتامينات.. وتعطي ال (١٠٠) جم منه (٢٢٤) سُعْراً حراريا**

*** زيت الزيتون وراء ندرة مرض شرايين القلب التاجية في حوض البحر المتوسط**

*** زيت الزيتون: يعمل على خفض ضغط الدم**

*** زيت الزيتون: يعمل على خفض نسبة السكر في الدم**

*** علماء التغذية: ننصح بضرورة استخدام زيت الزيتون في عملية الطهي لمختلف الأطعمة**

- يستعمل ضد تشنج المعدة والأمعاء والقولنج والنزلات وذلك بدلك المكان دلكاً قوياً.

- يستعمل لمعالجة (الروماتيزما) والتهاب الأعصاب والتواء المفصل، وذلك بعمل مرهم من رأس ثوم يبشر في (٢٠٠) جرام من زيت الزيتون وبعد نقعه بيومين أو ثلاثة يفرك به مكان الوجع عدة مرات.

- يستعمل ورق الزيتون المغلي لخفض ضغط الدم العالي ولعلاج الاسهال، وذلك بوضع (٣٠) جراماً من أوراق الزيتون في نصف لتر ماء وتغلى لمدة (١٠) دقائق ثم تصفى ويشرب بعد ذلك المريض منها ستة أكواب في اليوم.

رأي الأطباء الغربيين بالزيت:

لكن ماذا يقول أطباء الغرب عن زيت الزيتون؟

لخص الدكتور (تريفسيلد) من جامعة (نيويورك) فوائد زيت الزيتون في بحث نشر في مجلة (جاما) الأمريكية الشهيرة عام ١٩٩٠، بالقول: «لقد أكدت الدراسات الحديثة التأثيرات المفيدة لزيت الزيتون في أمراض شرايين القلب، ورغم أن البحث قد تركز أساساً على دهون الدم، الا أن عدداً من الدراسات العلمية قد أشارت الى فوائد زيت الزيتون عند مرضى السكري والمصابين بارتفاع ضغط الدم».

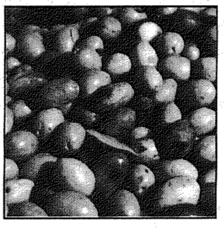
وقد أظهرت دراسة أخرى نشرت في نفس المجلة وفي نفس العام تؤكد أن مستوى ضغط الدم، وسكر الدم، والكولسترول كان أقل عند الذين كانوا يكثرون من تناول زيت الزيتون، وقد أجريت تلك الدراسة على أكثر من مائة الف شخص.

زيت الزيتون وارتفاع ضغط الدم:

كما أجرى الدكتور (ويليامز) من جامعة (ستانفورد) الأمريكية دراسة على (٧٦) شخصاً غير مصاب بأية أمراض قلبية لمعرفة تأثير الزيتون على ضغط الدم، فوجد أن ضغط الدم قد انخفض بشكل واضح عند الذين تناولوا زيت الزيتون في غذائهم اليومي، وكان انخفاض ضغط الدم أشد وضوحاً عند الذين تناولوا (٤٠) جراماً من زيت الزيتون يومياً.

زيت الزيتون ومرض السكر:

وأوصى (الاتحاد الأمريكي لمرضى السكر) المصابين بمرض السكر بتناول حمية تعطى فيها الدهون بنسبة (٣٠٪) من الحريرات على ألا تتجاوز نسبة الدهون المشبعة (كالدهون الحيوانية) عن (١٠٪) وأن تكون باقي الدهون على شكل زيت زيتون وزيت ذرة، أو زيت دوار عباد الشمس.



أهمية زيت الزيتون في الطهي:

لقد دهش الباحثون حديثاً حينما اكتشفوا أن سكان جزيرة «كريت» في البحر المتوسط، هم أقل الناس اصابة بأمراض القلب والسرطان في العالم أجمع.

ودهشوا أكثر حينما عرفوا أن أهالي جزيرة «كريت» يستهلكون زيت الزيتون أكثر من أي شعب آخر. فحوالي (٣٢٪) من السعرات الحرارية التي يتناولونها يومياً تأتي من زيت الزيتون.

وبناء على ذلك اقترحت لجنة الاستقصاءات عن التغذية والاحتياجات الانسانية في مجلس الشيوخ الأمريكي وجبة مثالية شبيهة بالتي يتناولها سكان حوض البحر المتوسط في الماضي القريب. وفعلا كانوا يستهلكون كاربوهيدرات مركبة كثيرة ولحماً قليلا وكثيراً من زيت النبات المكون من زيت الزيتون تقريباً.



وفي هذا الصدد يقول الدكتور (أهرنس) من جامعة (كوفلر) بنيويورك: «إننا ندرك تماماً أن استعمال سكان حوض البحر المتوسط لزيت الزيتون كمصدر أساسي للدهون في الغذاء هو السبب وراء ندرة مرض شرايين القلب التاجية عندهم.

وينبه الدكتور (ويليام كاستللى) مدير دراسة فرامنجهام الشهيرة الى فوائد استعمال زيت الزيتون في حوض البحر المتوسط فيقول: «رغم أن الناس في حوض البحر المتوسط يتناولون بعض الدهون المشبعة (السيئة) المتوافرة في لحم الخروف والقشدة والسمن والجبن، الا أنهم يستعملون زيت الزيتون بشكل رئيسي في طهي الطعام، وهذا ما يجعل امراض شرايين القلب التاجية قليلة الحدوث عندهم».

ويقول أيضاً «أفضل طريقة لطهي الطعام وتحضير المأكولات هي باستعمال زيت الزيتون بشكل أساسي، واستعمال كميات قليلة من زيت الذرة أو دوار (عباد الشمس)، فالجسم لا يحتاج إلا الى كميات قليلة من النوعين الأخيرين».

لذلك يطمئن الدكتور (كاستللي) الذين يستعملون زيت الزيتون ويقول:

«إن هناك زيتاً وحيداً يتمتع بأطول سجل من سلامة الاستعمال في التاريخ هو زيت الزيتون، فلقد تناول زيت الزيتون أجيال وأجيال، وامتاز هؤلاء بصحة الأبدان، وندرة جلطة القلب عندهم، وهذا السجل الحافل بمآثر زيت الزيتون يجعلنا نطمئن لاستعماله، ونُقبل عليه بشغف كبير».

نصيحة علماء التغذية:

وقد نصحت مجموعة من علماء التغذية في الولايات المتحدة الأمريكية بضرورة استخدام زيت الزيتون في عملية الطهي لمختلف الأطعمة، بدلا من السمن الطبيعي أو الصناعي. وأوضح تقرير أعدته هذه المجموعة من العلماء أن «استعمال الزبدة في الطهي يؤدي الى الاصابة بأمراض القلب المختلفة، كما أن الطهي بالسمن الصناعي يؤدي الى الاصابة بمرض السرطان».

مزيداً من الاهتمام بهذه الشجرة:

هذه هي شجرة الزيتون التي كرّمتها الرسالات السماوية والتي وصفها الله تعالى في سورة النور (آية ٣٥) بأنها «شجرة مباركة» لذلك جاء اهتمام الانسان بها ادراكاً لأهميتها وتركيبتها الغذائية، لذلك لفتت انتباه الأطباء والباحثين في عصرنا الحاضر بأنها ستكون الحل العلمي الناجح في القرن الواحد والعشرين لمشكلة أمراض الحضارة باعتبار زيتها الأنسب للتغذية الانسانية وللوقاية من الأمراض التي أفرزتها حضارة القرن العشرين.

وأخيراً نطالب وزارة الزراعة الفلسطينية بتوعية الناس برعاية هذه الشجرة والاهتمام بها، وحثهم على استثمار المزيد من الأراضي غير المزروعة بزراعتها بأشجار الزيتون.

فالشجرة مباركة.. وفي زيتها المبارك دواء.. ومبارك من يزرعها.

المراجع:

* **أحمد قداحة - قاموس الغذاء والتداوي بالنبات - دار النفائس - بيروت ط ٨ - ١٩٩٥.**
* **ابن قيم الجوزية - الطب النبوي.**
* **سنن ابن ماجة - صحيح الجامع الصغير ١٨.**
* **الآيات القرآنية من السور التالية وبالترتيب: «سورة عبس الآية ٢٧ - ٢٩ ، سورة النحل الآية ١١ ، سورة الأنعام الآية ٩٩ ، سورة الأنعام الآية ١٤١ ، سورة النور الآية ٣٥ ، سورة التين الآية ١، ٢.**
* **تفسير الفخر الرازي ٩/٣٢.**
* **مجلة غذاؤنا والمستقبل - العدد الأول ١٩٩٣.**
* **مجلة العربي - العدد ٤١١ - ١٩٩٣.**
* **جريدة الأهرام القاهرية ٧/٨/ ١٩٨٧.**

حوار مع :

وصافة نابلس وربابتها .. سحر خليفة

**** متى ينتفض قلبك ؟ وما لون نبضك؟**

* حين أحب، كنت طفلة بكّاءة، ثم قساني الزمن والتجارب فصرت لا أبكي .. قليلا ما أبكي الآن لموهبة تتفتح، لا أبكي أمام المواهب التي تبوأت مكانها، أما المواهب السيئة فلا أملك أمامها إلا الشجن.

ولون نبضي أظنة أحمر قانياً، لأني عصبية، وضعني أهلي عند الراهبات لأكون مهذبة فنشأت في بيئة محافظة جدا.

أحب الضحك، وأحب منْ يضحكني.. حتى شخصياتي الروائية تجدها خفيفة الدم مثل «خضرة، سعدية، نزهة، والداية».. ولا أحب الشخصيات ثقيلة الدم.

**** من فتح عينيك وقلبك لكتابة الرواية؟**

* أولى رواياتي كتبتها وكان عمري ثلاثين عاماً، كتبتها في الخفاء، هي (بعد الهزيمة)، صادرها الإسرائيليون.. كنت أقرأ لكثيرين، ديستويفسكي، تولستوي، هيمنجواي، سيمون دي بوفوار، ألبيركامي، وسارتر، في محاولة للهروب من الواقع الذي نعيشه ولا نرضى عنه، ثم تولدت عندي رغبة في أن أكتب، لم ينصحني أحد بأن أكتب، ورحت أكتب حتى حققت وجودي بنفسي.. لم أكن أتوقع أبداً أن أصير كاتبة.

**** هل ترين روائية عربية غيرك، فيك بعض ملامحها؟.**

* لا .. فالظروف التي عاشتها أي روائية عربية تختلف عني، ربما أعجب برواية أو مشهد - لكني لا أحس بأنه مني، لأنها ليست تجربتي.. الجو الذي أكتب عنه مختلف تماماً - لأن التجربة الفلسطينية مختلفة تماماً - حتي ليّانه بدر حين كتبت عن تجربة الفلسطينيات في الشتات تختلف تجربتها واسلوبها ونبض الشارع ونبض شخصياتها، فالكاتب يفرز شخصيته، وهذا لا يعنى عدم إعجابي بهن.. لا، فكثيرات أعجب بهن - ولكن لابد أن يكون لكل كاتب شخصيته المتميزة.

**** الروائيات الفلسطينيات - غيرك - منْ؟.**

* هناك ليانه بدر في الشتات، وسحر خليفة ، وهناك كثيرات - ولكن لم تبرز روائية غيرى لأن كتابة الرواية أمر صعب للغاية.

**** فى أعمالك الأخيرة إدانة للمرأة الفلسطينية.. أم أنها إدانة للمجتمع كله؟**

* كانت هناك محاولة لتفسير الوضع بشكل واقعي وبدون التهويم في خيالات ورؤى مقصود فيها الإعلان عن بطولات في المجتمع الفلسطيني الذي هو جزء من المجتمع العربي، وهذه التهويمات مع أنها تبدو على السطح أنها تضفي هالة إيجابية - إعلامياً - إلا أنها تحيد الأنظار، وتحرفها عن مناقشة الموضوعات التنموية للأوضاع الاجتماعية - وتحديداً أنا معنية في السنوات الأخيرة في أعمالي الأخيرة بوضع المرأة، من موقف أيدولوجي يرى أنه «لا يمكن تحرير الوطن ونصفه نائم»، لا يمكن ان نسمو بانفسنا والمرأة ترسف بأغلال التقليد والتخلف الاقتصادي والاجتماعي

حوار : مجدي إبراهيم
- مصر -



سحر خليفة:

هى أهم من تناول تفاصيل الحياة داخل الأرض المحتلة، ورصدت حياة الانسان الفلسطيني اليومية فيها، من خلال رواياتها الخمس (لم نعد جوارى لكم، الصبار، عبّاد الشمس، مذكرات امرأة غير واقعية، وباب الساحة).

وهي التي تنبأت بالانتفاضة في روايتها «عباد الشمس» في أوائل الثمانينيات، وهى التى تعتز بانتسابها الى الضفة الشرقية، وبأن مولدها في الأرض المحتلة.

درست في جامعة «بيرزيت»، وحصلت على درجة الماجستير في الأدب الأمريكي، وعلى الدكتوراه في الأدب النسائى والدراسات الإنسانية من جامعة «أيوا» الأمريكية.

ترجمت أعمالها الروائية الى العديد من اللغات العالمية.

ومازالت تعيش حتى اليوم داخل الأرض المحتلة، لم تبرح مكانها، ولم تهاجر مع من هاجروا.

والسياسى، «نزهة» تعبِّر عن عيِّنة من النساء اللاتى أطاح بهن المجتمع، لأنه غير قادر على تلبية احتياجاتهن الأساسية، إذا تتبعت طفولة نزهة من الصغر تجد أن انحرافها كان جبريا، بغير إرادتها.. بدأ جبرياً، لم تستطع المقاومة لأن شخصيتها الفطرية تفتقد إرادة المقاومة مثل شخصية «سعدية» في روايتى (عباد الشمس)، شخصتها قادرة على المقاومة والانتاج.. وشخصية نزهة، تختلف عن شخصة سعدية، لم يكن عندها إمكانية للمقاومة والانتاج بالطريقة التى انتهجتها سعدية.

رواياتى الأخيرة، ليست إدانة للمرأة الفلسطينية بقدر ما هى تفسير لأوضاع المرأة، وإدانة للتخلف الاجتماعى الذى لا يستطيع أن ينظر إلى قضاياه التنموية بشكله الحقيقى.

«العمالة العربية في إسرائيل»

**** اتهمت بالدفاع عن العملاء، بعد رواية «الصبّار» فما دفاعك؟.**

* لا يتهمني سوى المزايدون، أو منْ لا يدرى شيئاً عن الأوضاع الداخلية في فلسطين، لا يمكن أن أكتب رواية بدون دراسة ومسح، كنت أعتمد في أدبى على البحث الميداني.

بعد «الصبّار» اتهمت بالدفاع - ليس عن العملاء - بل عن عمالة العرب في إسرائيل، كل التنظيمات الفلسطينية والعالمية ومنظمات حقوق الإنسان، عندما تغلق اسرائيل المصانع في وجه العمال العرب يقيمونها قيامة ولا يقعدونها ويتهمون اسرائيل باضطهادهم، وكأن هذا شيء مشروع وحق طبيعى.. لم يكن ينظر إليه في البداية كحق من حقوق العمال الفلسطينيين في الصناعة الاسرائيلية، كان ينظر اليه كتهمة وعمالة وسفالة، كان يدان كنموذج لعمالة الفلسطينيين كلهم.. حين سمعت هذه التهمة في أوائل السبعينيات، وكان بهاء الدين نشر مقالا قال فيه الكثير عن عمل الفلسطينيين في الصناعة الاسرائيلية، فأحببت أن أفسر الظاهرة تفسيراً من بطن المجتمع العربي، وأخذت المجتمع الفلسطينى كعينة وأبرزت الوضع بواقعه الحقيقى لأقول للعالم العربي:

إذا أردتم رؤية المشاكل التى نعانى منها والتى تضطر عمالنا للعمل في صناعة المحتل، فأنتم عندكم نفس التركيبة الاجتماعية التى لو مررتم بنفس تجربتنا الاحتلالية لعملتم في صناعة الإسرائيليين.

أنا لا أدافع عن نفسي، أنا أضع المتهمين فى قفص الاتهام لإنهم هم المزايدون، بدلا من أن يتعلموا ممن يبذلون مجهوداً وينزلون للواقع فهم يزايدون، أنا أرجع الاتهام إليهم وأقول لهم: أنتم المزايدون، ولما

** اتهموني بالدفاع عن العملاء

** لم تبرز روائية فلسطينية غيري لهذا السبب

** لا تتغنوا بأمجاد شعبي، نحن نعاني .. لسنا أبطالا، ولا معجزات لنا

** لا يمكن تحرير الوطن، ونصفه نائم!

عرفتم صرتم تصفقون للعمل في إسرائيل، وأصبحتم تدافعون عنهم وكأنه حق مشروع.

واتهمت بإظهار الشخصيات البطولية كخلفية للرواية (باب الساحة) بينما يختفى الجانب المضيء؛ الجانب المأساوى للانتفاضة؟.

* حين نحضر مؤتمرا كعرب نهتم بالتفاصيل والهوامش، لا نأخذ لب الموضوع الذى نسلط الأضواء عليه.. ما هو وضع المرأة الفلسطينية في الانتفاضة؟ في روايتى «باب الساحة» تقوم البنت التى تعمل في جمعية بسؤال السيدات عن وضع المرأة وتسألهم عن رأيهم في الانتفاضة، ومردودها على المرأة الفلسطينية.. هذا هو محور روايتى، وضع المرأة الفلسطينية تحت الانتفاضة، حاولت أن أعطى نماذج من النساء، وأبين للقارىء كم هن مقموعات ومدُاس عليهن، إنهن «مدعوسات»، الداية مدعوسة، وسمر وأمها ـ حتى أم حسام البطل، ونزهة وامها كذلك، كلهن مدعوسات رغم عطائهن للوطن لم يعترف بعطائهن لإن إطار المرأة العربية لا يمنحها حيزاً يتسع لبطولتها وعطائها، وهى بهذا الإطار محددة، وتفاصيل البطولة والعطاء وكأنها تخرج من خارج الإطار فلا تظهر في الصورة.

هذا هو الوضع العربي، حاولت أن أبلور من خلال شخصية نُزهة أنه رغم استمرار الثورة الفلسطينية إلا أن هناك قصورا في فهم هذا الإطار المحجوزة فيه طاقات المرأة من حيث الإبداع والعطاء والأخذ، وما هى حقوقها وما واجباتها ـ حتى شخصية حسام ـ التى تصور المناضل الثورى في عقله إطار من القيم والتقاليد التى تحجب عنه رؤية الواقع لشعب نصفه المرأة.. وكان السؤال الذى طرحته اسرة نزهة وأمها هو أكبر محك عملى لقدرة حسام على استيعاب هذا الواقع.

«فن النكبة ، ونكبة الفن»

**** نكبتكم أفرزت جيلا عظيماً من الأدباء، ونكبتنا في مصر خلقت جيلا لامعا ومعطاء.. هل لابد من نكبات أو كوارث ليتفجر جيل جديد؟**

* لا ، لابد أن يكون هناك تزامناً ما بين الموهبة وما بين الزمن المناسب والقيام بالفعل المناسب.. على سبيل المثال، حين ظهرت جوقة الفنانين عبد الوهاب وام كلثوم وفريد الأطرش وعبد الحليم حافظ وفايزة أحمد.. نخبة من أحلى الأصوات ومن أرقى الموسيقى والمعانى التى استمتعنا بها طوال الستينيات وأواسط السبعينيات.. هذا الجيل راح الواحد بعد الآخر، والنكبات التى رأيناها بعد السبعينيات لا تقل عن النكبات التى قبل ذلك.. لماذا أصبحت الموسيقى الآن هابطة، ورقيعة؟ لماذا لا يوجد التجاوز حاليا؟ لماذا لا تتواجد المواهب الآن؟ وفي الأدب نجد يوسف إدريس وصنع الله ابراهيم ويحيى الطاهر عبد الله وابراهيم أصلان ويوسف القعيد وجمال الغيطانى، أعطوا ومازالوا.

**** ألا يوجد من شعراء فلسطين سوى محمود درويش وسميح القاسم؟.**

* محمود درويش هو القمة عندنا، وهناك آخرون ـ لكن محمود يتميز بالقوة والجزالة والتميز الشعرى على مستوى عالمي، وقد جاء في فترة يلتهم العرب فيها الشعر التهاماً. أما الآن فلم يعد للشعر نفس القداسة، وانتقل الاهتمام للرواية وأصبح القارىء يلجأ للكتب التى تفسر له الظواهر التى يعيشها.. تغير المزاج.

الشعر كان يشبعنا، لما خرجنا من مرحلة الرومانسية الفورية، وجدنا الرومانسية نزلت على

رأسنا كالزلزال وصرنا تحته ضحايا ركام من التفسيرات والأحلام والنزهات التى بلا معنى ولا وجود إلا في مخيلتنا، صار ذوق القارىء محسوساً أكثر، أصبح يطلب شيئاً مادياً يفسر له الظواهر ويغنى تجربته الإنسانية بشيء مفهوم أكثر من الهالات الشعرية التى يعطيها الشعر.

أظن أننا في هذه المرحلة كقراء وكتّاب ومواطنين عرب تجاوزنا مرحلة الشعر والرومانسية ودخلنا في مرحلة تفسير الظواهر الاجتماعية والانسانية، وفي مجال الأدب الرواية هي التى تستطيع التعبير عنها، أقدر من أى فن أدبى آخر، تصور وتفسر، وفيها لمسات شعرية أيضاً.

حين تسألنى عن محمود درويش وسميح القاسم، ولماذا تصدَّرا الأدب الفلسطيني في الستينيات، أقول لك أن المزاج آنذاك كان شعرياً وبطولياً ورومانسياً، محمود أقوى، الكل يؤمن بهذا - وأنا شخصياً لا أقرأ الشعر، طلقته منذ سنين، أفضل أن أقرأ مقالا يفسر لى الأمور أو يشحننى.

الثورات تشحن الأفكار بالمخيلة وبتجاوز الواقع، والأفكار الثورية تعطى دفعة، إنما وجود الموهبة التى تلتقط هذا الإشعاع يعتمد على الطبيعة والامكانيات المتوفرة لدى هذه الموهبة في أنها تتصادم مع الواقع وتبرز، لأن الشخصية هنا ليست صدامية لتبرز رغم كل العوائق، أتذكر أنهم كانوا يقولون عن عبد الوهاب وعبد الحليم أنهما ليسا موهوبين فقط - بل أذكياء ، يعرفان نبض السوق، من أين تؤكل الكتف على الصعيد التجارى وعلى صعيد الذوق، فلا يكفى عند الفنان أن يكون موهوباً - لابد أيضاً من الامكانيات ليدفع نفسه بنفسه - لابد من توافر عدة عناصر لتبرز الموهبة، الموهبة الفطرية، الظرف الزمانى والمكاني.

«لا تلقوا بعجزكم على ظهورنا»

**** والأوضاع الآن داخل الأرض المحتلة؟..**

* صعبة وسيئة جدا، وأمقت الإعلام المزيف عن بطولات الشعوب اللانهائية، أمقتها وأعتبرها هروباً من الاعلاميين لإسقاط همومهم على حفنة الشعب الفلسطينى تحت الاحتلال، ويتوقعون منه المعجزات سنة وراء سنة، أكره المؤتمرات العربية التى نُدعى إليها وأهزأ بها، نأتى إليها لنمثل الداخل ونسمع أمجاداً عن أعمالنا البطولية الخارقة بدلا من أن نتحدث عن مآسينا، وهزائمنا بينما هم يتغنون بأمجادنا.. إننا نعاني، نحن لسنا أبطالا ولا معجزات لنا.. أقول لهم:

- انكم تلقون بعجزكم على ظهورنا لنحرر أنفسنا ونحرركم، أنا أسخر من مواقف كهذه.

طالما أنكم تلبسوننا هالات وعباءات أكبر منا، وتلبسون كل الشهداء انجازات أكثر مما قدروا على تحقيقها، كل هذا لا يخدم شيئاً، هو يخدمنا في الهروب من واقعنا، ويزيد مآسينا وعجزنا، ولا يتسبب إلا في مزيد من المواجع والتراجع عن التنمية، لابد أن نضع أصابعنا على الوجع ونقول هذا خطأ، وعلينا أن نردم الخطأ.

**** مم تخافين؟ متى يتسرب الخوف إلى داخلك؟**

* أخاف من الشوارع الخالية ومن الأماكن المظلمة التى لا أعرفها، أخاف من صوت الرصاص حين يطلع فجأة أو صوت إنفجار رغم أنه بحياتنا دائماً.

ولا أعرف أن أكتب إلا في بلدى، لم أفكر في الخروج مع منْ خرجوا، لا أحب أن أموت سوى في بلدي.

- محمود درويش

- ليَانة بدر



عيادة المريض في الشعر العربي القديم

كانت للعرب في جاهليتهم جوانب خلقية سامية ظهرت جلية من خلال تراثهم الشعري؛ فهم أمة أبية وغيورة، ترفض الضيم، وتنصر المظلوم، وتنجد المستجير، وتحسن الجوار، تمتع أبناؤها بالشجاعة والكرم والأمانة والوفاء والحلم والحكمة، ومع كل ذلك لا نجد في تراثهم الشعري هذا ما يتصل بعيادة المريض.

ولما جاء الإسلام ذلك الدين القيم ليتمم مكارم الأخلاق حث على زيارة المريض لما تضفيه على نفسيته من أثر طيب فهي تشعره بمشاركة من حوله وجدانياً له، ومن ثم فهي ترفع من معنوياته وتشد من أزره وتخفف من معاناته، فقد ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: «إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم! مرضت فلم تعدني. قال: يارب! كيف أعودك؟ وأنت رب العالمين. قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده. أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده»[١]، وقد ورد في صحيح البخاري عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: «أطعموا الجائع وعودوا المريض وفكوا العاني»[٢]، وغير ذلك من الأحاديث النبوية الشريفة الصحيحة.

ونظراً لما تحدثه العيادة من ذلك الأثر النفسي الطيب فقد عبر الشعراء عن ذلك في أشعارهم فيرى مهيار الديلمي (... - ٤٢٨هـ) أن أحد عائديه في أثناء مرضه كان شفاء له من دائه حتى أنه بمجرد ظهور وجهه الحسن ظهر العبوس في وجه المرض استعداداً للرحيل، وهكذا يكون بعض الزائرين أطباء يقول[٣]:

فكنت لداء جئتني منه عائداً
شفاء وبعضُ العائدين طبيبُ

ولما جلا لي حُسنُ وجهك بِشْرَه
تبيَّن في وجه السَّقام قُطُوبُ

ويرى صفي الدين الحلّي (٦٧٧ - ٧٥٠هـ) أن زيارة رئيس له في أثناء مرضه قد أعادت له الروح بعد أن يئس الناس من شفائه وعدّوه في عِداد الموتى يقول[٤]:

أعـدْتَ لي الرُّوحَ، إذ زرتني
وقد يئس النَّاسُ من رجعتي

ولقد نسج الشعراء أرق الأبيات لمواساة مرضاهم والتخفيف من آلامهم فها هو ذا البحتري (٢٠٦ - ٢٨٦هـ) يواسي إبراهيم بن المدبِّر في مرضه ويذكر أن المرض لا يؤثر في الكرام، فشجرة الأراكة اللينة الطويلة الساق الطيبة الرائحة لا تخشى الرياح الحارة، والحُمَّى لا تصيب إلا الصفوة، فهي لا تصيب الكلاب وإنما تصيب أعتى الأسود يقول[٥]:

ولست ترى عُود الأراكة خائفاً
سمُوم الرِّياح الآخذات من الرَّند
وما الكلبُ محموماً وإن طال عمرُه
ألا إنما الحُمَّى على الأسَد الورْد

ويواسي أحمد بن عبد ربه (٢٤٦ - ٣٢٨هـ) مريضاً له يقول[٦]:

لا غرو إن نال منك السُّقَمُ والضَّررُ
قد تكسفُ الشَّمسُ لا بل يُخسفُ القمرُ
يا غُرَّة القمر الذاوي غضارتها
فدا لنورك منِّي السَّمع والبصرُ

بقلم: د. ورد محمدي مكاوي عزب
جامعة الملك فيصل - الاحساء

إن يُمسي جسمُك موعوكاً بصالية
فهكذا يُوعك الضرغامة الهصرُ

فلا عجب إن كان المرض قد أصابك فهذا أمر عارض فالشمس تكسف أحياناً ويحجب ضوؤها وكذلك القمر قد يخسف أحيانا ويحجب نوره، وإن أصابتك الحمى فهكذا تصاب الأسود، والشاعر يفدى نضرة وجه المريض بأغلى ما يملك وهو سمعه وبصره.

ويواسي أبو هلال العسكرى (٠٠٠ - بعد ٣٩٥هـ) مريضاً له متناولا نفس المعانى الجميلة يقول[٧]:

ولا غَروَ أن يغشاك عارضُ علَّة
فإنى رأيتُ الورد يغشى الغضنفرا
ولو كنتَ نجماً ما كسفتَ وإنما
كسوفك إن أمسيت بدراً منُورا

فليس بغريب أن تغشاك علة عارضة فالحمى تغشى الأسود ويستخدم الشاعر إنى ورأيت للتأكيد ثم يأتى بصورة أخرى يستمدها من الآفاق فلو كان المريض نجماً ما تعرض للكسوف وإنما هو قمر منير.

وقد يتمنى الشاعر أن يتحمل المرض بدلا من المريض فالبحترى في مواساته لإبراهيم بن المدبِّر يفديه بنفسه وبأنفس العواد قبل أن يفديه بمالهم قديمه وحديثه، ويتمنى أن يتحمل العواد ما به من مرض، وإن خافوا ذلك فيتحمله عنه وحده يقول[٨]:

بأنفسنا لا بالطوارف والتّلد
نقيك الذى تخفى من الشّكو أو تُبْدى
بنا معشر العُوَّاد ما بك من أذى
وإن أشفقوا ممَّا أقولُ فبى وحدى

ويتمنى أبو بكر بن دريد (٢٢٣ - ٣٢١هـ) لو أن يتحمل المرض المؤلم عن مريض له في سبيل أن يُشْفى ويُبْرأ يقول[٩]:

بنا لا بك الوصبُ المؤلمُ
ونفسك من صرفه تسلمُ

ويواسى صفى الدين الحلى حبيبته فلو يستطيع أن يتحمل عنها مرضها لرمى بقلبه في نار حمتها ليحترق بدلا منها وفداء لها يقول[١٠]:

لو أستطيع بقلبى عنك حمل أذى
جعلته في لظى حُمَّاك يرتمضُ

وعندما يمن الله على المريض ويبدأ في التماثل للشفاء يقرن الزوار المواساة بالتهنئة فها هو ذا أبو تمام (١٨٨ - ٢٣١هـ) يواسى أحمد بن أبى دواد مهنئاً إياه يقول[١١]:

سُقْمٌ أتيح له بُرْء فنعنعهُ
والرمحُ ينآدُ حيناً ثمَّ يعتدلُ
وحال لونُ فردُ الله نَضْرتهُ
والنَّجْمُ يخمدُ شيئاً ثم يشتعلُ
أجرُ أتاك ولم تعمل له وبلا
فكرُ المقيم على توحيده عملُ

لقد برئت من المرض فأنت كالرمح الذى ينحنى حيناً ثم يستقيم ورد الله عليك نضرتك فأنت كالنجم الذى يخبو نوره شيئاً ثم يتوهج وإن ما أصابك من مرض لمن أفضل الأشياء التى يؤجر عليها صاحبها بعد التوحيد.

وتواسي عريب المأمونية (١٨١ - ٢٧٧هـ) الخليفة العباسى المتوكل على الله (جعفر بن محمد بن هارون الرشيد) مهنئة إياه بالتماثل للشفاء تقول[١٢]:

أتونى فقالوا بالخليفة علَّةٌ
فقلتُ ونارُ الشَّوق تقدحُ في صدرى
ألا ليت لى حُمَّى الخليفة جعفر
فكانت بى الحمَّى وكان له أجرى
مرضتَ فأمرضت البرية كلها
وأظلمت الأبصارُ من شدَّة الذُّعر
فلما استبان الناسُ منك إفاقة
أقاموا وكانوا كالقيام على الجمر
سلامة دنيانا سلامة جعفر
فدام معافى سالماً آخر الدَّهر

تخاطب الشاعرة الخليفة قائلة: لما نبئت بمرضك تمنيت أن تكون الحمى بى وتسلم أنت وتفوز بالأجر، فمرضك أمرض كافة الخلق وأظلم الدنيا في أعينهم من شدة الذعر، وبمجرد أن شاهد الناس إفاقتك هبوا قياماً فرحين، فسلامة دنيانا هى سلامتك.

وعلى الرغم من أن عيادة المريض ومواساته واجبة إلا أن لتلك العيادة آداباً لم يغفلها الشعراء فيقول أحدهم[١٣]:

حق العيادة يومٌ بعد يومين
وجلسةٌ لك مثل اللحظ بالعين
لا تبرمنَّ مريضاً في مساءلة
يكفيك من ذاك تسألٌ بحرفين

لقد حدد الشاعر آداب الزيارة تحديداً واضحاً، فهي يوم بعد يومين، وجلسة قصيرة مثل لمح البصر، وتخفيف في سؤال المريض فيكتفي بكلمة من حرفين حتى لا يتضجر وتزداد آلامه وتأتي الزيارة بنتائج عكسية.

ولقد أضاف أبو العلاء المعرى (٣٦٣ - ٤٤٩هـ) لتلك الآداب آداباً أخرى وهي مساعدة المريض الفقير بالمال حتى ولو كان ذلك المال يسيراً يقول[١٤]:

إذا عُـدت في مـرض مُكْثـراً
فـخـفف وخَفْ أن يُملَّ العليـلا
وإذا كـان ذا فـاقـة مـقـترا
فـأسعف وإن كـان نيـلا قليـلا

أما إذا أثقل أحد الزوار ولم يلتزم بآداب الزيارة فيكون أشد وطأة على المريض من المرض وخاصة إن لم يفهم ذلك تلميحاً ولا تصريحاً فها هو ذا البهاء زهير (٥٨١ - ٦٥٦هـ) قد ضاق ذرعاً من زائر ثقيل عاده في أثناء مرضه يقول[١٥]:

وعـائد هـو سُـقمُ
لكل جـسم صـحـيح
لا بـالإشـارة يـدرى
ولا بـالكـلام الـصـريح
ولـيس يـخـرجُ حـتَّى
تـكـاد تـخـرجُ روحـى

والطامة الكبرى أن يكون أحد الزوار شامتاً، فيزداد المريض مرضاً على مرض وآلاماً فوق آلام، يقول ابن المعتز (٢٤٧ - ٢٩٦هـ) في ذلك [١٦]:

يا عـائداً قـد جـاء يشـمتُ بى
قـد زدت في سُـقـمى وأوجـاعى

وإذا كان بعض المرضى قد حظوا بمن يعودهم ويواسيهم، وعبروا عن فرحتهم ومدى سعادتهم بتلك العيادة، إلا أنه على صعيد آخر هناك تعساء لم يحظوا بأدنى اهتمام، ولم يجدوا من يسأل عنهم، فراحوا ينظمون أشعاراً يبثون فيها حرارة آلامهم وأحزانهم وشكواهم في صورة عتاب مرير كما فعل عبد الله بن مصعب (١١١ - ١٨٤هـ) إذ يقول[١٧]:

مـالى مـرضتُ فلمْ يعـدنى عـائدٌ
منكم، ويمرض كلبكم فـأعـود!

فالشاعر يعقد مقارنة مؤسفة تظهر الفرق بين مشاعره نحو أحبابه ومشاعرهم نحوه، لقد مرض فلم يعده أحد منهم في حين أنه إذا مرض كلبهم وهو ليس بإنسان يعوده ويسأل عنه حباً فيهم وكرامة لهم، فمنزلته عند هؤلاء الأحباب أدنى من منزلة كلبهم عنده، فما أعظم اهتمامه بهم وما أشد قسوتهم وجفائهم وغلظتهم وإهمالهم له.

ويردد صفي الدين الحلى نفس المعنى في ثوب مختلف شاكياً أيضاً عدم زيارته في أثناء مرضه يقول:

أعـودُ حـمـاركم في كل يوم
إذا مـا ضَـرَّه فـرطُ الشـعـير
ويُمـرضنى التـألم من جـفـاكم
فلـم أر عـائداً من زفـيـرى
فـإن يك حقُّ جـزاي منكمْ
لإفـراط المحبَّـة في ضـمـيرى
فـشكراً للمـحـبَّـة إذ حططتم
بهـا الأصـحـاب عن قـدر الحـمير

ويقرع ابن الرومى جيرانه لتخلفهم عن زيارته فى مرضه، فهم أناس لا نخوة فيهم، لا يعودون جارهم العليل، ولا يسدون حاجة ضيفهم، ويبادلهم احتقارا باحتقار، فزيارتهم لا وزن لها ولا قيمة فهى لحن تطيل عمر المريض، وعدم زيارتهم لن تقصر من أجله يقول[١٨]:

جـاركم لا يعـاد من علله
وضـيـفكم لا يُسـدُّ من خُلله
لا إن جـفـوتم قـضـى العليلُ ولا
إن عـدتمْ تُنسـئـون في أجله

أما جحظة البرمكى (٢٢٤ - ٣٢٤هـ) فيشكو ويعاتب مندهشاً من هؤلاء الأصدقاء الذين بخلوا عليه بالعيادة وهى كسب لهم فسينالون بها أجراً وثواباً رغم أنها لن تكلفهم شيئاً، فهى بالنسبة لهم مغنم دون أدنى مغرم يقول[١٩]:

مـرضتُ فلم يكنْ في الأرض حـرٌ
يُشـرفنى ببـر أو سـلام
وضنُّوا بالعـيـادة وهى أجـرٌ
كـأنَّ عـيـادتى بذلُ الطعـام

ونظراً لما تسببه عدم العيادة من آلام نفسية للمرضى فهناك من الشعراء من واسى هؤلاء الذين لم يحظوا *بالعيادة والسؤال كما فعل أبو الحسن بن ثابت البغدادى* مؤكداً أن المرء لا يجب أن يحزن إذا لم يجد من يعوده،

فهناك صنف من الناس يصل المرء إذا كان صحيحاً لا يعاني حتى إذا اعتل وقلب له الدهر ظهر المجن فإذا بهؤلاء الناس يجفونه، فلا تبتئس لأن الدنيا لا أمان لها، فالأحوال ستتغير وتشفى أنت ويمرضون هم وتجفوهم كما جفوك، وإن عاتبوك سيكون ردك حاضراً فواحدة بواحدة يقول[٢٠]:

أين من كان واصلا لك في الصحة
حتى إذا اعتللت جفاكا
كلُّ من لم يعدك في حالة السقـ
ـم تمنى لك الرَّدى والهلاكا
حذراً أن يراك يوماً من الدهـ
ـر صحيحاً فيستحي أن يراكا
قلتُ لا يعْجَلنَّ فإنَّ رحا الدهـ
ـر بأنْيابه تزورُ عداكا
سوف تبرا ويمرضون وتجفو
هم فإن عاتبوا فقل ذا بذاكا

وهناك من الشعراء من اعتذر عن عدم زيارة مريضه بطرق فيها لطف فها هو ذا المعتمد بن عباد (٤٣١ - ٤٨٨هـ) يقول[٢١]:

مرضت فأمسكتُ الزيارة عامداً
وما عن قلى أمسكتها إلا ولا هجر
ولكنني أشفقتُ من أن أزوركمُ
فأبصرُ آثار الكسُوف على البدر

لقد امتنع عن الزيارة متعمداً إشفاقاً من أن يراه متعباً مكدوداً، وليس عن بغض ولا تقصير ولا قطيعة.

ويكرر ابن زريق (٠٠٠ - ٨٠٣هـ) نفس المعنى في اعتذاره عن ترك زيارة مريض له يقول[٢٢]:

يا مريضاً بسقمه
مرض الحلمُ والوفا
لم يكن تركي العيا
دة هجراً ولا جفا
لم أطق أن أراك - يا
أكرم الناس - مُدْنَفَا

وبعد .. فهل سنعود مرضانا ونلتزم بآداب العيادة لنمسح دموعهم ونكسب غنماً دون أدنى غُرْم؟!

الهوامش:

(١) صحيح مسلم، الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، جـ ٤ ، ص ١٩٩٠، ط ٢ دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٧٢م.
(٢) صحيح البخاري، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري، جـ ٧، ص ١٥٠، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت.
(٣) مختارات البارودي من شعر بني أمية وبني العباس، محمود سامي البارودي، جـ ٢، ص ٢٨٧، ط المكتبة الجامعية، مكة المكرمة ١٩٨٤م.
(٤) ديوان صفي الدين الحلي، ص ٢٤٣، ط دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٣م.
(٥) ديوان البحتري، شرح وتعليق د. محمد التونجي، جـ ١ ، ص ٣٦٧، ط دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٤م.
(٦) ديوان ابن عبد ربه ، تحقيق د. محمد رضوان الداية، ص ٧١، ط مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٧٩م.
(٧) ديوان المعاني، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، جـ ٢ ، ص ١٦٧، ط عالم الكتب، بيروت.
(٨) ديوان البحتري، جـ ١ ، ص ٣٦٧.
(٩) الأمالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم، جـ ١ ، ص ٣٣، ط دار الكتب العلمية، بيروت.
(١٠) ديوان صفي الدين الحلي، ص ٤٧٢.
(١١) شرح ديوان أبي تمام، إيليا الحاوي، ص ٤٣٩، ط دار الكتاب اللبناني - بيروت ١٩٨١م.
(١٢) الاماء الشواعر، أبو الفرج الأصبهاني، تحقيق د. نوري حمودي القيسي، د. يونس أحمد السامرائي، ص ١٠٣، ط عالم الكتب، ١٩٨٤م.
(١٣) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء، أبو القاسم حسين بن محمد الراغب الأصبهاني، جـ ٢ ، ص ٤٣٩، ط دار مكتبة الحياة، بيروت.
(١٤) لزوم مالا يلزم (اللزوميات)، أبو العلاء المعري، جـ ٢، ص ٢٢٠، ط دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٣م.
(١٥) ديوان البهاء زهير، ص ٣٨، ط دار المعارف بمصر، القاهرة.
(١٦) ديوان ابن المعتز، ص ٣١١، ط دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠م.
(١٧) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبو علي الحسن بن رشيق، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، جـ ١ ص ٤٦، ط ٥ دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت ١٩٨١م.
(١٨) ديوان ابن الرومي، شرح أحمد حسن بسج، جـ ٣ ص ١٠٠، ط ١ دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٤م.
(١٩) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء جـ ٢، ص ٤٣٩.
(٢٠) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، أبو منصور عبد الملك بن إسماعيل الثعالبي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، جـ ٤ ، ص ١٥٨، ط ٢ دار الفكر، بيروت، ١٩٧٣م.
(٢١) ديوان الصبابة، شهاب الدين أحمد بن حجلة المغربي، ص ١٥٣، ط دار مكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٤م.
(٢٢) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، جـ ٢ ص ٢٧٦.

المرأة والبيئة

بيئة واحدة.. لا يوجد إلا بيئة واحدة علينا جميعا، أن نتشارك فيها، وعلينا أيضا أن نتقاسم مسئولية الحفاظ عليها، وإنها لمسؤولية خطرية حقا. إن بعض الناس بسبب كونهم يمتلكون أكثر أو لأنهم في مناصب أفضل يتوقع منهم المساهمة بشكل أكبر في الحفاظ على البيئة، في حين لا يتوقع من الآخرين إلا القليل، لكن كل فرد يمكنه المساهمة بشيء، ولا يوجد على الإطلاق إنسان لديه الحق في أن يجلس مكتوف اليدين لا يفعل شيئا أي شيء حتى ولو النزر اليسير.

دعونا نفكر ماذا نقصد بمصطلح «البيئة» إنه يعنى بشكل أساسى الأشياء التى تحيط بنا، وهذه الأشياء ربما تكون أشياء مادية محسوسة مثل البيوت والمتاجر والمزارع والغابات، أو ربما تكون عناصر إنسانية مثل الثراء والفقر والحرية والتقييد والجهل والمعرفة، وهنا تجدر الإشارة الى أنه لا توجد حواجز تفصل بين قسم من اقسام البيئة وآخر، دعونا لوهلة نفكر في مجموعة من الحدائق وكل حديقة تمتلكها عائلة تكون حرة في أن تفعل بها ما تشاء، ودعونا نفترض أن إحدى العائلات يصدر عنها ضوضاء وإزعاج كبيران يمنعان العائلات المجاورة من أن تفعل ما ترغب في حدائقها مثل الاسترخاء والاستمتاع بالسلام والهدوء، وأن عائلة اخرى تترك الأكياس البلاستيكية والجرائد ملقاة في كل مكان لتأتى الرياح فتحملها الى الحدائق الأخرى وتجعلها تبدو كأنها مكب نفايات، وأن حديقة مهملة تنمو بشكل عشوائي وكثيف فتحمل الرياح بذور الأعشاب الضارة منها إلى الحدائق المجاورة حيث التربة محروثة جيدا فتنمو بشكل سريع وتبدأ بمنافسة الأزهار الجميلة، وأن أشجارا مزروعة على حدود إحدى الحدائق تضرب بجذورها عميقا وبشكل واسع ممتد فتستنزف حيوية وخيرات تربة الحدائق المجاورة، الفكرة هى أن حديقة واحدة لا يمكنها أن تحيا بمعزل عن بقية الحدائق، وعلى هذا النحو فإن دولة واحدة أو قارة واحدة لا يمكنها إلا أن تؤثر وتتأثر بالدول أو القارات الأخرى، إن هنالك بيئة واحدة فقط وعلينا أن نتشارك فيها، هذه المشاركة تتجسد في سلوك، وهذا السلوك يجب أن يُعلم، ليس فقط في حصة الدرس ولكن في البيت أيضا، وهذا هو المكان الذى يمكن للمرأة فيه أن تساهم بشكل كبير في حماية البيئة.

إن على الطفل أن يتعلم بالقدوة والتوجيه واقتراح التفضيلات أن يشارك أقرانه في ألعابه، وأن يشاركهم في المساحة، وفي أفراحه، ويشاركهم أحزانه، والمشاركة تعني أن يكون الواحد حساسا تجاه حاجات وأمزجة الآخرين، إنها تعني أن ندرك أن الشخص المريض لا يطيق الضجيج، وأن الشخص المرهق سوف يقدر المساعدة البسيطة، وأن الوحيد يتوق إلى زيارة، لهذا فإن الأشخاص الذين يتعلمون كيف يراعون الآخرين لن يساهموا في تلويث البيئة، وكذلك سيفعل الذين تعلموا كيف يحترمون ويحبون جميع اجناس الطبيعة من النباتات والأزهار والأشجار إلى الفراشات والطيور والنمور.

خلال السنوات الأولى من حياة الطفل تكون الأم صاحبة المركز الأفضل الذي يمكنها من غرس مثل هذا السلوك في ذهن اطفالها، وهذا يمكن أن يتحقق بأبسط الطرق، النباتات والأزهار حول البيت يمكنها أن تساعد، وكذلك النعنع والبقدونس اللذان ينموان في الأواني الفخارية على شرفة غرفة الطفل، إن أطفال المدن بعيدون تماما عن مصادر الطعام الذي يأكلونه، وكل ما يعرفونه انهم ما داموا يملكون المال يستطيعون شراء البطاطا والفلفل والأجاص، وإذا سألتهم أي من هذه ينمو على الأشجار فإنك على الأرجح ستحصل على أجوبة مفاجئة، ولكم هو مختلف سلوك الطفل الذي تعلم أن يقدر الطبيعة عن طريق مراقبة حبة فاصولياء مزروعة في وعاء صغير

بقلم : ليلى عبدالفتاح أبو السعود
- الاردن -



وهي تنتفخ ثم تنقسم وينبعث من أسفلها جذر ثم بعد ذلك تتفتق عن برعم، إن مثل هذا الطفل يتــوقع منه أن يظل يحترم البيئة بشكل فطري.

إن على المرأة أن تأخذ أطفالها الصغار الى حدائق المدينة مــرات عــديدة، وأن تضــغط على السلطات لبناء حـدائق أكـثـر وأفـضل، وأن تضـغط على المدارس أيضـا لتحويل جزء من ساحة اللعب الى حديقة يتعلم فيها الأطفال معنى الزراعة وإزالة الأعشاب الضارة وري ومراقبة الأشياء وهي تنمو ومن ثم جني المحصول، ومن المهم ايضا أن يتعود الطفل على بيئة نظيفة ومرتبة، فيعمد وبدافعية ذاتية بعد النزهة إلى أن يلملم النفايات ويجمعها في أكياس لا أن يتركها مبعثرة هنا وهناك، وأن لا يرمي الزجاجات الفارغة في البحر، هنا ـ مرة اخرى ـ يمكن أن يكون تأثير الأم كبيرا، إن هذه الأشياء قد تبدو صغيرة ولكن من تجميع قطرات ماء كثيرة يمكنك أن تحصل على بحيرة.

دعونا نهتم بواحد من اشكال التخلص من النفايات وهو إعادة التدوير Recycling إن هذه الطريقة لم تستخدم على نطاق واسع في القطاع العائلي، وهنا تستطيع الأم بالتعاون مع المدرسة أن تساعد في غرس عادات إعادة التدوير في نفوس الأولاد، وعبوات المشروبات الغازية الفارغة مثال واضح على هذا، إذ يسهل على الطفل أن يقوم بجمعها من الأصدقاء والجيران ثم يأخذها بعد ذلك إلى المدرسة حيث يمكن للصفوف أن تتنافس على أيها يجمع منها أعدادا أكبر، وفي نهاية كل فصل دراسي تباع هذه العبوات، ويمكن أن تستخدم عوائد البيع في شراء شيء مفيد تحتاجه المدرسة، أو يمكن التبرع بها إلى أحد الطلبة المحتاجين، كذلك يجب الحرص على إرسال الكتب والمجلات المستعملة الى حيث يحتاج اليها لا أن ترمى في صندوق القمامة، ويحسن بمرفق التعليم أن يجعل الكتاب المدرسي المقرر دولة بين طالبين على الأقل في سنتين دراسيتين متعاقبتين.

من المريح أن نعلم أن هنالك أشياءاً عملية يمكننا القيام بها بسهولة ويسر لمساعدة البيئة، ولكن علينا أيضا أن نحاول اكتساب فهم أوسع لمشاكل التلوث وأسبابه، مثلا فإن في مقابل الحصول على الورق الأبيض تنبعث الى الأنهار والبحار بعد عملية تبيض الورق الديوكسينات Dioxins والتراكلوروديوبنزوديوكسين الذي يشار إليه بالرموز TCDD والذي يعد واحدا من أخطر الكيماويات التي انتجت على وجه الأرض، والعملية نفسها تستخدم في انتاج المناشف الصحية البيض وحفاظات الأطفال البيض، إن الضغوط يجب أن تمارس لنشر مثل هذا النوع من الحقائق في وسائل الإعلام الجماهيري باسلوب منفتح بعيد عن التحفظ قدر الإمكان، وباعتبار أن المرأة تقوم بمعظم عملية التسوق للعائلة فإنها يمكن أن تساعد بمقاطعة السلع التي تعلم أنها مضرة بالبيئة.

حتى وقت قريب كانت القضايا الاقتصادية والسياسية هي المسيطرة على الجدال العام العالمي، أما الآن فإن التوازن البيئي هو الذي يجب أن يكون محط الإهتمام الرئيسي، وها نحن جميعا على هذا الكوكب الأرضي الواحد نتشارك نساءاً ورجالا في نفس البيئة، ونتقاسم مسؤولية جعله في وضع أفضل لا أسوأ، إن المشاكل رهيبة، ولكن بالمعرفة والتشجيع المتبادل وببذل الجهد فإن الجنس البشري إذا اجتمع يمكنه أن يفعل الكثير في حل هذه المشاكل.

هل هناك حلول

يعتقد بعض الشباب ان مباهج الحياة وميادين المنافسة ومقومات الشخصية هي تلك المظاهر المادية المتمثلة في المظهر الخارجي لكل شاب، ذلك المظهر الخارجي الذي يعكس نتيجة وقوف الساعات الطوال أمام المرآه للتعديل والإصلاح والتثبيت للخروج بعد ذلك بمظهر يحسده عليه الرفقاء ويقتدي به الصحاب، وقد يلجأ البعض منهم لاستخدام أدوات الزينة النسائية للحصول على أفضل النتائج المكنة، بالإضافة الى سيارة فارهة تتماشى مع أحدث ما وصل الى السوق من ماركات عالمية معينة للسيارات التي تمتلىء بها شوارعنا بشكل يدعو للخوف، سيارة قد تكون هدية غير متعوب عليها من السيد الوالد أو حتى قد تكون سيارة مستأجرة لبضع ساعات أو يوم كامل تمشياً مع قدرة الشاب المادية.. أو هى سيارة صديق مخلص رغب في ابداء وفائه لصديقه بإعارته إياها ... الخ.

ولا مانع لدى بعض الشباب من المثابرة على التسكع هنا وهناك لتصيد فتيات مهملات من التوجيه الأبوي والرقابة الأسرية، لتقوم بين الطرفين الشباب والشابات تلك الممارسات المملة والسلوكيات المعروفة المزمنة التي يعرفها الجميع ولا حاجة للتعريف بها.

فهي مباراة تافهة للوصول الى لقاء برمي الأرقام الهاتفية لتأسيس علاقة خاطئة وملء الفراغ واستعراض المواهب أمام الأصدقاء.. وقد تكون لهذه التسلية الخطرة نتائج وخيمة ونقاط تحول مريرة تؤثر على كرامة الفتاة الغريرة وتؤثر على مستقبلها وتتركها حطاماً بشرياً يتنفس خزياً وعاراً.

هذه هي النوعية الخاطئة من الشباب التي نرجو أن تختفي من المجتمع وقبل هذا يجب أن تعالج فهذه ظاهرة مرضية لا يجب التهاون بها، نلفت النظر اليها ونبدي آراء للإصلاح وبكل اخلاص وتواضع.

نبدأ الإصلاح مع ابنائنا وفي أسرنا قبل أن نلوم شباب الأسر الأخرى ونحرص على عدم التهاون في المعالجة والإصرار على الإصلاح والمثابرة في لفت الانتباه وتسليط الضوء. واقتراح الحلول.. التي يجب على ذوى الاختصاص ومن بيدهم القدرة على اتخاذ القرارات.. تقبلها ودراستها للمصلحة العامة التي هي غايتهم الدائمة.. التربية يجب ان تتسم باحترام الخلق والمبادىء التي تربينا عليها وتوارثناها جيلا بعد جيل ولا نعنى بتربيتنا ورعايتنا لابنائنا توفير كل وسائل المادة والترفيه لهم وبكل سهولة وتتابع.. لابد من الحزم والصرامة لعطايا الوالدين وإنعامهما على الأبناء وعدم تقييم الشباب لهذه العطايا وهذا البذل السخي المشجع لابد من الرقابة الصارمة على بناتنا واختيارهن لصديقاتهن من الزميلات وغير الزميلات وتتبعهن بالنصح ولإرشاد أولا ومعرفة الأماكن اللاتي يزرنها أو الأسواق والمكتبات التي يقصدنها لشراء مستلزمات الدراسة وطلبات المدرسة والجامعة أو الأماكن الخاصة بالترفية والتسلية الى آخر ما هنالك من مجالات وأماكن لتساعد على التقاء الشباب من الجنسين.

نشعرهن بالثقة التامة ولكن نلزمهن بترجمة فعلية لكونهن جديرات بهذه الثقة فالثقة أمانة لدى المؤتمن.

ولا نزال نتبادل مع الأبناء الآراء والمناقشة وقد تنحرف هذه المناقشة الى اتهامات منهم الى الآباء

بقلم : هند أحمد هرسانى
- جـدة -





والأمـهـات. بالإضـافـة الى تبـريرات ظاهرها الحق وباطنها الباطل تعكس ضحالة الخبرة وافتقار الممارسة وعمق الفهم.

إن الشباب هم نتاج واضح لاستثمار الأمة فهم برهان قوي على نجاح العملية التربوية أو فشلها والتي تؤثر سلباً أو إيجاباً على المجتمع ككل.

لا مـانع من أن يعيش كل شـاب حـياته ويتـمتع بمزايا الشباب وإشراقة أيامه ويغتنم ما فيه من فرص ومكاسب.. ولكن .. بعـيـداً عن الرذيلة وسـفـاسف الأمور.

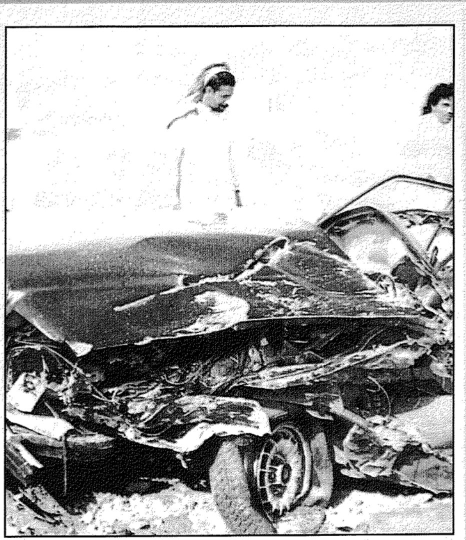
بعـيـداً عن الأخطاء وتكرار المآسي والسـيـر في طريق فـشل فـيـه الآخـرون وتهـاوى على جـانبـيـه المنحرفون!.

ومهمتنا في رأي رسم الخطوط الواضحة وتسهيل كل السبل نحو الفضيلة والقيم والمبادىء بتطبيق سليم لقواعد التربية الإسلامية التي نجحت الأجيال السابقة عندما طبـقـها الوالدان كعلاج ناجح لمشاكل الشباب، وقانون متكامل متفهم لطبيعة هذه المرحلة من العمر واحتوائها بشكل سليم وكفاءة واضحة فلن يصلح هذه الأمة إلا ذلك الإرشاد والتوجيه الديني الذي صلح به السلف الصالح على توالي الأجيال ومر العصور فهو منهاج من رب الناس لمعالجة ما في نفوس الشباب من انحرافات والله تعالى اعلم بما يصلح عباده ويهديهم سواء السبيل.

واعتقد ان اعطائنا الضوء الأخضر للشباب بحجة الحرية الشخصية أو تحت مسميات أخرى ليفعلوا ما بدالهم ويتجـاوزوا القـوانين هي أول مـؤشرات الهدم والإيذان بالتقهقر والخذلان لهذه الأمة العريقة.

اتمنى أن نملأ أوقات الشباب بما هو صالح ومفيد وبتدرج وفهم ودراسة وبشكل واقعي لا يشعرهم بأنهم مستهدفون ولا مستفزون من قبل أولياء الأمور انما هي سلوكيات يجب ان تمارس بعفوية وتَقَبُّل واقتناع فهي الطريق الأمـثل لنيل الشـرف والمكانة المحـتـرمـة في المجـتـمع.. يجب أن نحـدد لهم المعـايـيـر السليـمـة الصحيحة كي يحظى كل شاب بالإحترام والإعجاب.

إن خواء أوقات الشباب من المسؤولية وافتقارهم



لما لا نعطي الشباب الفرصة لإبراز الرجولة الحقيقية واستثمار النشاط وصرف التفكير الى قنوات صحيحة وسليمة كعلاج لمشاكلهم المتمثلة بعدة اشكال ومظاهر كظاهرة تعاطي المخدرات ٠٠ لما لا نلزمهم ونطالبهم بحقوق امتهم ووطنهم على القادر منهم وأحسبهم كثير٠٠

وفي ذات الوقت نعد جيلا إن لم يكن قد سلم من آفات زمانه وابتعد عن تحديات عصره فإنه أقدر مع سابق اعداده على أداء الواجب عندما يحتاجه الوطن؟٠

ارجو ان نشغلهم بالفضيلة في كل المجالات وتنوع الميادين هذه الفضيلة التي قد ترهقهم ويعترض عليها الكثير٠

ولا نتركهم لبحبوحة العيش واتساع الفراغ وسيولة المادة لدى البعض منا ثم نبكي على مصيرهم بعد ذلك٠

هناك حلول كثيرة لا تخفى على الجميع ولا تفوت كل مخلص ٠٠ ولكنى آمل ٠٠ أن تكون الحلول فعَّالة مؤثرة محسوسة مُلزمة لجميع مستويات الشباب دون استثناء فالجميع سواء تحت الراية الخضراء٠٠ والكل في خدمة الوطن سواسية ملزمون بتأدية الواجب حماية لهم من انفسهم وتوجيهاً سديداً نحو الصالح العام وتذكيرهم بالقيم والمبادىء وتحديد الأهداف ودعوتهم للتوجه اليها عن اقتناع صادق واحترام عميق وتكون بالتالى هى شغلهم الشاغل الذى تتلاشى عنده كل سفاسف الأمور التي تحوز علي فكرهم وأوقاتهم٠

الى قيم ومباديء سامية يضحون من اجلها ليس لعدم وجود هذه القيم بل لانشغالهم عنها لانغماسهم في الملذات واقتدائهم ببعض افرازات الحضارة المادية السلبية إن لم نقل الخاطئة مما جعلهم ينصرفون الى وجهة أخرى ومُثُل جوفاء أو رموز للنجاح واهداف للتقدم والحرية هي في دوافعها وطبيعتها فخ كبير لسقوط الفضيلة وضياع المباديء٠

احتواء الشباب يعنى ملء الفراغ واستنهاض واستحداث القيم الوطنية التي تهيئهم عند الحاجة للدفاع عن الوطن وتغرس فيهم معاني الرجولة الحقة والشجاعة والقيمة الحقيقية للقوة واستثمار النشاط بشكل إلزامي ومنظم٠

ذلك النشاط وتلك الحيوية يجب أن تُصرف طاقتها الى حيث الوضع الطبيعي٠

لمن تكتب قصائدي؟!



لمن أكتب قصائدي .. ولمن سأبعث بأشعاري
فالذي كان يسمعنى
ويلملم بأصابعه خصلات شعري
قد أنكر وجودي ورحل .. ودفن ما بيننا تحت التراب
ومزق كل أشعاري
كنت أهواه فما هوى قلبي سواه..
وأهذي بالشعر وخصرى على ذراعيه
وظل يقول لي دائما حبيبتي
فهل حقا كنت حبيبته .. وهل كان مغرما بما كنا كتبانه
والآن وقد انتهت قصتنا
وأخذت سنين من حياتى
وعدت من حيث أتيت.. أعود .. فأجد نفسي وحيدة..
وأسأل .. لمن ساكتب قصائدي
وفجأة تنتشلنى ذكريات الحنين .. وأجد الدمع ملء الجفون.
أحدق في زوايا البيت.. في قصائدي .. إننى أتحسس أنامله فوقهم.. إلهي .. أشياء تقيدني ..
فكيف أنجو من الأشياء
هنا كان يجلس .. يرتشف القهوة.. هنا بقايا من سجائره .. من ضحكاته.. بقايا من عطره وشذاه..!
فكيف أنساه ربَّاه؟!
هل سيعود يوما .. هل سيذكرني..
وهل سيضمنى الى ذراعيه
فأسمعه من بعض شعري
من قصائد مهملة انتظرته طويلا
لكي تقرأ وعينى في عينيه.

نجوى زاوي
- الجزائر -



أوراق زوجية

٩٨١ ـ أبو عواد:

بت على يقين أنك تنتقمين، أقر أن طعناتك موجعه، لكن لا تنسي أنني أستطيع في لحظة أن أهدم كل ما بنيتـه لك وأن طعنة واحدة مني قد تكون النهاية لكل أحلامك، فالكريم يا بنت الناس لا يهان.

٩٨١ ـ أم عمرو:

عندما تصل حالة الزواج إلى أن يتربص كل من الزوجين بالآخر ويتوعد بالانتقام يكون هذا الزواج قد تعدى الإنعاش وفي طريقه إلى المقابر وعلى كل من الزوجين أن يطوى صفحته وينساه ويبدأ من جديد بعد تقليم مخالبه ونزع أنيابه لعله ينجح في المرة الثانية.

٩٨٢ ـ أبو عواد:

باستطاعتك تصحيح الخطأ وتدارك الأمر وتعويض ما فات إلا تفعليها وخلال أيام معدودة فعلى نفسها جنت براقش.

٩٨٢ ـ أم عمرو:

الزواج لم يكن ولن يكون تهديداً ووعيداً من أى من الطرفين للآخر. الزواج تفاهم واستعداد مستمر للتنازل والتضحية وانكار الذات يتم تبادلياً بين الزوجين حتى يتعلم كل منهما متى يكون عليه أن يتراجع والأخطاء لا تصحح أبداً من جانب واحد، فهى غالباً تتم في حركات متبادلة ودوائر مفرغه تتطلب تعاون كل من الزوجين على القضاء عليها وحلها.

٩٨٣ ـ أبو عواد:

أعترف أنني أحببتك من كل قلبي وألقيت بين يديك جميع أوراقي وكنت صريحاً معك للغاية ولم أكن يوماً مغلقاً أو أضمر لك السوء، فإذا كان هذا سينقلب عليّ غما وهماً فانني على استعداد لقلب الطاولة على رؤوس كل المجتمعين ذلك أن عاقلا واحداً لا يقبل أن يستغفله أحد كائنا من كان حتى لو كان ذلك الحبيب.

٩٨٣ ـ أم عمرو:

لم نسمع عن زوج قدم لزوجته الحب والصراحة والرعاية وانقلب ذلك عليه استغفالا إلا زوج ملكة النحل وعلى العموم لو حدث هذا فهذه الزوجة لا يبكى عليها وخيرها في غيرها.

٩٨٤ ـ أبو عواد:

الرجل غالباً يثمر فيه المعروف ويزن الأمور بميزان العقل أكثر من المرأة التي قد تجد نفسها في لحظة في حل من كل تبعات حاضرها وأمسها وغالباً ما تصبح ضحية سوء تدبيرها حينما تعتقد أن الأمر من اليسير تمريره بهذه السهولة، فالذى لا يحسب حساب الخسارة في التجارة لا يحسن أن يخطط في منشأته لتحقيق الأرباح.

٩٨٤ ـ أم عمرو:

اذا تحدثنا عن الزواج بلغة الأرباح والخسائر لهدّمت كل منشأته على رؤوسنا، إن الربح الوحيد في الزواج هو الأمان والاستقرار لكل من الزوجين وتربية ابناء صالحين وأصحاء وهذه ليست تجارة لأنها لا تحسب في الأخذ والعطاء. ولا أعتقد أن المرأة تمانع من أن يظل الرجل ممسكاً بزمام الأمور حامياً للأسرة من التمزق وربنا يزيده عقلا.

٩٨٥ ـ أبو عواد:

الخداع طبع يقترن عادة بضعاف المخلوقات كوسيلة للدفاع عن النفس. لهذا فالمرأة المعروفة بضعفها هي اكثر خداعاً من الرجل الذي لا يعد ضعيفاً مقارنة بها، والذي بالطبع يكون ضحية خداعها!! وحيث يوجد خداع يوجد كذب، والثقة والكذب لا يجتمعان، من هنا يجب أن تعرف المرأة لماذا لا يثق الرجل فيها بسهولة إلا إذا لحب ضباها واحدودب الظهر!! وحتى هذه قد تدس إلى العطار ميرة أهلها لعل العطار يصلح لها ما قد أفسد الدهر وتعود كسابق عهدها بصباها.

٩٨٥ ـ أم عمرو:

اذا سألنا أى رجل عن أمه لوصف لنا مخلوقاً رائعاً في كل شيء. واذا سألناه عن



المرأة لقال لنا أنها مخادعة وضعيفة وكاذبة... الخ هذه القائمة الرديئة من الصفات ربما لو تذكر الرجال دائماً أن كل الأمهات نساء لتغيرت الصورة وبالمناسبة لو كان الرجل قوياً في عضلاته والمرأة ضيفة في عضلاتها وقوية في عقلها لكان هذا تمييزاً للمرأة.

٩٨٦ - أبو عواد:

إن معظم المشاكل التى تنشأ بعد الزواج مردها خداع المخطوبة للخاطب، فهي توقعه في حبائلها بشكل أو بآخر وتتظاهر له بالوداعة والطاعة، وتسكره بخمر كلماتها وسحر نظراتها حتى يهذي ويفقد توازنه ثم يترنح ويخر معانقا الأرض تحت أقدامها، ليفاجأ بعد اليقظة أنه أمام إنسانة أخرى غير التي خطبها، ومن هنا يبدأ التغير من جانبه في المعاملة وهو تغير رد الفعل وليس تغير الابتداء مع الاقرار بالطبع أن لكل قاعدة شواذ وهناك استثناءات كثيرة لكنها ليست مقياسا في ظل الأغلب والأشمل.

٩٨٦ - أم عمرو:

اذا أوقعت المخطوبة خطيبها في حبائلها ولم يستطيع اكتشاف عيوبها من كلمة تفلت أو عادة تبدو نقول له «القانون لا يحمي المغفلين».

٩٨٧ - أبو عواد:

ثمة نساء ناقصات يؤكدن في كل كلمة وخطوة وتصرف اصابتهن بعقدة الحداثة والعصرنة الغربية سواء في المظهر أو الجوهر وما يوحي به الأول أو يقضي إليه الثاني من سلوكيات، اعتقاداً منهن أن ذلك يشكل بعداً ثالثاً للأنوثة، وأنا هنا أؤكد كرجل شرقي يعتز بعروبته واسلامه أن المرأة التى تفقد أصالتها تفقد عند الشرقي أنوثتها حتى وان فغر فاه لرؤياها!! لأن الشرقي حتى وان تغريه كريمات الكيك إلا أنه لا يشبعه إلا العيش البلدي.

٩٨٧ - أم عمرو:

عقدة الأخذ من الغرب عقدة ثقافية يقع فيها الرجال والنساء بل يقع فيها مجتمعات بأكملها وهى مرحلة ستنقضى عندما يتم نضج الثقافة الجديدة التى امتلأت بالبدائل الغربية ويتم احتواء هذه البدائل في مضامين ثقافية اصيلة وقتها سيرجع كثير من النساء والرجال إلي عادات تركت وسيأخذون من الآخرين بدون خوف أو اتهامات، انها مشكلة ثقة بالنفس وهي عامة ولا تخص جنس النساء وحدهن.

٩٨٨ - أبو عواد:

إن كنت فعلا امرأة جادة في انهاء المشكلة مع زوجك فلماذا لا تصارحيه أنك قد أخطأت فعلا في حق أمه وتعتذري لها وله وتنتهي المشكلة ولماذا كل هذا الاصرار على أن أمه هي الخطأ وأنت الصواب!؟ فهل تنتظري أن يصدر حكماً عاجلا بنفي والدته أو تأبيدها في سجن انفرادي!؟.

٩٨٨ - أم عمرو:

احترام الزوجة لأم زوجها مثل احترام الزوج لأم زوجته موروث حضاري يجب على الجميع الحفاظ عليه وتعليمه للصغار. ولكنني اعتقد أن صعوبة العلاقة بين الزوجة وأم زوجها قد تنشأ من أخطاء يرتكبها الزوج عندما يصر على المقارنة بين أمه وزوجته في كل مناسبة مما يولد احاسيس غير طيبة لدى الزوجة تدفعها لسلوكيات غير مرغوبة أو مقبولة في حضارتنا.

٩٨٩ - أبو عواد:

مخطئة من تعتقد أن رصيدها في الاثارة والأنوثة يجعلها بمأمن عن انتفاضه المتذلل في بلاطها يوماً. فالغرائز قد تستعبد بعض الرجال في لحظة ضعف لكنهم لا يلبثوا بعدها أن ينتقموا لكرامتهن شر انتقام، إن لم يكن الاعجاب والقناعة بالآخر يتجلى على اكثر من صعيد بعيداً عن لحظات الانصياع لاستجابات فطرية.

٩٨٩ - أم عمرو:

حقيقي أن المرأة التى تعتمد على أنوثتها فقط امرأة ضعيفة وهى من بقايا زمن حُرمت فيه المرأة من التعليم واوقف نموها تحت سطوة الرجل. والحمد لله جنس النساء يتخلص من هذا النوع تباعاً حتى اننى اعتقد أن المرأة التى تعتمد على انوثيتها وتلغي عقلها في طريقها الى الانقراض.

٩٩٠ - أبو عواد:

الحمد لله الذي مكن ثوب الحياء من أجساد نسائنا وإلا لقلنا أن نساءنا فضائيات عورتهن من عظمة القص إلى عظمة الفخذ!!

٩٩٠ - أم عمر:

الله يديم على نسائنا ورجالنا معاً ثوب وسلوك الحياء. (نعمة مين يطول!).

رسالة من العقاد إلى السيدة الجميلة

حبيبتي مي:

نبـــــئــيـنـى يـا مـي

نبـئـيني عن الـهـوى نبـئـيني

يـا رجـائـى وسلوتـى وعـزائـى

وألـيـفـى إذا اجـتـوانـى الألـيف

نبـئـيـنـى فلست أعلم مـاذا

منك قلبـى بـحـسنه مـشـغـوف

كل حـسـن أراك أكـبـر منه

إن مـعـنـاك تـالـد وطـريـف

لست أهـواك للجـمـال وإن كـا

ن جـمـيـلا ذاك المحيـا العـفـيف

لست أهـواك للـذكـاء وإن كـا

ن ذكـاء يـذكـى النهى ويشـوف

لست أهـواك للـدلال وإن كـا

ن ظـريـفـا يـصـبـو إليـه الظـريف

لست أهـواك للـخـصـال وإن ر

فّ عـلـيـنـا مـنـهـن ظـل وريـف

لست أهـواك للـرشـاقـة والرقـ

ـة والأنس وهـو شـتـى صنوف

أنا أهـواك «أنت» أنت فـلا شـ

ىء سـوى أنت بالفـؤاد يطيف

تلك أنشـودتى إليك يا لحن حـيـاتى وأغـرودة أحلامي.

أنشودتي إليك في عيد ميلادك المديد السعيد بإذن الله..

إن الزمان قد ادخرك لى أنا وحدى دون سائر العالمين.. أعلم أن الكثيرين يهفون في شوق إلى أعتـابك ليـقـبسـوا من نور مـحـيـاك في حـضـرة رضوانك، وكلهم في رحابك يشخصون إليك، ومع ذلك فما النظرة إلا لي، ولا افترار الثغر عن ذوب الهوى إلا إلى شفتى. فأى سعيد أنا بين السعداء؟ بل أى سـعـادة هي التى أنعـمت بهـا على؟ لقد أفاءت ظلال حنانك وإيثارك لى وحدبك عليّ بنعمة السهاد فبالله يا مي لا تحرمينى من أجمل سهاد، من أحلى سهاد:

محمد عبدالواحد حجازي
- مصـــر -

سـهدى حُلمى السعيد
وجلَّ حلمى عن الهجود
في يقظة الحب أيّ نوم
يرقى إلى ساحة الخلود
وأى حلم في النوم يغنى
عن حلمُ العاشق المديد
يا مغمضى العين بين ليل
غاف وصبح لهم جهيد
خذوا خذوا النوم واتركوا لى
تيقظ العاشق الفريد
من كان بالسهد في شقاء
فإننى الساهد السعيد

جبيبتى مى:

ويسعدنى غاية السعادة أنك تقسطين بين عشاقك ومحبيك، والمتدلهين في ذكائك وبهاء محياك.. تقسطين بينهم في الحبِّ والتقدير والتكريم.. وهذا لعمرى سلوك اجتماعى أو آداب اجتماعية تحمدين عليها وتشكرين ولكن الحب لا يعرف سوى الإيثار والتمييز وأنا لا أرضى بغير التفرد والامتياز فهل يا ترى تتحقق تلك الأمنية؟ هل تعرفين كيف تتحقق؟ بصورة منك.. صورة منك يا مى، وتوقعين عليها باسمك.. لا، لا، بل تحيينها بنفحة من عطر أنفاسك:

أدعوك باسم على ما فيه من
وافى المسماة من حسن ومن طيب
فيه اختصار فلم يُخلق لحاشية
تزيده بل لإيجاز وتحبيب
كجوهر في يد اللآل قد نفست
به أنامله عن كل تركيب
وإن لى رغبة، تدعوك ضارعة
فلا تضنى بها يا خير مرغوب
الله في الكون خافيه وظاهره
لم يخله الحس من وصف وتقريب
وفي الهياكل آيات تمثله
وهو الممثل في شتى الأساليب
وأنت أقرب من أرعاه ما ظفرت
عينى بتمثال حسن منك مرقوب
تمضى الأسابيع بالساعات أحسبها
ولا ملاقاة إلا بعد تغييب
إذا ارتوى القلب من ذكر يُعلُّ
فالعين في عالم كالقفر مجدوب
فليت لى منك طيفا إنّ لى حلما
رحب الجوانب موْشيّ الأعاجيب
طيفا على صفحة القرطاس مرتسما
الحظ منه نصيب غير مكذوب

إذا أطل على الأحـــلام حل بهـــا

كصورة القدس حلت في المحاريب

لئن سـخـوت بهـا لن تندمي أبدا

على اعـتـقـادك في برى وتجـريبى

إني كـعـهـدك طمـاع فلى أمل

مُـغـرى بأجـمل وهّاب ومـوهوب

حبيبتي مي:

إننى على يقين، كما عودتنى دائما، بأنك لن تضنى علي بهذه «الصورة» مهما قسوت عليك فلكم قسوت أنت.. وربما رجعت قسوتك على إلى أنك على يقين من عمق حبى لك وتهيامى بعذب لفظك وباسم ثغرك وذكى رأيك وعمق تفكيرك وخفة روحك الطروب.. ولهذا فكثيرا ما تختلقين أسباب الخصام فتثورين لأقل بادرة تفلت منى عن غير قصد.. وكثيراً ما تهددين وأنت في سورة من الغضب الهائج بأنك على الهجران قادرة وعلى فصم عروة الوداد لا تترددين.

وبين التهديد والوعيد الذى لا أرى له باعثا معقولا ولا سببا واضحاً أجدنى في حيرة من أمرى معك.. لماذا الجموح في الدلال إلى حد التهديد بفصم عرى الوصال؟ لا.. لا.. يا حبيبتى، ها أنا ذا اليوم وفي ذكرى ميلادك يسعدني ويفرح قلبى أن أزجى إليك النصيحة..

عفواً يا حبيبتى عفواً، بل أهمس إلى قلبى أن يصبر ويصابر ويتجمل بحلاوة الهوى ليدوم لنا الحب حياة نحيا بها ولحنا يسكرنا عن الهموم والأتراح.. فيا حب مي، بل يا فؤادى أنا: اتئد واستيقن وتدبر ولا تعجل على الحبيب بظلم:

تدبر فـؤادى إنه الـهـجـر والقلى

ومـبـدوء أمـر لا تُرد عـواقـبـه

فـمـا كـان هينا مطلب تستـهـينه

ولا كـان أمناً مـركب أنت راكبـه

وللقلب حــالات وللحب نكســة

ومـجـهـول غـيب لا تماط غـياهبه

قليلٌ غناء الصبـر عنك إذا غـدا

حـبـيبك يزوى قلبـه عنك سـالبـه

وترعـاه مـحسـورا وتدعـوه يائسـا

ويغلبك الشـوق الذى أنت غـالبـه

فـلا تقطع الحبل الذى إن قطعتـه

مضى غير موصول مدى العمر جانبه

حبيبتي مي:

يطيب لى ويسعدنى في عيد ميلادك أن أهدي إليك ثلاث هدايا طالما حرصت على أن أهديها إليك، وها قد حان وقتها وطاب أوانها:

أما الأولى: فهى نصيحتى إليك وأنا المجرب الخبير بفعال الناس ونياتهم، والمجرب الخبير بما



يتظاهرون به ويضمرون.. فإياك يا حبيبتى أن تأمنى لأحد من الذين يطوفون بك ويسعون إليك ويزدلفون نحوك باسمين فما تضمر قلوبهم إلا سوء الخبث وسوء القصد:

هلا علمت وأنت زهر مونق
أن الزهور فرائس الحشرات
لا يخدعوك بلين من قولهم
فاللين بعض حبائل الحيات
إنى ليؤلمنى الجمال إذا هوى
فارتد بين أبالس وغواة
فاجعل لحاظك كلما صوبتها
رجما لشيطان النفوس العاتى
واحفظ ودادك لذة ومسرة
للعارفين بطاهر اللذات
كُوِّنت أنسا للضمير وبهجة
وعلوت شأو مطامع الشهوات

وهديتى الثانية: هى تهنئتى لك على ثوبك الأزرق الجميل لقد كان رائعا بديعاً بك.. أنت أضفيت عليه من سحر بهائك ما زاده بهاء.. ما هذا؟ الجمال يغازل الجمال؟ أم أن الجمال يعانق الدلال؟.. حقا إنه نور على نور يفترّ عن سرور وحبور:

زيَّنته بالطلعة الغراء
ونضرة الخدين والسيماء
ولمعة العينين في استحياء
إن فاتنى تقبيله في المساء
وفي جمال القبة الزرقاء
فلى من الأزرق ذى البهاء
يخطر فيه زينة الأحياء
مقبل مبتسم الأضواء
مردد الأنغام والأصداء
وقبلة منه على رضاء
غِنى عن الأجواء والأرجاء

وهديتى الثالثة: أن أقول لك: يا عيدها زدنى هوى.. فأنت عيدى، بل حياتى وصبوتى وشبابي.. وأحلامي:

دعي الناس يحيون أيامهم
ويلهون بالضجة الخاوية
فعيدى بقربك لا ينقضى
وأعيادهم كلها فانية
إذا انتظروا العام لم أنتظر
سوى لمحة منك لى كافية
فهاتى سرورك لى صافيا
وجودى بأعيادك الغالية
ودمت لعباسك المرتضى
ومتعت بالحسن والعافية

حوارات شعرية:

حوار من طرف واحد

الحلقة الأخيرة

مازال الحوار مستمرا مع شاعر الغراميات الأستاذ/ يحي توفيق حسن. فكلما تعمقنا في خلجات نفسيته زادت حصيلتنا من الدرر واللآلىء، وعبقت رائحةالفل والياسمين تفوح من أشعاره، وشنفت آذاننا من خلال أشعاره المملوءة دفئا وحنانا وتجاربا ممزوجة بقوة الشباب وحكمة الشيوخ.



الشاعر يحي توفيق

** شاعرنا، سبق أن تحدثنا في لقاءينا السابقين في الاعداد ـ ٥٣٢ ، ٥٣٤ ـ عن الحقد وما يسببه من تفرقة بين الناس فهل أثر الحقد في تعاملكم مع الناس؟.

* قال:

وزهّدني في الناس أنّي وجدتُهم
يسرّهُمو نقصي وكشفُ معائبي
وأعجب من لا قيتُ خلا محضتُهُ
ودادي فأمسى مُغرماً بمثالبي

** فقلت: قد كنت يوما للمجالس بهجة تتناقل الدنيا صدى كلماتك، أيام كنت تصوغ الشعر في الهوى دررا تفوح بعاطر النفحات، وقصائدك يشدو بها السمّار في الأسحار بين خمائل عطرات. أفتحدثنا عن بعض قولك في الهوى.

* فقال بعد تنهد:

كم ليلة سامرت فيها بدرها
والبدر قُرْبي حاني الهمسات

حوار : عبدالهادي السيد بلاسي
ـ أسرة تحرير المنهل ـ

حلو تودده كـــأن حـــديثـــه

شـدو الطيـور بأعـذب النغـمـات

أرنو فـــتـــرتعش القلوب تَوَلّهـــا

ويذيب شـعـري إن نطقت فـتـاتي

** فـقلت: حـدثنا عن ليلة

من ليالي الهوى.

* فقال:

ليالي الهوى يحلو لدى الناس ذكرها

وتذكرها صـفـوا من البأس والحقد

عشقنا وأحببنا وتهنا ولم نزل

على الدرب نمشي تائهين بلا قـصد

عرفنا الهوى لهوا وعشناه لوعة

وذقنا الهوى مُرا وذقناه كالشهد

وإن أنس لا أنسى ليـال قـضـيـتـهـا

يطيب لقلبي ذكـرهـا في جـوى البـعـد

ليـــال مع الأحـــبـــاب والبــدر وامق

وسـاعـات لهـو قـد تلاشت بلا عـود

فلمـــا رمـــانا الدهر بالبُـــعـــد والنوى

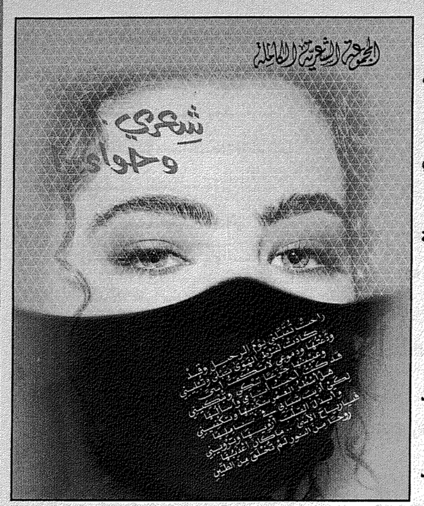
توخيت أن أخـفي أسـاي ولا أبدي

وأمـــســـيت أرجـــو أن ترق لمهـــجـــة

تنوب لطول الشوق والسُّهد والبُعد

** فقلت: زدنا من أشعارك؟

* فقال:



غلاف الديوان

وليلة شـوق بتُّ فـيـهـا على جـوى

أراقب وجـه البـدر شـوقـا إلى بدر

هـواهـا بقلبي مـــســـتكين وثابت

وحبي كما قدرت في دمها يسري

ولولا تقـاها واعـتـصـامي بنخـوتي

وعفتـهـا لم نحـفظ الحبّ في طهـر

وقـد يجـمع المولى مـتى شـاء بيننا

فنسـعـد في الدنيـا إلى آخر العمر

** فـقلتُ: شـاعـرنا: للشـبـاب عنفـوانه

وتمرّده وآراؤه وقـوتـه .. وللشـيـخـوخـة

حكمتها ووقارها ورونقها. فهل أتى اليوم الذي تردد فيه قول الشاعر:

ألا ليت الشـبـاب يعـود يومـا
فـأخـبـره بما فـعـل المشـيب

* فقال لي بحكمة الشيوخ:

ذهب الشباب فما تطيب حياتى
ومـضى زمـان الحبِّ والصبـوات
بعد ائتلاق الحسن في رنق الصِّبا
وتوهّج العـينين بالبـسـمـات
أمـسـيتُ كـهـلا لا أروق لناظر
كـابي المحـيَّـا حـائر النظرات
لم يبق منى غـيـر جـسم ناحل
وأنين قلب دائم الحـسـرات
يا للحـيـاة وزيفـهـا وبريقـهـا
كم غـرّني حـينا بريق حـيـاتي

** فقلتُ: أرى أن الشباب هو شباب الروح والعزيمة حتى وإن مضى به قطار العمـر وأوهنه الهم والتعب فـمـاذا يقول شاعرنا؟

* فقال:

وصـاحب لي رآنى بعـد غـيـبـتـه
فـقـال يرثى لحـالى مسرف العذل
مـالي أراك وقـد أصـبـحت ذا سـقـم
جمّ الشـجـون كـثـيـر الهم والعلل
فـقلتُ دعني فـإن القلب أوهنه
حـالى فـأمـسى عليـلا واهـي الأمل
حسبتُ أني مـلاق في النوى سكنا
فلم أجـد غـيـر ذلك النفس والملل

** فقلتُ: المرء يحنّ دائما إلى مراتع الشباب والصبا ويعشق الأماكن التى قضى فيها أجمل أيام حياته أفتحدثنا عن تلك الأماكن؟

* فقال:

غـادة البـحـر مـا عـشـقت سـواك
السنى منك والبـهـاء بهـاك
كم عـرفت الهـوى على شـاطئـيك
ورشـفت الرحـيق بـين رُباك
النسـيم العليل ملء سـمـاك
والهـوى فـيك عـاطر بشـذاك
أنت حُـبِّي وذكـريات شـبـابي
وصبـاي الغـريرُ بعض صبـاك
إيه (جـدَّة) إن غـرّبتني الليـالي
فـفـؤادي يهـيم فـوق ثراك
يا عـروس الحـجـاز ليلك سـحـر
وجـمـال الوجـود في مـغـناك

* * *

إيه (جُدَّه) كم عـذبتني شجـوني
وشكى القلب غـربتي وحنيني
وذكـرت (الحـمـراء) مـرتع حُبِّي
فـبكت من ذكـرى هـواك عُـيـوني

كم شـدا الطيـر في رباك وغنّي

لحن ذكـراك في فـؤادي الحـزين

فـاذكـريني يا مـرتع الحبّ إني

قـد حـفظتُ الوداد بين جُـفـوني

** فـقلتُ: الوداع .. كلمـة تعني الحزن، الشجن، المرارة، الدموع، البعد، والحنين، بالاضافة الى اجترار الذكريات أفيخبرنا شاعرنا عن يوم من أيام الوداع في حياته؟

* فقال:

ودعتـهـا ودمـوعي لا تكف أسى

وعـينهـا جـزعـا تبكي وتبكيني

قد كنتُ اغبط نفسي في مودتها

والحبّ يغـمـرني والوصل يُدنيني

واليوم أبكي عليها بعد ما رحلت

بقلب واه جـريح الروح مـحـزون

قالت وأدمعها تجري فألثمها

من فوق وجنتها «بُعدي سيضنيني»

مـا كنت أعلم والأحـلام تخـدعني

أن الزمـان سيقصيها ويقصيني

تبكي وتسألني: هل سوف تنكرني

بعـد الفراق وفي جـفنيك تؤويني

من قـال أنّك إن غُـيبت عن نظري

يغـيب طيـفك عن فكري وتخـميني

فـأنت أروع حُلم عـاش في عمُري

وأنت حبي الذي قد بات يُشجيني

وأنت سـري الذي روحي تقـدسـه

فكيف أنسـاك لا بل كيف تنسيني

وأنت آمـالُ نفـسي منذ نشـأتها

وأنت أنت الهوى في القرب والبين

** فقلتُ: شاعرنا كلُ منا يثوب ويتوب إلى ربه عما بدر منه من معاص وآثام ولكن مـا أجـمل أن تخـرج هذه التـوبة من قلب صاف ممزوجة بالشعر.

* فقال:

ياذا الجـلال وياذا العرش يا أملي

نفـسي تئنّ بأحـزان تعـانيـهـا

أوليتني مننـاً مـا عـدتُ أحصيـهـا

إن الهـدايا على مـقـدار مـهديها

أعصي وتغـفـر في حلم وترحـمني

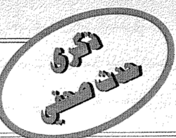
والروح تبكي وتشقيها معـاصيها

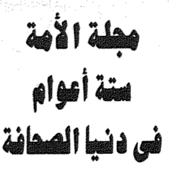
إن تغـفـر اليـوم أوزاري وتسـترها

فذاك حسبي من الدنيا وما فيها

وبهذه الأبيات الايمانية نختتم حوارنا مع الشاعر الكبير الأستاذ/ يحيى توفيق حسن الذى أمتعنا بأشعاره واستضافتنا في روضته الشعرية التى تفوح عطراً ذكيا.

فشكرا له والى مزيد من الابداع الشعري الذي يشنف الآذان ويثرى الحركة الأدبية.







هذه الصفحات تأتي لتسجل تاريخاً مضيئاً مجيداً، لصحافتنا العربية بعامة، والصحافة في المملكة العربية السعودية بخاصة، .. وهي أسطر معدودة تبقى في الذاكرة خصبة معطاءة أبدا. ودور الصحافة لا يخفى على ذي بصيرة، وهو دور هام جدا لكل مجتمع، ومنذ دخول الصحافة الى العالم العربي ساهمت في تبصير شعوبه بأمور لم يكن يتسنى لهم أن يعرفوها. ونظرا للدور البناء والمؤثر الذى تقوم به الصحافة في المجالات المختلفة لخدمة المجتمع، وإضاءة الطريق أمام هذا المجتمع للارتقاء والتحضر - فقد حرصت حكومة خادم الحرمين الشريفين الرشيدة على مؤازرة ومساندة الصحافة في المملكة العربية السعودية وتقديم الدعم السخي لها لاستحداث آلاتها والسير مع التقدم التقني العالمي خطوة بخطوة. وذلك تدعيماً لدور هذه الصحافة في تنمية المجتمع وازدهاره. وفي هذا الباب ستلقي المنهل شهريا الضوء على مطبوعة سعودية أو عربية .. متتبعة نشأتها وتطورها.

مجلة الأمة ستة أعوام في دنيا الصحافة

في مثل هذا الشهر المحرم من العام ١٤٠١هـ الموافق نوفمبر ١٩٨٠م استقبل القراء في العالم العربي والاسلامي العدد الاول من مجلة الأمة.. التى كانت تصدر بالدوحة عاصمة دولة قطر ..

وفي افتتاحية العدد الأول حددت مجلة الأمة المعالم البارزة لمنهجها ووسائل تحقيقه حيث جاء في الافتتاحية (من المحرر) أن:

«الأمة» هي مجلة جميع المسلمين في جميع بلاد العالم لأننا نرى أن الأمة بعقيدتها ومقوماتها الفكرية وليست بعروقها وألوانها وحدودها الجغرافية.. فالأمة بأفكارها ودينها وليست بأشيائها وطينها.

من هذا يتحدد واجب مجلة الأمة بالعمل على جمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم.. ذلك أن التفرقة والتنازع والتنابز واختلاف الكلمة من أخطر الأمراض التى تعصف بكيان المسلمين، وتنهك قواهم وتساهم في فشلهم.

ووسيلتنا إلى هذه الوحدة البعد كل البعد عن إثارة الأمور الخلافية والاشتغال بالفروع دون الأصول. والبعد عن طرح المشكلات التاريخية التى أشبعت درساً وبحثاً، وأنضجت حتى احترقت.. وأن تكون المعالجة لمشكلات المسلمين وتحدياتهم الثقافية والحضارية على ضوء الاسلام العظيم، وأن تأخذ بيد القارىء المسلم الى التفسير الاسلامى للحياة بجوانبها المختلفة والقدرة على تصنيف هذه المشكلات والتحديات وتقديم الأهم على المهم. (أ.هـ)

ولعل الذى تابع أعداد (مجلة الأمة) خلال فترة صدورها من العام ١٤٠١هـ إلى العام ١٤٠٦هـ قد لاحظ أنها:

١ - أولت قضايا الأقليات المسلمة. ومشكلات المسلمين في مجتمع الاغتراب أهمية خاصة، ولم تكتف بتقارير المراسلين، وانما وصلت - من خلال محرريها - الى حيث توجد هذه الأقليات للوقوف على مشكلاتهم ومتطلباتهم.

٢ - ساهمت كثيرا في مجال التعريف بمؤسسات العمل الإسلامي على مستوى العالم من خلال الاستطلاعات والحوارات وغيرها.

٣ - ابتعدت عن أساليب الإثارة وصور الحماس غير المتعقل.

٤ - حرصت على تلمس ردود أفعال القراء على ما ينشر ومعرفة آرائهم - باعتبارهم - رصيد المجلة الحقيقي، والأقدر على تحديد مشكلاتهم ومن ثم احتياجاتهم - كما قامت بعمل اكثر من استبيان للوصول لهذا الغرض.

٥ - اهتمت كثيرا بالمرأة ككاتبة ومفكرة أسهمت بقلمها في مختلف أبواب المجلة، وكقضية أفردت لها مساحة ثابتة في كل عدد تحت عنوان «الأسرة المسلمة».

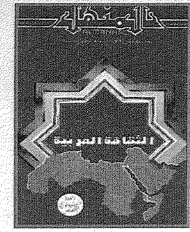
هذا وقد صدر العدد الأخير من مجلة الأمة - والذي يحمل الرقم (٧٢) في شهر ذى الحجة ١٤٠٦هـ (الموافق أغسطس ١٩٨٦م).

اعداد : يعقوب السيد حسنين



الأمن والأمان

شعبان ورمضان ١٤٠٥هـ/ مايو ويونيو ١٩٨٥ م



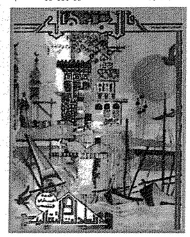
الثقافة العربية

شعبان ورمضان ١٤٠٦هـ/ مايو ١٩٨٦ م



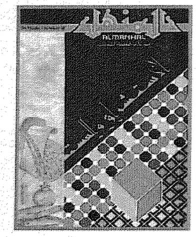
الأثر والآثار

رمضان وشوال ١٤٠٧هـ/ مايو ويونيو ١٩٨٧ م



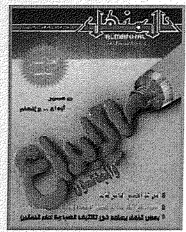
العادات والتقاليد

رمضان وشوال ١٤٠٨هـ/ ابريل ومايو ١٩٨٨ م



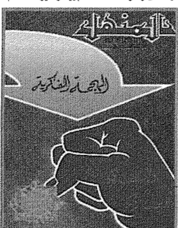
الاستشراق والمستشرقون

رمضان وشوال ١٤٠٩هـ/ ابريل ومايو ١٩٨٩ م



الابداع والمبدعون

شوال وذو القعدة ١٤١٠هـ/ مايو ويونيو ١٩٩٠ م



الهجمة الفكرية والتصدي الحضاري

شوال وذو القعدة ١٤١٢هـ/ ابريل ومايو ١٩٩٢ م



اللغة العربية .. آفاق مستقبلية

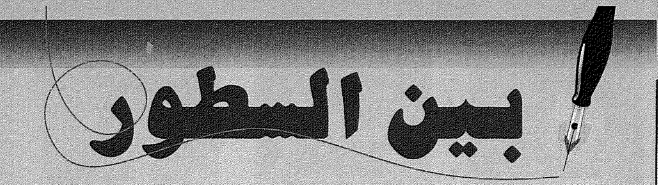
شوال وذو القعدة ١٤١٣هـ/ ابريل ومايو ١٩٩٣ م



النقد والنقاد

شوال وذو القعدة ١٤١٦هـ/ فبراير ومارس ١٩٩٦ م

من اعدادنا السنوية المتخصصة



حنان أبي:

ومضت في ذهنه الفكرة عندما شاهد في الصباح كومة التبن وقد وضعها أبوه أسفل المنزل، سوف يقفز من السطح على كومة التبن ويستمتع بالطيران في الهواء ولو للحظة اثناء سقوطه من السطح على الكومة سوف يفعل ذلك قبل أن يتحول التبن الى غذاء لبقرتهم الوحيدة ويخرج روثاً ذى رائحة نفاذة تحمله أمه وتجعله مثل الفطيرة الكبيرة لتصنع منه اقراص الوقود بعد أن تجففه على سطح المنزل..

سطح المنزل الذى سوف يقفز منه على التبن وكأنه الطيار يهبط بالمظلة التى سمع ابن عمه يقول انها ـ الباراشوت ـ لن يستخدم مظلة أو (باراشوت) فهو اكثر شجاعة من الطيارين الالمان وسيقفز بكل ثقة على كومة التبن لكن الشجاعة التى يمتلكها تخونه أمام عصا ابيه التى يقتلعها من شجرة متفرعة ويطلق عليها عادة اسم «النقز» لقد حاول ان يكون له نقز كما لابيه نقز لكنه لم يستطع سوى ان ينتزع فرعاً صغيرا من الشجرة لا يصلح ان يكون نقزاً سوف يضربه ابوه إذا علم انه افسد كومة التبن التى كومها الاب كأحد اهرامات الجيزة التى لم يرها وانما سمع عنها من ابنة خالته التى وصفت له الهرم كمثلث متساوى الساقين فزادت الهرم غموضاً على غموض حتى صنعت له ابنة الخالة هرماً صغيراً من الطوب وأفهمته ان القياس مع الفارق، كانت فكرة القفز تلح عليه الحاحاً شديداً طوال النهار ويناديه هرم التبن لكى يقفز فوقه يكاد يسمع نداءه لكنه لن يقفز الا في الليل إثباتاً لشجاعته الخارقة في القفز في الظلام بدون مظلة وبرهاناً على جبنه الفائق في الخوف من ابيه ، سوف يقفز عندما يتعالى شخير أبيه ويصبح أعلى من مدخنة الفرن البلدى الذى تخبز عليه أمه وتصنع له فيه ما لذ وطاب من اطعمة مثل الارز المعمر بلبن البقرة.

«البقرة»..! سوف يقفز على التبن قبل ان تلتهمه البقرة ويتحول الى لبن الارز المعمر والروث الذى يصنع منه أقراص الوقود للفرن الذي ...

جاءت اللحظة الموعودة بعد أن تعشى مع ابيه وصلى معه العشاء جماعة نام الاب وتناوم هو ثم تسلل بعد أن اطمأن على نوم الجميع وصعد للسطح ومن حسن حظه أن القمر كان غائباً ، القمر الذى يفضح اللصوص كان كريما معه كعادته دائما أليس صديقه؟ يتحدث معه ويناجيه ويبثه الشوق في أن يصعد على متنه ويمتطى صهوته ليسبح في بحر الظلمات.

قفز ثم اكتشف أن القمر خدعه وأن اباه حمل التبن للبقره وأن ساقه قد دقت وان صراخه أقوى من شخير أبيه وأن أباه يحبه مثلما تحبه امه فقد حمله لمستشفى القرية والدموع تطفر من عينيه ولم يهدأ الا بعد أن اطمأن عليه ووضع الطبيب جبيرة حول ساقه المكسورة.

رغم الالم كان سعيداً لانه نفذ ما عقد عليه العزم وقفز ولأن اباه يحبه وكان تعيساً لانه اكتشف خداع القمر ولأن ابنة خالته اشاعت عنه انه مريض بداء المشى اثناء النوم.

جدِّي وأنا:

يعجبنى اللون الاسمر لانه رمز للشرق الجميل ولا يعجبنى اللون الاشقر لانه رمز للغرب الاستعماري، وكان جدى يعتقد أن شمسنا الفتية هى التى تلون جلودنا بهذا اللون الاسمر الرائع لم اكن فى سن

د. عبدالغني عبدالحميد رجب
ـ مصر ـ

يسمح للشك ان يتطرق الى ذهنى لكلام جدى العزيز فقد كنت اعتقد ان كلامه قضية مسلم بها يؤخذ به في المحافل الدولية التى كنت اعلم منها في ذلك الوقت الامم المتحدة وجمعية الرفق بالحيوان وكنت اعتقد أنها هى نفسها حديقة الحيوان بالجيزة.

ولما كنت اكره الغرب الاستعمارى منذ نعومة اظفارى فقد اعجبت جداً بما رواه لى جدى عن سائحة انجليزية شقراء سافرت معه في القطار المتجه من الصعيد الى القاهرة ورأى جدي شمسنا الجميلة تدخل من نافذة القطار بكل جرأة وتهبط على نصف وجهها ويظل النصف الآخر في الظل وعندما وصل القطار الى القاهرة كان نصف وجهها قد اكتسب سمره جميلة فاضحة وكان النصف الآخر على حاله الاشقر القبيح.

وضحكت بسعادة عندما اخبرنى جدى ان زوجها الانجليزى قد القى عليها يمين الطلاق عندما عادت اليه في انجلترا بغير الوجه الذى خرجت به من عنده.

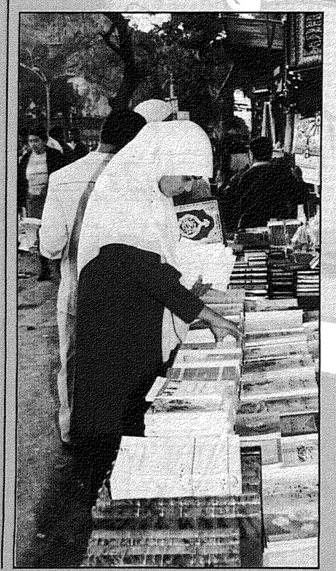
مصر العتيقة:

شغوف بالقاهرة القديمة ومنازلها العتيقة ولوع بالتوغل فى مساربها وحواريها وازقتها ومشاهدة كل جدار قديم فيها.

مازلت ذلك الطفل الصغير الذى يحوم دائما حول بائعى الكتب القديمة يحاول ان يشترى بعض ما عندهم بقروشه القليلة فيزجرونه ولا يرعوى وكأنه يريد أن يعقد صفقة معهم يعطيهم ما معه على ان يسمحوا له فقط بتصفح تلك الكتب التى يفوح منها عطر القدم فرنين الدراهم هو ثمن رائحة الشواء لكن حرصهم على رأس مالهم اثمن من ان يجعلوا صعلوكا صغيراً ينتهكه بقروش لا تسمن ولا تغني من جوع واذا كان اقرانى يفرحون بطبلة صغيرة يشترونها بقروشهم فيملئون الباحة ضجيجا بقرعهم المتواصل عليها فأنا لا يسرنى الا كتاب اقرأ فيه بعض نفسى وانشودة روحى ومقاطع من انغام ذاتى التي تأبى الانصهار في أي تيار وافد مهما كان بريقه.

أغنية أمي - أمي المطربة:

من يغنى للاطفال قبل النوم إذا كانت امهاتهم مشغولات عنهم هل الكومبيوتر أم الفيديو - كانت امى تغنى لى وانا طفل صغير لكى انام لم يكن صوتها جميلا لكنه كان يجمع حنان العالم وشجنه وحزنه مع حنانها الخاص وشجنها وحزنها النبيل فكنت انام نوماً هادئاً واحلم احلاماً جميلة - في محاولة لتعويض اغنية امى - «التى كانت اعظم مهدىء في العالم وليس له اثار جانبية تلك الاغنية التي افتقدتها طويلا بكلماتها الساذجة التى تعد - ولا تفى - بزوجين من الحمام عندما انام وبلحنها الذى لا يتغير - كنت استمع بعد ان كبرت لاغانى العديد من المطربين والمطربات التى لم تنجح الا في اثارة قلقى اكثر من ذي قبل.





٣٩١ - سرقات لا تنقطع:

تحدثت في بعض هذه الشذرات عن سرقات أدبية اقترفها كبارٌ وصغارٌ من الأدباء والباحثين دون أدنى حرج، واليوم وقد ظهرت إحدى الجرائد اليومية الشهيرة في العالم العربى تحمل صفحة من أعمدة ثمانية تمتلىء بنوادر أليمة من السرقات الجامعية وغير الجامعية مما طفح به الكيل، وعمت معه البلوى رأيت أن أمد هذه الشذرات ببعض ما لم أقله من قبل، وسأكتفى بنقول قرأتها في هذا المجال الغريب مضيفاً إليها بعض ما وقع لي، وأقول البعض فقط كيلا أثقل على القارىء.

فقد حدث أن جمعت بعض قصائدي المتواضعة في كراسة خاصة بها، وزارنى زميل كبير، فطلب الاطلاع عليها ردحاً من الزمن وأعطيتها إياه، مُعتزا بتقديره، غير أنى فوجئت بمن أخبرنى أن بعض هذه القصائد تنشر في مجلة ما بإمضاء صديقى المستعير، ولم أصدق بدءا، ولكن الواقع المرير أزعجني، فسارعت بالاتصال بصاحبى، وكنت أظنه سيخجل من هذا الصنيع، ولكنه: تبسم متعجبا، وقال لي، وكأنه يتحدث عن وضع طبيعي لا غرابة فيه، ما هذا يا أخي: نحن زميلان متعاونان، آخذ منك وتأخذ منى، فتفضَّل، هذه مجموعة قصائدي فاختر منها ما تشاء وانشره باسمك دون أدنى حرج منى، وكان كل هدفي بعد هذا الرد أن أسترد المجموعة كيلا يصبح بها شيء لي! ولا أحب أن أتحدث عن قيمة مجموعته هذه! لأن السكوت أولى.

٣٩٢ - الطرفة الأولى:

كان الدكتور جمال الدين الشيال نشر بمجلة الرسالة عدد ٨٤٩ أنه أعار أحد زملائه الدكاترة رسالته الجامعية المخطوطة، فنقل أكثرها في مؤلف طبعه أخيرا، دون أن يشير إليه ولو في المراجع، فاهتاج الدكتور الشيال وكتب كلمة حادة قال فيها (ومن هنا نرى أن الدكتور قد سطا على الرسالة منهجاً وموضوعا، وأنت إذا قارنت بعد ذلك بينها وبين ما كتبت لتبين لك في وضوح تام أنه لم يسط على المنهج والأفكار فقط، وإنما سطا على العبارات والألفاظ كذلك، فنحو ٨٠٪ من عباراته، هى عباراتى بألفاظها وحروفها، ومع ذلك لم يشر حضرته إليّ بحرف واحد، لا في الهوامش، ولا في قوائم المراجع على كثرتها البالغة!).

وما كاد مقال الدكتور الشيال يظهر في الرسالة، حتى تلاه مقال آخر بالعدد (٨٥٠) تحت عنوان الأمانة الجامعية قال فيه كاتبه (لقد عادت بي الذكريات إلى أيام تلمذتى بالجامعة، فتذكرت الأستاذ المعمّم الذي جاءنا يرفل في جبته وقفطانه،

حتى إذا عدنا من عطلة العيد، وجدناه قد ارتدى زيّ المطربشين، وان كانت ملامحه وسحنته تدلان على أنه من الشيوخ، ذكرت ذلك الشيخ وهو يطلب منا أبحاثاً علمية ليقرأها ويصححها ثم يعيدها إلينا، فكنا نسعى إلى المكتبات ونبحث في أمهات الكتب، حتى نفوز برضا الأستاذ عن البحث الذى نقدمه اليه، ولكن الأستاذ حفظه الله بخل علينا بأبحاثنا، ولم نلبث أن رأينا هذه الأبحاث قد ضمت بعضها إلى بعض، وقسمت إلى أبواب وفصول، وأصبحت كتابا يحمل اسم الأستاذ العزيز، وإن كنا نحمد له أنه غير أسلوب هذه الأبحاث لتكون على نمط واحد، أما الآراء فقد بقيت كما هى آراؤنا، والنصوص التى استندنا إليها في أبحاثنا بمراجعها لم يتغير شيء منها.

وهذه زميلة تتقدم برسالة الماجستير وتعطي بحثها لأستاذها المشرف، ومكث البحث زهاء ستة أشهر عند الأستاذ وأخيراً أخذته منه، فإذا به يفاجئنا بأن آراءها تتفق تمام الاتفاق مع آرائه،فلما سألته: أين نشرت هذه الآراء؟ قال: إن كتابي سيظهر هذا الأسبوع، وفيه هذه الآراء فأجابته ساخرة، الحمد لله، لقد اطلعت على آرائى ولم أطلع على آرائك، ولا ينسى الزميل الدكتور الشيال قصة هذه الكتب التى يوضع عليها اسم أستاذ من الأساتذة ومعه اسم تلميذ من تلاميذه، على أنهما اشتركا في تأليف الكتاب أو ذاك، ونحن نعلم من ألف الكتاب، ومن الذي استفاد!.

٢٩٢ ـ الطرفة الثانية:

وتعليقاً على ما جاء من اغتصاب بعض الأساتذة لبحوث الطلاب، أذكر واقعة شاهدتها بنفسي منذ وقت طويل، فقد كان أحد أصدقائى ـ المشهود لهم بالكفاءة العلمية والأدبية ـ طالبا بكلية دار العلوم، وقد كلفه أستاذه أن يبحث عن قصائد شوقى التاريخية، ليكتب بحثاً عن شعر شوقى السياسى واضطر الطالب المجتهد أن يتجاوز الشوقيات المطبوعة إلى ما لم ينشر في الجرائد القديمة مما أهمله شوقى لاقتناعه بمغبة نشره السيئة وذلك قبل أن يقوم الدكتور محمد صبرى السوربونى بجمع الشوقيات المجهولة في جزءين كبيرين بأمد بعيد فعثر على قصائد خطيرة قالها شوقى في هجاء الزعيم الوطنى الكبير أحمد عرابى باشا، عثر عليها في مطويات نائية أدرجت في صناديق لا ترى النور، فعدّ ذلك توفيقا كبيرا، وكتب البحث مستنداً إلى هذه القصائد. ورحبَّ بها الأستاذ ترحيباً بالغاً، ولكنه لم يضيِّع الفرصة السانحة فأصدر بحثاً عن شوقى يجمع هذه القصائد، ويعلق عليها في ضوء ما اهتدى إليه الطالب المجتهد في بحثه، ولعل أقل موجبات الإنصاف أن يشير إليه، ولكنه باهى بالعثور عليها،

وعدّها نتيجة جهد كبير قام به وحده ـ ولم يشأ الطالب أن يعترض، لأن السكوت أحرى وأحزم! ولكنه شكا إليّ.

٣٩٤ ـ الطرفة الثالثة:

كان الأديب الكبير الأستاذ محمد سعيد العريان يكتب بمجلة الثقافة تعليقات أسبوعية على ما يلحظه من مظاهر النشاط العلمي في العالم العربي، وكان يوقعها بإمضاء (قاف) وحار القراء في التوقيع، لأن القاف ليستْ في حروف اسمه، ولكنه يقفو ويتتبع جلّ ما يكتب في الصحف الأدبية ليعلق عليه فهو إذن (قاف) على زنة اسم الفاعل.

كتبَ الأستاذ العريان بالعدد (٢٢٢) من مجلة الثقافة يقول بعد مقدمة تمهيدية:

١ ـ هذا قاض كان يشغلُ منصباً دبلوماسيا كبيرا، تهيأت له في بعض غربته فرصة، فحصل على ترجمة انجليزية لرسالة بالأردية في أسرار الحج، فحملها إلى مصر، وأخرجها كتاباً بالعربية باسمه بعد أن أعانه على أدائها أديب كبير من أدبائنا ـ يريد الأستاذ الكبير مصطفى صادق الرافعي ـ رحمه الله ـ وما يزال هذا الكتاب منسوباً إلى ناشره، وليس له فيه الفكرة ولا الترجمة ولا الأداء، وليس له إلا أن حمله من جدة إلى القاهرة أو حملته معه الباخرة.

٢ ـ وهذا كتابٌ مدرسي ألفه معلم مغمور لا يكاد يعرفه غير تلاميذه، وإنه ليرجو به النفع العام أو الانتفاع المادي، ولكنه يخشى أن يجهل الناس قدره، فيكسد كتابه في السوق، ويخسر جهده وماله، فإنه يسعى الى فلان وفلان من أصحاب الجاه العلمي في هذا الباب، فيطلب إليه أن يراجع كتابه، فإذا راجعه فقد صار له الحق في أن يكون شريكه في التأليف ـ بمعنى أن ينشر اسمه في الواجهة مع المؤلف ـ وشريكه في النفع المادي، وهذا واحد، أو لعله كثير.

٣ ـ وهذا ناشر خبير بالسوق قد خطر له أن ينشر مخطوطا قديما، قد تخرق وتحرف وبلى من الزمن، وابتلى بالنساخ، فإنه ليستأجر بعض المرتزقة من أدباء السوق، يصححونه ويرّمون ما بلى منه، ولهم على ذلك من الأجر المادى بمقدار العمل، جملة بسعر الجزء، أو تفصيلا بسعر الصفحة، ككل صانع في صنعته، فإذا فرغوا من عملهم، وخلصوا بأجرتهم، حمّل الناشر الكتاب صحيحا محققا سليماً من التمزيق والبلى وسوء النسخ، إلى كبير من أهل هذا الفن، يسأله أن يتوجه باسمه، ويلحقه بنسبه، ثم يظهر في السوق بتحقيق الأديب الكبير.

وقد نسى الأستاذ العريان، أن يقول: إن الرغبة في كتب التراث شديدة نهيمة، وأن القراء ليحرصون عليها أشد من حرصهم على كتب

المحدثين، ولذلك تتعدد طبعات الكتاب مرّة بعد مرّة، ولكل طبعة مكافأتها المجزية (بالجيم) وكدت أقول (المخزية) بالخاء، يتقاضاها المحقق الكبير ولعله لم يقرأ الكتاب أصلا.

٣٩٥ - الطرفة الرابعة :

والداء من قديم، ليس داء مستحدثا، بل كانت السرقة الأدبية في القديم أسهل، لأن المؤلَّف مخطوط ومحدود الانتشار قبل زمن المطابع، كما كان النقل المتواصل عُرفا عاما لدى بعض من تسوّل له نفسه، أن يختصر شيئا أو يطيل شيئا ويجعل الكتاب باسمه، وقد طبع كتاب (الأحكام السلطانية) لأبي يعلى الحنبلي، فرأى الباحثون أنه مأخوذ من كتاب (الأحكام السلطانية) للإمام الماوردي أخذاً صريحا يكاد أن يكون كليا، وأثيرت المسألة على صفحات مجلة الثقافة فكانت مناسبة للأستاذ محمد عنان كي يذكر بالعدد (٣٢٥) من المجلة نصا للسخاوي عن شيخه الحافظ بن حجر قال فيه تحت عنوان (فصل فيمن أخذ تصنيف غيره فادعاه لنفسه: قال ابن حجر:

«منه البحر للروياني أخذه من الحاوي للماوردي والأحكام السلطانية لأبي يعلى أخذها من كتاب الماوردي لكن بناها على مذهب أحمد، وشرح السنة للبغوي مستمد من شرحي الخطابي على البخاري وأبي داود، والكلام على تراجم البخاري للبدر بن جماعة أخذه من علوم الحديث لابن الصلاح بحروفه وزاد فيه كثيرا، وشرح البخاري لشيخنا ابن الملقن جمع النصف الأول منه من عدة شروح أما النصف الثاني فلم يتجاوز فيه النقل من شرحي ابن بطال وابن التين، وأما طبقات الشافعية لابن الملقن فقد جمع فيه بين الأسنوي والتاج السبكي بحيث لم يزد عليهما سوى ترجمة واحدة، وكذا قرأت بخطه على الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة ما نصه «أصل هذا التصنيف للأستاذ الجليل أبي منصور عبد المحسن بن علي بن طاهر البغدادي الفقيه المحدّث الشهير، رأيته في مجلدة لطيفة، وجملة ما فيه من الأحاديث خمسة وعشرون حديثا، الى أن قال: ولمصنفه الإجابة وهو الزركشي حسن الترتيب والزيادات البينة، والعزو إلى التصانيف الكبار، والأول على عادة من تقدم يقتصر على سوق الأحاديث إلى شيوخه»».

٣٩٦ - لأبي العلاء المعري:

خذي رأيي وحسبك ذاك مني
على ما فيّ من عوج وأمت
وماذا يبتغي الجلساء مني
أرادوا منطقي وأردت صمتي
ويوجد بيننا أمدٌ بعيد
فأمّوا سمتهم وأممت سمتي

حتى نعيش في سلام

بقلم: عبد الله ناصر بن ثنيان
- الرياض -

إن كل إنسان يوجد في قلبه حب الآخرين ورحمتهم والشفقة عليهم، والذي يتمنى لهم ما يتمنى لنفسه، يحلم كما أحلم ويتمنى أن يتحول الحلم الى حقيقة، يحلم أن يعيش الجميع في سلام، الجميع مهما اختلفت ألوانهم أو جنسياتهم، أن نعيش جميعاً في سلام مع أنفسنا، ومع من حولنا.

سلام على جميع المستويات، سلام مع أنفسنا، سلام مع عائلاتنا، سلام مع أقاربنا، سلام مع مجتمعنا، سلام على مستوى الفرد، سلام على مستوى الدولة، سلام على مستوى الأمة، وسلام على مستوى العالم كله، سلام في كل مكان.

إن ما نرى من أحقاد وحروب، مجاعات وظلم، تقتيل للأبرياء.. إلى شجارات الأفراد وخلافاتهم وإساءتهم لبعضهم.. إلى ما نرى من الحزن والاكتئاب والقلق الذي يصيب الأفراد أنفسهم، وما نرى أيضاً من حالات الانتحار.. كل هذا وغيره ينشأ ويوجد لأننا لا نعيش في سلام، ولأننا نفتقد إلى السلام.

إنني وكثيرين نحلم بعالم بلا أحقاد، بلا بغضاء، بلا حروب، بلا مجاعات، بلا فقر، بلا ظلم.

الحياة جميلة سواء كنت تعيش في حديقة غناء أو صحراء مقفرة متى ما كنت تعيش في سلام، إنها دعوة للسلام، دعوة للموظف والمدير للفلاح والتاجر، للجندي وقائد الجيش، للوزير ورئيس الدولة، للزوج والزوجة، للأخ والأخت، للصديق والصديقة، للزميل والزميلة، لكافة أفراد المجتمع، في كل أنحاء المعمورة.

ولنسأل أنفسنا جميعا: ماذا لو وجهت خيرات بعض البلاد التي يلقى بها في البحار من أجل الحفاظ على سعر المنتج ليستفيد منها الفقراء في العالم؟ ماذا لو وجهت الأموال التي تنفق على التسليح في أنحاء العالم للرفع من مستوى معيشة البشر؟ وماذا لو وجهت المجهودات التي تبذل من أجل أن يسيء الإنسان للإنسان، وأن يقتل الإنسان أخيه الإنسان، ويسرق الإنسان أخيه الإنسان، ماذا لو وجهت تلك الجهود للعمل والإنتاج بما يخدم البشرية؟.

وهنا نتساءل: كيف يتسنى لنا أن نعيش في سلام؟

فأقول: لنتمعن معا في قصة نعرفها جيدا، ألا وهي قصة آدم - عليه السلام - مع إبليس - لعنه الله - فالمتتبع لهذه القصة يجد أن هناك ثلاثة أسباب رئيسة تسببت في طرد إبليس من رحمة الله وإهباط آدم - عليه السلام - وزوجه من الجنة، وتلك الأسباب الثلاثة هي التي تحرمنا من السلام، ومتى ما تخلصنا منها لاستطعنا أن نعيش جميعا في سلام دائم.

فالكبر منع إبليس من تنفيذ أمر الله - سبحانه وتعالى - بالسجود لآدم - عليه السلام - قال - تعالى - **{قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك، قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين}** (سورة الأعراف/ ١٢) ولهذا فقد ورد الوعيد الشديد في الكتاب والسنة للمتكبرين، فقال سبحانه وتعالى: **{تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا}** (سورة القصص/ ٨٣)، والرسول [صلى الله عليه وسلم] يقول: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر»[١].

والحسد دفع بإبليس لإغواء آدم - عليه السلام - وزوجه، قال - عز وجل - **{قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم}** (سورة الأعراف/ ١٦)، والرسول [صلى الله عليه وسلم] يقول: «لا تحاسدوا»[٢]، ويقول عليه الصلاة والسلام: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[٣].

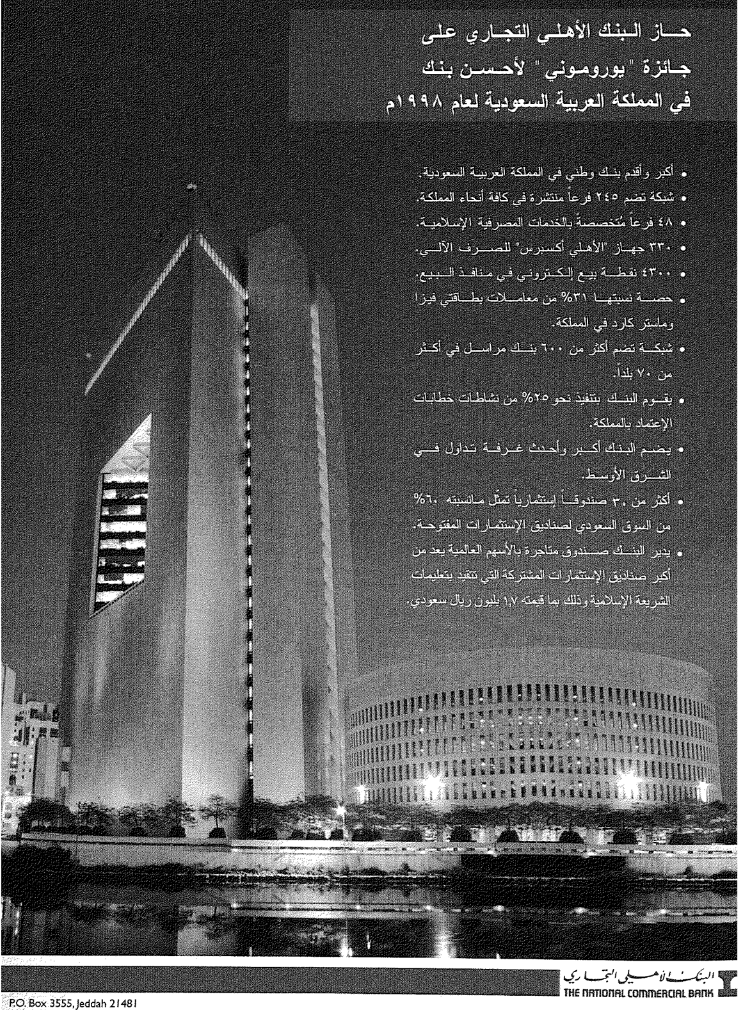
أما الحرص فقد أودى بآدم وزوجه إلى الأكل من الشجرة التي نهاهما الله عن الأكل منها، قال - تعالى: **{فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين}** (سورة الأعراف/ ٢٠)، والرسول [صلى الله عليه وسلم] يقول: «لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فأجملوا في الطلب».

وشاعرنا المتنبي يقول:

نبكي على الدنيا وما من معشر ... جمعتهم الدنيا فلم يتفرقوا
أين الأكاسرة الجبابرة الألي ... كنزوا الكنوز فما بقين ولا بقوا
من كل من ضاق الفضاء بجيشه ... حتى ثوى فحواه لحد ضيق
خرس إذا نوبوا كأن لم يعلموا ... أن الكلام لهم حلال مُطلقُ
فالموت آت والنفوس نفائس ... والمستعز بما لديه الأحمق[٤]

الهوامش:

(١) رواه أبو داود والترمذي والنسائي.
(٢) رواه أحمد ومسلم وغيرهما.
(٣) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.
(٤) ديوان المتنبي، ص ٢٨.


حاز البنك الأهلي التجاري على
جائزة "يوروموني" لأحسن بنك
في المملكة العربية السعودية لعام ١٩٩٨م
• أكبر وأقدم بنك وطني في المملكة العربية السعودية.
• شبكة تضم ٢٤٥ فرعاً منتشرة في كافة أنحاء المملكة.
• ٤٨ فرعاً مُتخصصةً بالخدمات المصرفية الإسلامية.
• ٣٣٠ جهاز "الأهلي أكسبرس" للصرف الآلي.
• ٤٣٠٠ نقطة بيع إلكتروني في منافذ البيع.
• حصة نسبتها ٣١% من معاملات بطاقتي فيزا وماستر كارد في المملكة.
• شبكة تضم أكثر من ٦٠٠ بنك مراسل في أكثر من ٧٠ بلداً.
• يقوم البنك بتنفيذ نحو ٢٥% من نشاطات خطابات الإعتماد بالمملكة.
• يضم البنك أكبر وأحدث غرفة تداول في الشرق الأوسط.
• أكثر من ٣٠ صندوقاً إستثمارياً تمثّل مانسبته ٦٠% من السوق السعودي لصناديق الإستثمارات المفتوحة.
• يدير البنك صندوق متاجرة بالأسهم العالمية يعد من أكبر صناديق الإستثمارات المشتركة التي تتقيد بتعليمات الشريعة الإسلامية وذلك بما قيمته ١,٧ بليون ريال سعودي.
البنك الأهلي التجاري
THE NATIONAL COMMERCIAL BANK

كل مائة عام وأنت بخير يا وطني

عام
١٣١٩هـ ١٤١٩هـ
المملكة العربية السعودية
K.S.A. 100 YEARS
توحيد وبناء

قبل مائة عام، خطا جلالة الملك عبد العزيز آل سعود، رحمه الله، الخطوة الأولى في مسيرة تأسيس و بناء المملكة العربية السعودية، وما أن اكتمل له توحيدها حتى وضع اللبنة الأولى في صرح صناعتها البترولية.

واليوم، بعد مائة عام على بداية تأسيس المملكة وستة وستين عاماً على انطلاقة صناعتها البترولية، تقف المملكة رمزاً ريادياً للنهضة والتقدم بين دول العالم المتحضر.

احتلت صناعتها البترولية، ممثلة في أرامكو السعودية، موقع الصدارة بين مثيلاتها في كل أرجاء العالم، واستصلح فيها أكثر من مليون وستمائة ألف هكتار من الأراضي الزراعية، وشيدت صروح التعليم لأكثر من أربعة ملايين طالب وطالبة، وأقيم أكثر من ٢٢٠٠ مستشفى حكومي، وأنشئت شبكات اتصالات متقدمة، وعبّد من الطرق الحديثة ما يتجاوز ٤٢ ألف كيلومتر، وقام ما يزيد على ٢٣٠٠ مصنع منتج، وكان منها الأطباء والمهندسون والقياديون المرموقون، وأول رائد فضاء عربي مسلم. وأرامكو السعودية، وهي تشعر بالفخر لأنها تمثل واحداً من هذه الإنجازات العملاقة، ليزداد فخرها واعتزازها وهي تدرك الدور المتميّز الذي لعبته في تحقيق هذه الإنجازات ودعم جهود التنمية الشاملة في البلاد.

لقد كانت الإنجازات التي تحققت، بفضل الله، في المملكة خلال المائة عام الماضية باهرة بمعنى الكلمة، وأرامكو السعودية تنظر إلى الأعوام المائة القادمة بثقة واعتزاز مقتنعة بأن القادم سيكون، إن شاء الله، أكثر إبهاراً وتميزاً.



شركة الزيت العربية السعودية
www.saudiaramco.com